دراسات في
تاريخ تركيا الحديث

الاستاذ الدكتور
كريم مطر حمزة الزبيدي

بسم الله الرحمن الرحيم

(يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ)

صدق الله العظيم

سورة المجادلة - الآية رقم (11)

المقدمة

تعد الدراسات التركية التي تهتم بدراسة تاريخ تركيا السياسي والاقتصادي والاجتماعي من الدراسات المطلوبة في الجامعات العراقية ، اقسام تخصصية ومراكز بحثية ، لأهميتها حاضرا ومستقبلا .

وفي الجامعات العراقية يدرس تاريخ تركيا في اقسام التاريخ ، في الدراسات الاولية والعليا ، وذلك ضروري كون تركيا دولة جارة للعراق والعرب ، ومن المهم معرفة كل شيء عنها . ومن هذا المنطلق ألفنا هذا الكتاب عن تركيا المعاصرة ليضاف الى مجموعة دراسات اخرى صدرت عن تركيا ، وليستفيد منه الباحثين والقراء على حد سواء ، وهو اضافة متواضعة الى المكتبة العراقية والعربية .

هذا الكتاب هو مجموعة مباحث تسلط الاضواء على جوانب معينة من التاريخ التركي المعاصر ، وان بعض هذه المباحث نشرت في مجلات عراقية وبعضها الاخر لم ينشر . تناول المبحث الاول الدبلوماسية الامريكية تجاه الدولة العثمانية قبل انهيارها في الحرب العالمية الاولى (1914 - 1918) ، فيه تصورا واضحا عن بدايات التحول الدبلوماسي الاقتصادي في الدولة العثمانية بتأثير من الدول الكبرى ومنها الولايات المتحدة الامريكية التي تزايدت اهميتها الاقتصادية والسياسية منذ نهاية القرن التاسع عشر الميلادي . وهذا التحول العثماني نحو الغرب يعد اساس لقرارات تركية لاحقة اهمها التوجه نحو الغرب في كل جوانبه والابتعاد عن الشرق بكل مبادئه .وتعد الولايات المتحدة الصديق الاول لتركيا التي استمرت صداقتها الى يومنا هذا .

وفي المبحث الثاني كان الحديث عن الكرد في تركيا في عهد مصطفى كمال اتاتورك (1923 - 1938) ، وتبدأ الدراسة عن اوضاع الكرد العامة في القرن التاسع عشر الميلادي وثوراتهم ضد الحكم العثماني ، وكانت قد اندلعت اكثر من ثورة كردية ضد العثمانيين طلبا للاستقلال الذاتي ، وتواصلت هذه الثورات في العهد الجمهوري وطالبت بالحكم الذاتي واشهرها ثورة الشيخ سعيد عام 1925م .

وفي المبحث الثالث كان للأرمن دراسة مقتضبة عن مكان سكناهم وعلاقتهم بالدولة العثمانية وروسيا ، وتوضيح المذابح المأساوية التي تعرض لها الارمن في نهاية القرن التاسع عشر (1894 - 1896) ، واثناء

الحرب العالمية الاولى (1915) ، مركزا على اسبابها ونتائجها على الصعيدين الداخلي والخارجي .

اما المبحث الرابع فسلط الاضواء على الحركة النورسية وتطوراتها في تركيا حتى عام 1960 ، وهي السنة التي توفي فيها زعيمها بديع الزمان النورسي ، وناقش الباحث في هذه الدراسة تأثيرات الحركة في المجتمع التركي من خلال (رسائل النور) التي تعبر عن افكار النورسيين . وكان اصحاب النور ، كما يطلق عليهم احيانا ، يعملون بدبلوماسية مع مؤسسات الدولة ، ويبتعدون عن الجدال والثورية ، وكان هذا من الاسباب التي جعلت لهم قاعدة جماهيرية كبيرة على عكس النقشبندية التي تضائل انصارها من الشعب التركي .

تناول المبحث الخامس معاهدة لوزان التي عقدت عام 1923م في مدينة لوزان السويسرية بين حكومة انقرة التركية ودول الحلفاء والتي حصلت فيها تركيا على نصر دبلوماسي كبير ، كما كان لهذه المعاهدة ملاحق تتعلق بالعلاقات الثنائية بين تركيا والدول الاوربية ومسألة الدين العثماني .

وفي المبحث السادس نوقشت تطورات التيار الاسلامي حتى عام 1960 ، ومدى مقاومة الاسلاميين لقرارات الحكومة العلمانية ونجاحهم في الظهور على الساحة السياسية من خلال كتبهم ونواديهم وتأثيرهم على السياسيين والجماهير التركية على حد سواء .

واختص المبحث السابع والاخير دراسة شخصية اسلامية كبيرة ، لها تأثيرها الكبير على الساحة السياسية التركية في النصف الثاني من القرن العشرين ، انه نجم الدين اربكان مهندس الفكر السياسي الاسلامي في تركيا ، الذي استطاع ان يكسر علمانية اتاتورك بوسائل حضارية تعبر عن عبقرية هذا الرجل الطموح .

اعتمد الباحث في تأليف هذا الكتاب على مجموعة من المصادر المتنوعة أسهمت جميعها في اخراج هذا الكتاب في حلته الجديدة ، ولعل من اهمها الوثائق الامريكية المنشورة ، ومجموعة من الرسائل والاطاريح الجامعية التي اجيزت من الجامعات العراقية وكتبت عن جوانب من تاريخ تركيا المعاصرة ، وعدد من المؤلفات باللغة العربية لكتاب عرب واجانب افادت الباحث في انجاز هذا الكتاب ، ومصادر اخرى باللغة الانكليزية فضلا عن مجموعة من الدراسات لمؤلفين عرب نشرت في مجلات عراقية وعربية .

لا يسعنا ونحن نوشك على وضع اللمسات الاخيرة للكتاب بان نبوح بأمنياتنا للكتاب النجاح وان يكون ذو فائدة بحثية للباحثين ، وذو قيمة للمكتبة العراقية والعربية . والله من وراء القصد .

المبحث الاول:

دبلوماسية **الولايات المتحدة**

تجاه

الدولة العثمانية حتى عام 1918م

المقدمة

يتمتع الشرق الاوسط[1]، ومازال ، بمزايا ستراتيجية واقتصادية ، اذ شكل على مدى قرون سابقة حلبة لنزاعات خاضتها اطراف شتى من اجل السيطرة عليه والتمتع بميزاته . ولما كان بعض المؤرخين يرون ان الدولة العثمانية كانت تحتل معظم اجزاء الشرق الاوسط ، لذلك فأن من البديهي القول ان صراع الدول الطامعة كان يتمحور حول الدولة العثمانية

ومنذ استقلال الولايات المتحدة الامريكية عام 1781م ، بدأت الاهتمامات الامريكية في الشرق الاوسط ، بصورة عامة ، والدولة العثمانية ، بصورة خاصة ، وتتركز هذه الاهتمامات في الجوانب الاقتصادية والثقافية والتبشيرية التي تصب كلها في خدمتها .

الاهتمامات الامريكية في الشرق الاوسط تحولت خلال القرن التاسع عشر الى نشاط متزايد في مختلف الصعد ، الاقتصادية والسياسية والثقافية ، ويعود ذلك الى شعور الادارات الامريكية المتعاقبة بأهمية المنطقة الستراتيجية .

أخذ النشاط الامريكي يزداد بصورة اكبر منذ بداية القرن العشرين لأسباب اقتصادية وعسكرية وسياسية ، لكن هذا النشاط لم يوصل الولايات المتحدة الى موقع متقدم في الشرق الاوسط مثلما كانت عليه بريطانيا وفرنسا والمانيا ، لعدم وصول الولايات المتحدة الى قوة هذه الدول اقتصاديا وعسكريا ، ولبعدها عن المنطقة على عكس تلك الدول التي كانت بقربها .

تنبع أهمية الموضوع من كونه يبحث في جذور السياسة الامريكية تجاه الدولة العثمانية وتطوراتها خلال مراحل متعاقبة من عمر الدولة العثمانية الطويل . ومنذ أندلاع الحرب العالمية الاولى ومارافقها من تداخل المصالح الدولية تزايدت هذه الاهمية ، مما اقتضى دخول الولايات المتحدة بكامل ثقلها الى حلبة الصراع الدولي في هذه المرحلة ، وماترتب على ذلك تفكك الدولة العثمانية وأنهيارها ، التي كانت من اهم مناطق التنافس الاستعماري في ذلك الوقت ، وكانت نهاية الحرب أيذانا باقتسام أقاليم الدولة العثمانية بين الدول الكبرى المنتصرة[2]في الحرب .

ولتوضيح موضوع الدراسة وتسليط الاضواء على الاهتمامات الامريكية بالدولة العثمانية حتى انهيارها عام 1918 ، قسمت الدراسة الى مقدمة وثلاث مباحث وخاتمة تضمنت اهم الاستنتاجات التي توصلت اليها الدراسة .

تضمن المبحث الاول السياسة الامريكية تجاه الدولة العثمانية في القرن التاسع عشر الميلادي. فعند استكمال استقلال الولايات المتحدة عام 1783 ، تزايدت الاهتمامات الامريكية بمنطقة الشرق ، لاسيما الدولة العثمانية التي بدأت علاقاتها التجارية تظهر منذ عام 1824 ، ومن ثم العلاقات الدبلوماسية عام 1830 . وتزايد النشاط الامريكي في بلاد العثمانيين طيلة القرن التاسع عشر في مختلف المجالات ، الاقتصادية والسياسية والثقافية .

والمبحث الثاني تناول تطورات النشاط الامريكي في البلاد العثمانية منذ مطلع القرن العشرين حتى اندلاع الحرب العالمية الاولى ، اذ أضحى الدور ألامريكي في اسطنبول والمناطق المجاورة لها كبيرا ، وفي تنافس محموم مع الدول الاستعمارية الاخرى ، وبالخصوص بريطانيا والمانيا وفرنسا وروسيا .

واستكمالا للمبحث الثاني ، ناقش المبحث الثالث النشاط الامريكي في بلاد الاناضول وتراقيا اثناء الحرب العالمية الاولى (1914 – 1918) ، وكان لموقف الحياد الامريكي من مجريات الحرب اثره الكبير في تزايد النشاط التجاري للولايات المتحدة مع العثمانيين . كما ان الثقة الكبيرة للحكومة العثمانية بالولايات المتحدة ومسؤوليها اعطى التجار الامريكان دورا اكبر في التجارة والنشاط السياسي في كل اراضي الدولة العثمانية .

اكتنفت دراسة الموضوع صعوبات عديدة من بينها ان معظم مصادر الدراسة في اللغات الأجنبية (العثمانية ، التركية ،الانكليزية ، الالمانية ، الفرنسية) الامر الذي تطلب وقتا وجهدا مضاعفين لترجمتها . ولان السياسة الامريكية في الدولة العثمانية ظلت ولمراحل طويلة هامشية وغير واضحة المعالم ، فأن تتبعها لايخلو من صعوبات جمة في مقابل الدور المتنامي لكل من بريطانيا وفرنسا .

اعتمدت الدراسة على عدد غير قليل من المصادر العربية والاجنبية التي لها صلة مباشرة أو غير مباشرة بموضوع الدراسة ، تأتي في مقدمتها وثائق وزارة الخارجية الامريكية foreign relations of united states وجميعها مطبوعة ومحفوظة في مؤسساتنا الاكاديمية ، وتنبع أهميتها من كونها حفظت تفاصيل الموقف الرسمي تجاه الدولة العثمانية ووريثتها ، وقضاياها ومشاكلها ورعاياها قبل انهيار الحكومة في اسطنبول ، عن طريق المذكرات والبرقيات المتبادلة بين الادارة الامريكية في واشنطن العاصمة ، وبين موظفيها الدبلوماسيين في الشرق الاوسط .

ومن الكتب المهمة كتاب المؤرخ الامريكي جون دي نوفو: de novo john

المعنون: american interests in the middle east 1900 – 1939

الذي افاد الدراسة بمعلومات مهمة فيها الشمولية والتحليل الدقيق .

وهناك دراسة مقاربة لها "لروجر تراسك" roger trask المعنونة

The United States Response to Turkish Nationalism and Reform 1914-1939"

غطت جانباً من معلومات الدراسة ، قبل الحرب العالمية الاولى واثنائها والحقيقة ان Trask, Denovo يركزان بتعمد على النشاط الامريكي في الدولة العثمانية قبل الحرب العالمية الاولى ، ويظهرانه القوي في الساحة العثمانية في مختلف الصعد ويعطيان دوراً اقل للبريطانيين والفرنسيين على الارض العثمانية ، والاصح ان الدور الامريكي في الدولة العثمانية قبل الحرب العالمية الاولى كان يأتي في الدرجة الثانية بعد البريطانيين والفرنسيين.

ولاتفوتنا الدراسة القيمة للكاتب التركي "يلماز التوج" (Yilmaz Al Tug) المنشورة بالانكليزية في مجلة "Belleten" تحت عنوان:

The United States of Americ's Policyes To Words Turkish " Straits"

التي ساهمت في اغناء جانب مهم من جوانب الدراسة الخاصة بمشكلة المضايق رغم ان الكاتب لم يتطرق بالتفصيل الى هذه المشكلة مكتفياً باستعراض وجهة النظر الامريكية لها.

وتأتي دراسة "كونهولم" العميقة،

Bruce Robellet Kuniholm, The origins of the Cold War in Near " East"

باهمية للدراسة لانها سلطت الضوء على الحرب الباردة بين المعسكرين الغربي والشرقي والدور الامريكي في هذه الحرب فيما يتعلق بالمسألة التركية، والكتاب يحمل تفصيلات كثيرة عن الصراع الامريكي- السوفيتي، وهو يرسم وجهة النظر الامريكية لمختلف القضايا ويساندها،

ويعد غيرها من وجهات النظر خاطئة، كما ان مذكرات "Hull" المنشورة بالانكليزية لها اهمية، خاصة وان صاحبها كان وزيراً لخارجية الولايات المتحدة لاكثر من احد عشر عاماً وفي فترة مهمة، ولكن هذه المذكرات تعبر عن وجهة نظر صاحبها وليس بالضرورة تعبر عن السياسة الخارجية الامريكية

ودراسة "توماس بريسون" "Thomas A. Bryson":

"Take, Turks, and Tankers, The Role of The United States Navy in the Middle East 1800-1973".

التي تدور حول اهمية البحرية الامريكية في تثبيت دعائم سياسة الولايات المتحدة في الشرق الاوسط، خاصة في الدولة العثمانية ، تأتي باهمية للدراسة لأحتوائها على معلومات قلما نجدها في المصادر الاخرى .

واستندت الدراسة على مصادر عدة تمثلت بمصادر عربية وانكليزية واطاريح ورسائل جامعية كان لها حضورا في ثنايا الدراسة ، ونحب ان ننوه ان فائدة هذه المصادر لا يعني بالضرورة ان ارائهم صائبة في تحليل الاحداث وتشخيص الدوافع والاهداف للسياسة الامريكية تجاه الشرق الاوسط ، لاسيما بلاد العثمانيين ، فأن معظم الكتاب الامريكان – على سبيل المثال – نقلوا احداث التاريخ بما يخدم المصالح الامريكية ، وحللوا الدوافع لدخول الولايات المتحدة الى بقاع العالم بأنه نصرة للحق ونشر مبادئ الحرية والعدالة ، وقد تعاملنا معها بحذر، واستندنا على دراسات عدة في تحليلنا للسياسة الامريكية.

اولا : النشاط الامريكي تجاه الدولة العثمانية في القرن التاسع عشر

ترك الاستقلال السياسي للمستعمرات الامريكية عن الحكومة البريطانية بعد حرب الاستقلال 1776-1781 وقيام دولة الولايات المتحدة

عام 1783 اثاراً ايجابية على تطور البلاد الاقتصادي ، وبوتائر سريعة ، ولتتحول بعد سنوات في مقدمة الدول الراسمالية .

من الطبيعي ان تكون سياسة الولايات المتحدة الخارجية انعكاساً لواقعها الاقتصادي، فعندما لم يكن بوسع طاقاتها الواقعية مد نفوذها الى مناطق ابعد من نصف الكرة الغربية كالشرقين الادنى والاوسط – خاصة الامبراطورية العثمانية، وعندما كانت هناك قوى عظمى تفوقها في الاقتصاد والامكانيات العسكرية كبريطانيا وفرنسا والمانيا وروسيا، اضافة الى بعد المسافة وتخلف المواصلات البحرية، لهذه الاسباب ظل النفوذ الامريكي ، بصورة رئيسية ، يدور في حدود الامريكتين وهذا ما ينطبق تماماً مع مصالحها الاقتصادية والسياسية، فجاء "مبدأ مونرو"[3] في عام 1823 والذي كان من ناحية شكلية موجه ضد اعتداءات الدول الاوربية وتدخلها في الشؤون الداخلية لدول امريكا اللاتينية، لكنه في الواقع جاء بهدف اخضاع اقطار امريكا اللاتينية للسيطرة الامريكية[4].

لكن تطور الاقتصاد الامريكي جعل من غير الممكن ان تبقى سياسة الولايات المتحدة الخارجية تدور في فلك مبدأ مونرو، عندها بدأت الولايات المتحدة انشطتها لمد نفوذها الى مناطق اخرى من العالم- خاصة الشرقين الادنى والاوسط- وفق اساليب متعددة كالنشاط الدبلوماسي والبعثات التبشيرية والعلاقات التجارية وفي كل الاوقات كانت هذه الاساليب متشابكة بعضها مع بعضها الاخر حتى كان بعض هذه الانشطة قد سبق مبدأ مونرو بربع قرن تقريباً حين ظهر الاسطول الامريكي في البحر المتوسط لاول مرة في نهاية القرن الثامن عشر، وكان من اسباب الاهتمام الامريكي بالبحر المتوسط في هذه الفترة المبكرة هي تجارة الافيون، اذ بدأ التجار الامريكان منذ نهاية القرن الثامن عشر بنقل الافيون من مؤانى اسيا الصغرى عبر البحر المتوسط والمحيط الاطلسي ثم الطواف حول القارة الافريقية للوصول الى البر الصيني.[5]

وصلت اول سفينة تابعة للولايات المتحدة وكانت حربية الى العاصمة اسطنبول في التاسع من كانون الاول عام 1800م وهي الفرقاطة جورج واشنطن George Washington وكان قائدها القبطان وليم بينبيردج William Bainbridge وقد طلب منه الابحار الى اسطنبول عندما كانت في زيارة الى الجزائر ، في وقت سابق من السنة ، لتؤدي لداي الجزائر الضريبة .(6)

ارسلت الادارة الامريكية وفدا سياسيا، وضم في عضويته كبار التجار عام 1810م ، ليتفاوض مع حكومات دول البحر المتوسط للبحث في السبل الكفيلة بفتح قنصليات تجارية وتعيين وكلاء تجاريين . ونجح الوفد التجاري مع الدولة العثمانية . اذ اسس البيت التجاري الامريكي وودامس واوفلي American commercian house of woodams and offely ومقره في العاصمة واشنطن ، في العام 1811م افتتح فرعا له في مدينة سميرنا العثمانية (ازمير) وتمكن david offely من ادارة اكبر عملية تجارية امريكية خارجية عندما شحنا مئة طن من الافيون العثماني من مدينة سميرنا الى ميناء كانتون الصيني (7)، ولم تقتصر العمليات التجارية لفرع بيت وودامس واوفلي على الافيون فحسب بل امتد نشاط سفنه لنقل السجاد والصمغ وزيت الزيتون والزبيب والبرتقال والالبسة والخشب ، ولاسيما خشب الماهوني الذي يستخدم لصنع الاثاث الفاخر ، والتبغ والسكر وشمع العسل والادوات و الالات لتجهيز المصانع (8).

كانت الولايات المتحدة تشعر بحاجتها الى معاهدة تجارية وتمثيل قنصلي لها في سميرنا ، ويبدو ان لوجود عدد ملحوظ من المسيحيين المؤيدين للامريكيين من يونانيين وارمن ، فضلا عن ابتعادها عن منافسة الدول الكبرى عاملين كانا لهما اثرهما في اختيار المدينة ، وعلى الرغم من

اختيار التاجر والصناعي وليم ستيوارت William stewart قنصلا لها في سميرنا في وقت مبكر من عام 1802م ، وسبق لاوفلي الحصول على قرار من حكومته بتعيينه وكيلا تجاريا غير ان الحكومة العثمانية لم تعترف بستيوارت وذلك لعدم وجود معاهدة رسمية بين الطرفين تحدد مسؤوليات القنصل [9].

في عام 1824 قامت العلاقات الدبلوماسية بين الولايات المتحدة والدولة العثمانية، ومنذ ذلك التاريخ تركز النشاط الدبلوماسي الامريكي على تسهيل مهمة سيطرة البضاعة الامريكية على الاسواق العثمانية ، وقد جلبت اسواق الشرق الادنى اهتمام الحكومة الامريكية منذ بداية القرن التاسع عشر فحاولت توقيع معاهدة تجارية مع السلطات العثمانية تمنح الولايات المتحدة حرية التجارة مع كافة موانئ الامبراطورية العثمانية وحرية المرور لسفنها عبر المضايق وارسال قناصلها الى أي مدينة عثمانية. ومنذ عام 1820 عبر وزير خارجية الولايات المتحدة عن اهمية اسواق الامبراطورية العثمانية بقوله: "على الرغم من ان تجارتنا مع الامبراطورية العثمانية لا زالت محدودة الكمية وتفتقر الى الضمانات والمعاهدات التي تنظمها فانها تعتبر ضرورية ومهمة جداً[10]. ففي عام 1829 كان مجموع قيمة البضاعة المصدرة من الامبراطورية العثمانية الى الولايات المتحدة 293.237 دولار كانت قيمة مادة الافيون منها 92.294 دولار أي ما يعادل 30% من قيمة مجموع الصادرات[11].

وعلى الرغم من المقاومة التي ابدتها بريطانيا وبقية الدول الاوربية لهذا التوجه الامريكي، فقد نجحت الادارة الامريكية في توقيع اول معاهدة تجارية مع حكومة الباب العالي في 10 مايس 1830، حصلت بموجبها الولايات المتحدة على جميع الامتيازات التجارية التي تمتعت بها الدول الاوربية في الاسواق العثمانية ، وقد واكب هذا النشاط الدبلوماسي

والاقتصادي للادارة الامريكية تجاه الامبراطورية العثمانية نشاط تبشيري استغلته الادارة الامريكية لمد نفوذها الى اقاليم الامبراطورية العثمانية تحت شعار "الدعاية الانجيلية" وقد نجحت السياسة الامريكية بعد وقت قصير من اقامة العلاقات الدبلوماسية بينها وبين الباب العالي عام 1824 في نشر اعداد كبيرة من الجمعيات التبشيرية في معظم مدن الاقاليم العثمانية، وكانت هذه الارساليات تخضع الى توجيه "مجلس المبشرين الامريكان"،

"American Board of Commissioners for Foreign Missions"

الذي كان مقره مدينة "بوسطن"، وكانت العاصمة اسطنبول المركز الرئيسي لهذه الجمعيات التبشيرية ومن هنا امتد نشاطها الى معظم الاقاليم العثمانية حتى بلغ مجموعها في نهاية القرن التاسع عشر (300) ارسالية[12].

أثبتت المبادرات الفردية والجهود الدبلوماسية جدواها في ترسيخ منزلة أمريكية متقدمة لدى الباب العالي طوال ثلاثة عقود من تاريخ إبرام أول معاهدة بين الطرفين غير أن الخلافات ظهرت بينهما مع مطلع العقد السادس من القرن الثامن عشر بسبب تفسير بعض مواد معاهدة 1830. فمثلا كانت السلطات العثمانية تستقطع ضريبة جمركية قدرها10% من قيمة البضاعة التي تستوردها من الولايات المتحدة الأمريكية، الأمر الذي قاد إلى تذمر الكثير من التجار الأمريكيين وطالبوا بضريبة مساوية لما يدفعه نظراؤهم الأوربيون أي 8% فقط . وحدث في العام نفسه خلاف بين البلدين سببه تنكر السلطات العثمانية لبعض مضامين معاهدة 1830 لاسيما ما يتعلق منها بالامتيازات الممنوحة للقنصلية الأمريكية بشان مقاضاة الرعايا الأمريكيين في الدولة العثمانية لما لهذا من مساس بسيادتها. لذلك جرت مفاوضات جديدة بين الطرفين أسفرت عن عقدهما معاهدة عام 1862 التي، وافقت بموجبها الحكومة العثمانية على تقليل نسبة استيفاء

الضرائب على السلع الأمريكية من 10% إلى 8% من سعر البضاعة، فضلا عن فقرات أخرى من بينها تقليل نسبة الضرائب على النقل البري داخل الدولة العثمانية، وتشكيل لجنة جمركية حكومية مشتركة لتنظيم برنامج الضرائب للبضاعة على أساس قيمتها، وتم

الاتفاق على أن تجتمع اللجنة مرة واحدة كل سبع سنوات[13] .

لعل اكثر الخطوات الدبلوماسية نجاحا تلك التي قام بها داني اييس كار dany ess car ، الذي تولى تمثيل الولايات المتحدة دبلوماسيا لدى الباب العالي خلفا لبوبرتر الذي توفي عام 1843 (السفير الامريكي لدى اسطنبول منذ عام 1830) عندما اقنع السير ستراتفورد كاننغ strat ford caning السفير البريطاني في اسطنبول بمنع السفن البريطانية من ممارسة تجارة العبيد [14] في البحر الاسود [15].

وكانت للارساليات التبشيرية الامريكية دور كبير في نشر مبادئها ليس عن طريق النشاط الديني بل عن طريق المدارس والمطبوعات والخدمات الطبية، فأسست الكثير من المدارس والكليات والمستشفيات في اقاليم الدولة العثمانية ، فمثلاً افتتح المبشرون الامريكان اول كلية امريكية خارج الولايات المتحدة في عام 1863 هي كلية "القديس روبرت" في استانبول، ثم افتتحوا "الكلية المركزية العثمانية" و "الكلية الشرقية للارمن" في مدينة خربوط[16]، وقبل نشوب الحرب العالمية الاولى بلغ مجموع مراكز هذه الارساليات 70 مركزاً رئيسياً و256 مركزاً ثانوياً و9 مستشفيات و426 مؤسسة تعليمية بضمنها خمس كليات، وكان يدرس في كل هذه المؤسسات 25 الف طالب[17] ، وقد تم تأسيس معظم هذه المؤسسات الامريكية على الرغم من القرار الصادر عن السلطات العثمانية

عام 1869 الذي يمنع تأسيس المدارس الاجنبية الا بعد موافقة السلطات العثمانية[18]، وكان المبشرون على علاقة مباشرة مع الادارة الامريكية التي كانت تستغلهم لتنفيذ سياستها في الشرق[19] ويذكر شارل هاملتون نشاط الارساليات الامريكية بقوله: "يعترف الكثيرون بدور الارساليات التبشيرية الامريكية في حصول الشركات الامريكية على امتيازات البترول في الشرق الاوسط"[20].

واشار الى ذلك صراحة الدكتور مون استاذ العلاقات الدولية في جامعة كولومبيا بقوله: "وجدت الجمعيات التبشيرية لهدف الوعظ والارشاد في الاقطار الخارجية، الا انها تعمل في الوقت نفسه من اجل بناء الامبراطورية الواسعة[21]، واعلن استاذ امريكي اخر وهو ديمننت بقوله: "ان نشاطات هذه الجميعات واعمالها تفتح لنا الطريق لعلاقاتنا مع اسيا"[22].

وقد استغلت الولايات المتحدة الجمعيات التبشيرية حجة للتدخل في شؤون الدولة العثمانية كما حصل بعد المذابح الارمنية في عام 1894-1895، اذ ارسلت الادارة الامريكية سفنها الحربية الى المياه الاقليمية العثمانية بحجة حماية المبشرين الامريكان والمطالبة بالتعويض من السلطة العثمانية عما لحق من اضرار بالمؤسسات التبشيرية الامريكية وقد وصلت اسطنبول عام 1900 بعثة امريكية برئاسة الاميرال جستر (Chester) على متن سفينة حربية للحصول على تعويضات وامتيازات للمبشرين الامريكان ولعل في هذا ما يكفي للكشف عن اهداف وواجبات الارساليات التبشيرية الامريكية في الشرق، وهي تهيئة المناخ الملائم لتغلغل النفوذ الامريكي في تلك المناطق[23].

حاولت الحكومة العثمانية الاستفادة من حالة الرخاء الاقتصادي الذي تعيشه الولايات المتحدة الأمريكية، ولكي تتحاشى التعامل مع البريطانيين والفرنسيين وربما ستقلل من ضغطهما المتزايد على اقتصادها ، لذلك اقترحت أن تزيد نسبة الضرائب الجمركية على البضاعة الأمريكية من11% الى20%. ورفضت الحكومة الأمريكية ذلك المقترح مشترطة شمول الزيادة جميع البضائع الأجنبية، ولاسيما الأوربية منها، عندها استخدمت الحكومة العثمانية إحدى مواد معاهدة1862، التي خولت أي طرف إلغاء المعاهدة إذا كان ذلك الإلغاء يخدم مصالحها الاقتصادية ، لتعلن في العام1883 أن معاهدة1862 لم تعد قائمة وان العلاقات التجارية بينها وبين الولايات المتحدة الأمريكية ستنضم على أساس بنود معاهدة 1830، ولم يكن أمام الولايات المتحدة سوى القبول بالقرار العثماني لاسيما ان نص تخويل أحد الطرفين بإلغاء المعاهدة كان من بنات أفكارها وهي التي أصرت على إضافته إلى المعاهدة (24) . ومع ذلك ارتفعت قيمة التجارة بين البلدين في عام1897 إلى سبعة ملايين دولار، بسبب تأثير التجار اليهود ورغبتهم في تنشيط تجارتهم مع الولايات المتحدة (25) .

كان الميزان التجاري ، حتى مطلع القرن العشرين يميل لصالح الدولة العثمانية وكانت الولايات المتحدة الأمريكية تصدر في النصف الأخير من القرن التاسع عشر، إلى الكثير من مناطق الشرق الأوسط، النفط والمواد ذات العلاقة بالمنتجات النفطية فضلاً عن شحنات الأسلحة والذخيرة، التي خلفتها الحرب الأهلية ويبدو انه كلما زادت الصادرات الأمريكية، ولو بشكل قليل، استورد التجار الأمريكيون مقابلها بضائع عثمانية مختلفة كالتين والتمور والأعشاب الطبية والصوف والمواد الكيماوية (26) .

حدثت أول أزمة سياسية بين البلدين خلال المذابح التي ارتكبت ضد الأرمن (1894-1896) [27] ، إذ تضررت، بسبب غياب الأمن والنظام نتيجة للفوضى التي عمت المنطقة، مصالح المبشرين الأمريكيين المادية والمعنوية بما في ذلك سلب الكثير من ممتلكاتهم، وتحطيم بعض البنايات التابعة لهم ،الامر الذي استفز جميع الرعايا الأمريكيين في الدولة العثمانية . وما أن وصلت أخبار تلك الأضرار التي تعرض لها المبشرون الأمريكيون إلى الولايات المتحدة حتى عم الاحتجاج الشعبي ، وطالب بعض المحامين ، من بينهم أرمن يحملون الجنسية الأمريكية ، مطلع العام 1895بـ "إرسال أسطول قوي إلى البحر المتوسط يرافقه عدد مناسب من القوات المنظمة لاعادة ما سلبوه بالمدفعية]...إذ [لا توجد طريقة أخرى لتأمين سلامة رعايانا ، وإذا لم يحدث ذلك فان مواطنينا هناك[سيتعرضون] إلى هجوم أوسع وتدمير ممتلكات أبشع " [28] .وأيد بعض السياسيين استخدام القوة ضد الدولة العثمانية، إذ طالب السناتور كول Cool، عضو مجلس الشيوخ الأمريكي عن ولاية فلوريدا، باستخدام القوة لأجل حماية المصالح الأمريكية عندما قال "أن الأسلوب الوحيد للتعامل مع تركيا] كذا [والحفاظ على المصالح الأمريكية والمساعدة على قيام دولة أرمينية هو إرسال سفن حربية تصل حتى نوافذ غرف السلطان [29] .

رفض الرئيس غروفر كليفلاند [30] Grover Cleveland إرسال قوة بحرية إلى حوض البحر المتوسط لمهاجمة الدولة العثمانية . ففي رسالته السنوية إلى الكونغرس ، في الثاني والعشرين من كانون الأول 1895 ، أوضح الرئيس بأنه لن يخرق مبدأ عدم التدخل التقليدي[31]

وبقيت العلاقة متوترة بين الطرفين ، أخذت الصحف التي تصدر في الولايات المتحدة تطلق على السلطان عبد الحميد الثاني[32] وأركان حكومته صفات مثل " الحاكم الرديء جدا "و" الكريه جداً " وظل المسؤولون الأمريكيون يتحينون الفرص لشن هجوم على الدولة العثمانية،

إذ يقول ثيودور روزفلت[33](Theodore Roosevelt) ، قبل استقالته مباشرة من منصب مساعد وزير البحرية(1897-1898) " إن اسبانيا وتركيا [كذا] دولتان كبيرتان وأنا افضل تدميرهما من بين كل دول العالم "[34].

ثانيا: التوجه الامريكي الى الدولة العثمانية في القرن العشرين حتى اندلاع الحرب العالمية الاولى:

منذ بداية القرن العشرين بدأت الولايات المتحدة تصدر الى الاسواق العثمانية الادوات والمكائن الزراعية والدراجات الهوائية والسيارات والمنتجات النفطية ومكائن الخياطة، اما الواردات الامريكية فكانت التبغ والفواكه المجففة والقطن والسجاد وخامات معدن الكروم بحيث شغلت الولايات المتحدة الموقع الثالث بالنسبة للدول المستوردة من الامبراطورية العثمانية والموقع السادس بالنسبة لتسلسل الدول المصدرة اليها اذ جاءت بعد بريطانيا وفرنسا وايطاليا وبلجيكا وهولندا. واصبحت الولايات المتحدة تحتل المركز الاول في استيراد معدن الكروم من الدولة العثمانية، ففي عام 1910 بلغ مجموع الواردات الامريكية منه 2800 طن ثم ارتفع الى 7815 طن في عام 1911 والى 18200 طن في عام 19135[35].

وقد التجأت الولايات المتحدة الى شتى السبل التي تمكنها من زيادة نشاطها التجاري في الامبراطورية العثمانية حتى انها استغلت سفنها الحربية لنقل البضائع بين الموانيء الامريكية والعثمانية، كما تم فتح خط مباشر للشحن البحري بين نيويورك واسطنبول، وتأسيس "المجلس التجاري التركي- الامريكي" عام 1911 في مدينة نيويورك ، وبعد مضي سنتين على تأسيسه ، ازداد عدد الشركات المنتسبة اليه من 62 الى 429

شركة، كما تم تأسيس "المكتب التجاري لشرقي تركيا" في مدينة خربوط بفضل جهود القنصل الامريكي في المدينة المذكورة [36].

اتجهت السياسة الأمريكية في عهد الرئيسين ثيودور روزفلت ، ووليم تافت[37] William Taft نحو الاستثمار في الشرق الأوسط ، بعد أن أظهرت الدراسات الأمريكية إمكانية التوسع التجاري وتوظيف الأموال الأمريكية في الدولة العثمانية. ورغم عدم امتلاكها موطئ قدم في المنطقة إلا أن البيت الأبيض حاول دعم مصالح رعاياه ، وأصر على أن يتمتع مواطنوه في الدولة العثمانية بفوائد الامتيازات الأجنبية وبالحقوق التي حصلوا عليها في معاهدة 1830. من هنا يمكننا ان نعد هذه المحاولة تصرفاً سياسياً كان نتاجاً للحاجات المتعلقة بمجموعة المصالح الأمريكية المهمة في الشرق الأوسط [38]. كان من بين المستفيدين من دبلوماسية الدولار[39]التي ظهرت في عهد الرئيس تافت الأدميرال ، كولبي جستر[40] Colby M. Chester الذي قدم مشروعا عرف باسمه Chester Project، وهو مشروع لمد سكة حديد بطول4480 كم ، فضلا عن مشاريع استثمارية أخرى [41] في أرجاء الدولة العثمانية كافة بعد أن قدم الباب العالي فرصا مناسبة للمستثمرين الأمريكيين. أسس مع ابنه ارثر جستر Arther Chester وصهره أوليفر مورOliver Moore شركه سميت بشركةماننغ وماكسويل ومور Manning, Maxwell and Moore Co. [42].

اصبحت اهمية جديدة لاقاليم الامبراطورية العثمانية هي توظيف رؤوس الاموال خاصة في مجال التنقيب عن النفط، ففي عام 1909 نجحت شركة جيستر[43] في الحصول على امتياز من الباب العالي ببناء خط

حديدي يبدأ من مدينة سيواس الواقعة في قلب الاناضول حتى مدينة السليمانية عبر مدينتي الموصل وكركوك، وقد تضمن الامتياز التنقيب عن النفط بمسافة 20 كم على جانبي السكة[44] ، لكن جيستر فشل في محاولته التصديق على الامتياز من لدن مجلس المبعوثان العثماني ، وأدت المعارضة الالمانية والبريطانية دوراً في ذلك، وعلى الرغم من هذه الانشطة الدبلوماسية والتجارية التي مارستها الادارة الامريكية تجاه الامبراطورية العثمانية فقد ظلت رؤوس الاموال الامريكية الموظفة في الامبراطورية العثمانية تشكل نسبة ضئيلة بالقياس الى رؤوس الاموال الاوربية الموظفة في الدولة العثمانية قبيل الحرب العالمية الاولى[45].

ومنذ عام 1909 اصبحت الشؤون التركية تتمتع باهمية كبرى في السياسة الامريكية حيث استحدث قسم شؤون الشرق الادنى Division of Near Eastern Affairs في وزارة الخارجية الامريكية، وكان من ابرز رؤسائه البرت بتي (Albert Putney) 1913–1920، والن دلس

(Allen W. Dulles)، 1922–1926 وهولاند شو (Howland Shaw)، 1926–1929 وولاس ميرى (Wallace S. Murray) 1929–1942، وكان الرؤساء ووزراء الخارجية الامريكان يستشيرون هذا القسم في الشؤون التركية [46].

اقتصرت استثمارات الولايات المتحدة على الدولة العثمانية، دون سواها من دول الشرق الأوسط، بسبب أسواقها المفتوحة الواسعة ، وتركزت على المنتجات الزراعية مثل التبغ وعرق السوس والتمر. فبحلول عام1912 أنفقت شركة التبغ الأمريكية عشرة ملايين دولار في شراء وتحضير التبوغ من الدولة العثمانية [47] ، وكانت قيمة التبغ المصدر الى

الولايات المتحدة من سميرنا وحدها حوالي 2,5 مليون دولار عام 1913. وكان لدى الشركة حوالي 1750 أجير في كيوالا Kevalla ، في مقدونيا حاليا، ومئة أجير في سميرنا وثمانمئة في سامسون ومائتين وخمسون في نيقوميديا، أزمت فيما بعد [48] . وجاء عرق السوس [49] في المرتبة الثانية في قائمة الاهتمام الأمريكي، واحتكرت تجارته شركة فوربس وماك اندروز Forbes & Mac Andrews في نيو جيرسي، وكانت تدفع للعمال ، في الجزء الأسيوي، طبقا للكمية المجموعة ، وكانت الجذور تجفف وترزم ثم تشحن الى مراكز الجمع الرئيسة في الإسكندرية وسميرنا وبغداد وباطوم، في أرمينيا حاليا ، وجمعت الشركة في العام1912 من40- 50 الف جذر من عرق السوس وصدرت منه الى الولايات المتحدة ما قيمته1258299دولار [50] . وحصلت شركة ستاندرد اويل/ نيو يورك Standard Oil Of New York، المعرفة اختصارا باسم سوكوني[51] Socony، في أواخر العام1913 على امتياز التنقيب عن النفط في سبع مناطق في فلسطين(من النقب إلى اللد) . وقبل اندلاع الحرب العالمية الأولى (1914-1918) بوقت قصير امتلكت الشركة امتيازات تنقيب في اراضٍ أخرى في سورية وآسيا الصغرى ، ولكن الحرب أعاقت بل أوقفت عملياتها التنقيبية والتصديرية [52] .

ثالثا : التجارة الامريكية مع الدولة العثمانية اثناء الحرب العالمية الاولى

نظرت الولايات المتحدة بقلق الى قرار الحكومة العثمانية في العاشر من تشرين الأول 1914 برفع التعريفة الجمركية على البضائع المستوردة، إذ زيدت بمقدار15% قياسا بسعرها قبل ستة اشهر، ثم في الخامس

والعشرين من الشهر نفسه أصبحت الزيادة 30%. وهذا ما قاد الى تقليص حجم التبادل التجاري بين البلدين. ففي العام1914 بلغت قيمة استيرادات الولايات المتحدة من الدولة العثمانية 2215985 دولار وقيمة صادراتها 3313821 دولار. وأصبحت الأرقام في عام 1915 على النحو الآتي1222770 دولار. وهبطت الأرقام في العام التالي أكثر فكانت قيمة استيرادات الولايات المتحدة من الدولة العثمانية بحدود 864485 دولار أما صادراتها لها فكانت 42169 دولارحسب[53].

وقدمت اسطنبول بعض التنازلات في هذا المضمار، عندما تم تخفيض التعريفة الجمركية بصورة ملموسة، وذلك بموجب قانون صدر في الثالث والعشرين من آذار 1916، وبضمنه جرى تصنيف البضائع التجارية التي كانت تعامل معاملة خاصة بالنسبة للتعريفة. فعلى سبيل المثال تم تخفيض تعريفة المواد المعدنية والكيماوية والطبية الى مابين 10% و15% من قيمة البضاعة. وحددت نسبة التعريفة على المنسوجات بـ 30% من قيمتها. ولكن حتى هذا التخفيض لم يرضِ الأمريكيين وألحوا على الباب العالي بأن يعيد التعريفة الى ما كانت عليه قبل بدء الحرب، ومع ذاك فان التغييرات الأخيرة في التعريفة ساعدت الى حدٍ ما في نمو التبادل التجاري بين الدولتين، إذ ارتفعت صادرات الولايات المتحدة من البضائع الى الدولة العثمانية بمقدار 3,5% في العام1917 عما كان عليه في العام 1916 [54].

ان دخول الامبراطورية العثمانية الحرب العالمية الاولى الى جانب المانيا في تشرين الاول عام 1914، سهل على المانيا تقوية نفوذها السياسي والاقتصادي فيها، اما الولايات المتحدة فالتزمت جانب الحياد على

مدى عامين ونصف مستغلة ظروف الحرب لكي تفرض سيطرتها على الاسواق العالمية بسبب انهماك الدول المتحاربة بالانتاج الحربي، ونتيجة لهذه السياسة الذكية- الحياد- حققت الاحتكارات الامريكية ارباحاً طائلة، كما تحولت معظم الدول الاوربية الى تبعية اقتصادية بسبب الديون الباهضة التي اصبحت بذمتها لدى الولايات المتحدة خاصة بريطانيا وفرنسا، وبعد انتهاء الحرب تركز ثلث احتياطي الذهب العالمي في الولايات المتحدة[55]

وعلى الرغم من الحياد الامريكي في معظم سنوات الحرب، فأن طبيعة الحرب الحقت اضراراً كبيرة في التبادل التجاري بين الولايات المتحدة والدولة العثمانية فاذا كانت قيمة الواردات الامريكية من الدولة العثمانية عام 1913 (22.159.285دولار) وقيمة الصادرات 3.313.821 دولار، فقد اصبحت عام 1915 (12.227.707 دولار) الواردات ، و(994.120 دولار) الصادرات وفي عام 1916 انخفضت الى (864.485 دولار) الواردات و(42.169 دولار) الصادرات[56].

وفي 23 مايس عام 1916 اصدرت الدولة العثمانية قانوناً جديداً خفضت بموجبه ضرائب المكوس على الواردات نزولاً عند رغبة الولايات المتحدة، لكن الادارة الامريكية لم ترض بذلك بل طالبت بالرجوع الى قانون المكوس المعمول في الدولة العثمانية قبل الحرب العالمية الاولى، وعلى الرغم من ذلك فان القانون الجديد ساعد على زيادة حجم الصادرات الامريكية الى الاسواق العثمانية، ففي عام 1917 ازدادت نسبة الصادرات الامريكية الى اسواق الامبراطورية العثمانية بنسبة 3.5 مرة وفي عام 1918 وصلت الزيادة الى (7) مرات عند مقارنتها بعام 1916[57].

وقبل دخول الولايات المتحدة الحرب الى جانب دول الوفاق الودي، اشعرت الادارة الامريكية السلطة العثمانية ان اعلان الحرب من جانبها

ضد المانيا لاينعكس سلبياً على العلاقات الامريكية العثمانية بل ستستمر علاقات الصداقة بين البلدين، وقد نجح الامريكيون في تحقيق بعض التقدم في هذه السياسة، ففي بداية عام 1917 طلب الصدر الاعظم من حكام الاقاليم العثمانية ان لا يسيئوا الى المصالح الامريكية في الامبراطورية العثمانية وان يخبروا السلطة العثمانية في استانبول بجميع نقاط الخلاف حول العلاقات العثمانية الامريكية ليتم مناقشتها مع السفير الامريكي في اسطنبول[58].

ولكن بعد دخول الولايات المتحدة الحرب ضد المانيا في 6 نيسان عام 1917 اضطرات الدولة العثمانية باعتبارها حليفاً قوياً لالمانيا الى قطع علاقاتها الدبلوماسية مع الولايات المتحدة، لكن هذه الخطوة كانت شكلية اذ لم تتأثر العلاقات السابقة بين الدولتين، خاصة التجارية وتسلم السفير الامريكي في اسطنبول رسالة من وزير الداخلية العثماني اكد له فيها على ان العلاقات ستبقى مستمرة بين الدولتين وان قطع العلاقات الدبلوماسية لايغير من ذلك شيئاً[59].

وبعد دخول الولايات المتحدة الحرب ازداد اهتمامها بمستقبل الاقاليم العثمانية وخاصة المضايق والتي أدت دوراً كبيراً في السياسة الامريكية، ففي نيسان عام 1917 وصلت بعثة ارثر بلفور[60] (Balfour Mission) الى واشنطن وناقشت مع ادوارد هاوس (Edward M. House) في مؤتمر رسمي بتاريخ 28 نيسان عام 1917 شروط السلام التي يمكن ان تفرض على المانيا وحلفائها بعد هزيمتهم[61].

وفي هذا المؤتمر رفض الممثل الامريكي ادوارد هاوس الاعتراف بالمعاهدات السرية [62] التي ابرمتها دول الحلفاء ، بعضها مع البعض الاخر حول تقسيم الامبراطورية العثمانية طالما لم تتفق مع المصالح

الامريكية ، كما طالب بان تطبق على تركيا سياسة الباب المفتوح وتكافؤ الفرص بالنسبة لجميع الدول [63].

وفي رسالته الشهيرة التي وجهها الرئيس ولسن (Wilson) الى مجلس الشيوخ الامريكي في 18 كانون الثاني عام 1918 التي تضمنت (14 نقطة) حدد فيها اسس السلام في المستقبل ، وقد ورد فيها ذكر الشؤون التركية ، ففي النقطة الرابعة عشرة اعلن ولسن: "ان الدردنيل يجب ان يفتح بصورة دائمة كممر حر للسفن التجارية لجميع الدول وفي ظل ضمانات دولية"، كما رسم وزير الخارجية الامريكية روبرت لانسنك [64] (Robert Lansing) الخطوط العريضة لوضع اسطنبول تحت الحماية الدولية [65]

وفي الثالث من كانون الاول عام 1918 ناقش اللورد استوس بيرسي (Lord Eustoce Percy) وزير الخارجية البريطاني وديفد ميلر (David Miller) المستشار القانوني للرئيس ولسن في باريس مشكلة تدويل المضايق، وكان مقترح اللورد استوس هو ان توكل عصبة الامم الى الولايات المتحدة مهمة الحماية على هذه المنطقة، اما ميلر فاجاب: "ان مسألة كهذه يبدو من الصعوبة تطبيقها ضمن هذه الامكانيات"[66]، وهذا واحد من المؤشرات التي يستدل منها على ان مشكلة المضايق احدى المشاكل الصعبة التي واجهت دول الوفاق الودي بعد الحرب.

الخاتمة

تعود العلاقات الامريكية – العثمانية الى الربع الاول من القرن التاسع عشر ، وهي في الجانب التجاري في المقام الاول ، ومن ثم في الجوانب السياسية والثقافية . وكانت هذه العلاقات بدرجة اقل اذا ماقورنت بعلاقات الدولة العثمانية مع الدول الاوربية ، ولعل جملة اسباب جعلت الولايات المتحدة في المركز الثاني في تعاملها مع العثمانيين منها بعد الولايات المتحدة عن الدولة العثمانية الذي يبلغ الاف الاميال ، وحداثة الدولة الامريكية الذي لم يمض على عمرها نصف قرن من الزمن ، فضلا عن ان الولايات المتحدة لم تتكامل سياسيا واقتصاديا الافي نهاية القرن التاسع عشر .

وفي مطلع القرن العشرين بدأ النفوذ الامريكي يتزايد في أجزاء الدولة العثمانية بعد ان احتلت الولايات المتحدة المرتبة الاولى في العالم في متانة اقتصادها ، وكذلك تضاعفت قوتها العسكرية عشرات المرات مما اعطاها ثقلا اكبر في السياسة الدولية ، ومن هنا تزايد وجودها في منطقة الشرق الاوسط ومنها اراضي الدولة العثمانية .

التزمت الولايات المتحدة جانب الحياد في الحرب العالمية الاولى ، وهذا ساعدها على تطوير اقتصادها ، وخصوصا الصناعات المدنية ، بسبب انشغال الدول الاوربية بالصناعات العسكرية ، فظلت علاقاتها قوية بالأطراف المتحاربة حتى حققت ارباحا طائلة . وبانتهاء الحرب العالمية

الاولى اصبح الاقتصاد الامريكي يحتل مركز الصدارة في العالم ، كما تضاعفت الثروة القومية للولايات المتحدة وكذلك رساميلها الموظفة في الخارج ، ومن الطبيعي ان يؤدي هذا التطور الاقتصادي الى تحول كبير في سياسة الولايات المتحدة الخارجية ، وهذا يعني وجوب حصول الولايات المتحدة على مواقع جديدة في العالم تتناسب مع مكانتها الاقتصادية الجديدة .

الهوامش

(1) اصطلاح "الشرق" كان يعبر عنه سكان بحر ايجة القدماء، اصطلاح اسو او اسيا الذي يشير الى الاراضي التي تقع في شرقهم والتي تشرق منها الشمس واستمر الاصطلاحان في بعض اللغات، كالانكليزية والفرنسية، الى الوقت الحاضر للتعبير عن قارة اسيا وفي هاتين اللغتين قسمت اسيا تقسيما غير محدد فاطلق على القسم الغربي منها القريب من اوربا، تسمية الشرق الادنى. كما اطلق على القسم الشرقي، البعيد تسمية الشرق الاقصى، وهناك مناطق فيما بين القسمين كالهند والجزر المحيطة بها، ويبدو ان تعبير الشرق الاوسط قد اطلق عليها، وفي الغالب ان تعبير الشرق الاوسط حديث ولم يستعمل الا في اثناء الحرب العالمية الثانية، ومنذ استعماله اخذ يتضاءل استعمال تعبير الشرق الادنى، واستعمال مصطلح "الشرق الاوسط" لم يعرف الوضوح والاستقرار، فكل كاتب، وكل منظمة اهلية كانت ام حكومية او دولية تمد في حدوده او تضيق الى المدى الذي يتسع لاغراضه او اغراضها راجع: ابراهيم شريف، الشرق الاوسط، بغداد، وزارة الثقافة والارشاد، 1965، ص15.

(2) ظهر مصطلح الدول الكبرى رسمياً لأول مرة إبان مؤتمر فينا (1814 - 1815) الذي حددها بكل من النمسا وبريطانيا وروسيا وفرنسا ، وفي سبعينات القرن التاسع عشر اصبحت كلٍ من ألمانيا وإيطاليا في مصاف الدول الكبرى ثم تبعتهما في نهاية ذلك القرن وبداية القرن التالي الولايات

المتحدة الأمريكية واليابان بعد إزاحة النمسا ، بمعنى إن مصطلح الدول الكبرى مصطلح مجازي غير ثابت ، وإن سعة المساحة وكثرة عدد السكان لا تحددان بالضرورة طبيعة دولة ما كواحدة من الدول الكبرى بل مقدار تأثير تلك الدولة على الأحداث العالمية من خلال فوتها العسكرية ومتانة اقتصادها وتأثيرها السياسي .

(3) في الثالث من كانون الاول 1823 واجه الرئيس مونرو رئيس الولايات المتحدة حينذاك احتمال تدخل دول الحلف المقدس لمساعدة اسبانيا للسيطرة على مستعمراتها في امريكا اللاتينية والتي خاضت حروب الاستقلال اخيراً. فاعلن ان القارتين الامريكيتين ينبغي ان تستبعد بعد (الان) عن احتمال التعرض لأي استعمار اوربي جديد، وان محاولة أي دولة اوربية ممارسة استعمار كهذا يعتبر تهديداً خطيراً لسلامة وامن الولايات المتحدة راجع: عبد الوهاب الكيالي وكامل زهيري، الموسوعة السياسية، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1974، ص484.

(4) نوري عبد البخيت السامرائي، محاولات تغلغل الرأسمال الامريكي في الامبراطورية العثمانية قبيل الحرب العالمية الاولى، المؤرخ العربي العدد 30، 1986، ص67؛ نبيل محمد سليم ، تطور العلاقات التركية-الامريكية في ظل التغييرات الدولية المعاصرة، رسالة دكتوراه غير منشورة ، كلية العلوم السياسية- جامعة بغداد، 1997، ص 8

(5) Morison, S.E., The Maritime History of Massachusetts 1737 - 1860 ; Cambridge- Mass., Oxford University Press, 1961, P - 224

؛لقاء جمعة عبد الحسن جبار الطائي ، العلاقات التركية – الامريكية في عهد كمال اتاتورك 1923 – 1938 ، اطروحة دكتوراه غير منشورة ، كلية التربية (ابن رشد) ، جامعة بغداد ، 2006 ، ص9

(6)ibid , p . 213؛

سحر خضير عباس ، سياسة الولايات المتحدة تجاه تركيا 1917 – 1923 دراسة تاريخية ، اطروحة دكتوراه ، كلية الاداب ، جامعة بغداد ، 2002 ، ص 12

(7) ibid . p . 225

(8)Issawi, Charles, The Economic History of Turkey 1800-1914 ,Chicago - London, The University of Chicago Press, 1966, P.18

(9)Trask, Roger R., The United States Response to Turkish Nationalism and Reform 1914-1939, Minneapolis, The . University of Minnesota Press, 1970, P. 4

;سحر خضير عباس ، المصدر السابق ، ص 18

(10) Qutedin , J. Gordon , American Relations with Turkey 1830-1930,Philasdelphia,1932,P.9.
(11)Ibid, P. 4 .

(12) Ge. Mears, Modern Turkey, New York, 1924, P.261.

(13) Craf, John R., Economic development of The United States, New York, Mograw . Hill book Company, Inc., 1952,P.44

(14) دأبت السفن البريطانية على نقل العبيد الذين يجلبون من افريقيا الى دول حوض البحر المتوسط ، ثم يقوم التجار البريطانيون بنقلهم الى اوربا ا والى قارة امريكا . وقد تزامن هذا النشاط مع بروز موجة تحرير العبيد في

الولايات المتحدة . ينظر : ريجينا كيلي ، لنكولن ومعركة الرئاسة ، ترجمة سلامة عبيد ، القاهرة ، 1966 ، ص 75 .

(15)Earle E M *Turkey The Great power and Baghdad Raliway Astudy in imperialism *New York *Russell and Russell *1966 *p 218

(16)E. G. Mears, Modern Turkey, New York, 1924, P.261

(17) نوري عبد البخيت السامرائي، محاولات تغلغل الرأسمال الامريكي، ص68.

(18)Foreign Relations of the United States, 1893, PP.590-675

(19) J. Gordon, Op. Cit, P.244

(20)C. H. Hamiltion, American and Oil in the Middle East, Bouston , 1962, P.11

(21) مون ، الاستعمار والسياسة الدولية، موسكو، 1928، ص25.

(22) Dennett, American Relations with Turkey, New York, 1941, PP.558-562
(23)Earle *Op-Cit* P 297

(24) Gordon, Leland Jams, American Relation With Turkey 1830-1930 An Economic Interpretation, Philadelphia, University Of Pennsylvania Press, 1932, P.79

(25) Roger Trask Op – Cit *P 12

(26) آداموف، آلكسندر، ولاية البصرة في ماضيها وحاضرها، الجزء الثاني، ترجمة د.هاشم صالح التكريتي, البصرة، مركز دراسات الخليج العربي، 1989،ص227.

(27) الأرمن: وهم من اقدم شعوب الشرق الأدنى، ونتيجة لموقع بلادهم المتميز، كانت أرضهم من أهم ميادين التوتر والحروب بين الدولتين العثمانية والصفوية، ثم دخلت روسيا القيصرية ميدان الصراع حول أرمينيا، وأخذت لنفسها القسم الشرقي من أرمينيا واحتفظ العثمانيون بالقسم الغربي منها. وللظروف الاقتصادية والاجتماعية التي عاشها الأرمن نشأت الحركة الوطنية الأرمنية وقادت العديد من الانتفاضات. فبرزت مخاوف السلطات العثمانية من انفصال أرمينيا عنها فحدثت مذابح1894-1896. انظر:

أحمد ، كمال مظهر، كرد ستان في سنوات الحرب العالمية الأولى، ترجمة محمد الملاعبد الكريم، الطبعة الثانية ، بغداد ، دار افاق عربية ، 1984 ، ص ص 235 – 250 .

(28) Quoted in : De Novo, John, American Interests and Policies in the Middle East (1900-1939), Minneapolis, The University of .Minnesota, 1963, P. 5

(29) Quoted in, Sonyel, Salahi Ramsdom, the Ottoman Armenians , London, K.Rustem &Brothers, 1987,P.195

(30) غرو فر كليلفلاند: أول رئيس ديمقراطي يتولى الرئاسة الأمريكية بعد الحرب الأهلية ولدورتين الأولى (1885-1889) والثانية (1893-1897) نتيجة دعوته لاصلاح النظام الإداري وتبنيه مطالب الحماية الجمركية ، وتعميم قاعدة الذهب كأساس للتعامل الاقتصادي ومع ذلك فقد عانت ولايتيه أزمات اقتصادية وسياسية كبيرة جداً. انظر:
.Encyclopaedia Americana, Vol.7, P.41

(31) شهدت الولايات المتحدة أزمات اقتصادية بين 1873 –1898، فعمت البلاد مظاهرات سلمية قادها العمال العاطلون عن العمل ، سميت

بمسيرات الجوع ، وسرعان ما تحولت تلك المظاهرات إلى صدامات مسلحة بين العمال ورجال الشرطة ثم استخدمت الحكومة الأمريكية رجال الجيش لإنهاء المظاهرات خلال الأعوام 1893 إلى 1898، وكان ابشعها تلك التي جرت في ساحة هَيْ ماركت بشيكاغو الرابع من أيار عام 1886 ، إذ راح ضحيتها اربعة متظاهرين وسبعة من رجال الشرطة فضلا عن سبعين جريحا . للتفاصيل انظر :

Agar, Herbert, The United States, The Presidents, The Parties And the Constitution, London, Eyre&Spottis wood, 1950,PP.524-526, 601-603

(32) عبد الحميد الثاني : السلطان الرابع والثلاثين للدولة العثمانية ، تسلم الحكم خلفا لشقيقه مراد الخامس (أيار- اب1876). حكم رسميا ثلاثة وثلاثين عاما، اثنان وثلاثون حاكما فعلياً وسلطاناً أوحداً على البلاد وسنة واحدة وهي الأخيرة كان مجرد شخص يجلس على العرش وكانت السلطة الفعلية بيد جماعة الاتحاد والترقي. حفلت سنوات حكمه بأحداث تاريخية مهمة منها إعلان الدستور وإلغاؤه وسريان الروح الوطنية والعمل السري الفعال في الأقاليم للتخلص من الحكم العثماني فضلاً عن العجز والضعف الاقتصادي اللذين لم يسبق لهما مثيل . انظر:

Shaw, Stanford and Ezel, the History of Ottoman Empire and the Turkish Republic

.Cambridge, Cambridge University Press, 1972,PP.181-232

(33) ثيودور روزفلت : عسكري وسياسي أمريكي بارز، عمل على توسيع الهيمنة الأمريكية في نصف الكرة الغربي والشرق الأقصى، ومقاومة نفوذ الأوربيين في الأمريكيتين. كما عمل على تحجيم اتحاد الشركات الاحتكاري Trusts خلال رئاسته التي استمرت لدورتين متتاليتين (1901-1909). انظر:

.Encyclopaedia Americana, Vol. 23, PP. 690-692

(34) Quoted in Ager, Op.Cit, P.610

(35) Commercial Relations, 1977, P.47

(36) Commercial Relations, 1977, P.48

(37) وليم تافت : ولد في أيلول 1857 في سنسناتي Cincinnati باوهايو،درس القانون في جامعة ييلYale،في نيوهيفن بولاية كونكتيكت، وتخرج فيها عام 1878. كان جمهورياً بارزاً. رشحه الحزب لخوض الانتخابات الرئاسية عام 1909، وتم انتخابه رئيساً بين1909 وحتى1913. عين رئيسا للمحكمة العليا عام1921 وبقي في منصبه حتى وفاته عام1930 . انظر :

Vol. 26, PP.222- 224. Encyclopaedia Americana,.

(38) P .17 . DeNovo, American, P.48; Trask, Op.Cit,

(39) دبلوماسية الدولار هي سياسة امريكية جديدة تعتمد على ربط الاستثمارات الامريكية في الخارج (حكومية او اهلية) بالنشاط الدبلوماسي الامريكي تجاه دول العالم . يراجع : كمال مظهر احمد ، المصدر السابق ، ص ص 44 – 45 .

(40) كولبي جستر : ضابط بحري أمريكي، سبق له زيارة الدولة العثمانية عام1900 أثناء المفاوضات التي جرت بين الحكومة العثمانية وشتراوس حول تعويض خسائر المبشرين الأمريكيين التي نجمت عن مذابح الأرمن . انظر:

.Earle, Op.Cit, P.297

(41) كان من المؤمل أن يتولى المشروع مهمة التنقيب واستغلال حقول النفط بمسافة عشرين كيلو متر على جانبي سكة الحديد لولايات أرضروم وتبليس ووان والموصل، ومناجم النحاس في أرمينيا، وكان المشروع يصب في مصلحة الطرفين، إذ ستجلب سكة الحديد التقدم الاقتصادي للدولة العثمانية، وستستورد المواد الداخلة في تشييدها من الولايات المتحدة، فضلا عن المنطقة التي ستمر السكة من خلالها ستكون سوقا للمنتجات الأمريكية ومكاناً مناسباً لاستثمار رأس المال الأمريكي، وهذا هو التطبيق العملي لدبلوماسية الدولار. انظر:

;Ibid. PP.342-343

(42)Potter, Jim, American Economic between the World Wars, .London, Macmillan, 1974, PP.110-111

(43) قامت الولايات المتحدة في عام 1909 بتأسيس شركة الانماء العثمانية - الامريكية

"Ottoman -American Development Company"

لتنفيذ هذا الامتياز، واصبح جستر رئيس مجلس ادارة الشركة والمتحدث والمفاوض لتلك الشركة مع السلطات العثمانية، وكان رأسمال الشركة 500 مليون دولار ساهمت فيها شركة ستاندراويل ومؤسسة مور للخطوط الحديدية الامريكية ومورجان ومؤسسات امريكية اخرى . ينظر : كريم مطر حمزه الزبيدي ، سياسة الولايات المتحدة تجاه تركيا 1945 – 1960 ، اطروحة دكتوراه ، كلية الاداب ، جامعة بغداد ، 1999 ، ص 24.

(44)B. Shwedren , The Middle East Oil and The Great Powers, ;New York, 1959, P.198

;نبيل محمد سليم، المصدر السابق، ص16.

(45) George Lenczowski, The Middle East in World Affairs, .London, 1980, P.792

الكتاب مترجم الى اللغة العربية، ترجمة جعفر خياط ونشر عام 1964.

(46) John A. Denovo, American Interests and Policies in The .Middle East 1900-1939, Minneapolis , 1963, P.249

;هشام سوادي هاشم السوداني ، العلاقات العثمانية الامريكية 1908 – 1920 ، اطروحة دكتوراه ، كلية التربية ، جامعة الموصل ، 2002 ، ص 30

(47) كانت الشركة تجلب التبوغ من سميرنا ثم تقوم بمزجه مع ورق نبات أمريكي لتصنع منه السجائر، التي كثر الطلب عليها في عموم الولايات المتحدة . انظر :

.DeNovo, American, P.60; Craf, Op. Cit, P.75

(48)DeNovo, Op. Cit, P. 61

(49) كان عرق السوس يستخدم بشكل رئيس في صناعة العلكة والسكريات، ولتحلية التبغ ولصبغ وتحلية الجعة انظر: آداموف ، المصدر السابق، ص 233.

(50) المصدر نفسه، ص 235؛

.DeNovo, American,P.61

(51) استبدلت سوكوني اسمها، عام 1956، الى موبيل أويل Mobil Oil .ا نظر

Sampson, Op.Cit, P.VI

(52) Gordon, Op.Cit, P.175

(53) Ibid. P.35, Table 4; Boratov, Korkut, Turkiye Iktisat Tarihi 1908- 1985,IkinciBaski, Istanbul, Turk Tarih Kurumu, 1988 ,S.15

(54) Baratav, Op.Cit, S.16; Shpilikova, Op.Cit, P.41

(55) J. Gordon, Op. Cit, P.60

(56) نوري عبد البخيت السامرائي، العلاقات الامريكية – التركية، بحث غير منشور ، ص9.

(57) المصدر نفسه ، ص 10

(58) Foreign Relations of The United States, Supl 1, Vol.1, 1917, P.11

(59) Foreign Relations of The United States, Supl 1, Vol.1, 1917, P.600.

(60) جيمس ارثر بلفور (1848-1930) سياسي بريطاني من حزب المحافظين تقلب في عدة مناصب سياسية هامة من نائب الى رئيس وزراء، تنازل عن رئاسة حزب المحافظين بعد سلسلة من الهزائم السياسية المريرة، اصبح وزيراً للخارجية في حكومة لويد جورج، اشتهر بوعده الشهير حول اقامة وطن قومي لليهود في فلسطين عام 1917. راجع

The New Encyclopedia Britannica Volume1, P.757

(61) Yilmaz Altug, The United States of America's Policyes Towards Turkish Straits, Belleten, Dort Aydabir Cikar, April, .1992, P.179

(62) ابرمت بريطانيا وفرنسا وروسيا اتفاقيات سرية في اذار عام 1915 جاء فيها ان تاخذ روسيا بعد النصر القسطنطينية والمضايق ، وفي اذار

عام 1916 عقدت فرنسا وبريطانيا وروسيا اتفاقاً لتقسيم الممتلكات العثمانية في اسيا وفي شباط عام 1917 تم التوقيع على اتفاق سري فرنسي-روسي، تعهدت فيه روسيا بمساعدة فرنسا لاسترجاع الالزاس واللورين وضم اقليم السار وتأسيس دولة مستقلة على الضفة اليسرى لنهر الراين. وبعد ثورة اكتوبر (تشرين اول) 1917 في روسيا ونهاية الحكم القيصري فيها، كشف لينين عن هذه المعاهدات السرية ونبذها. راجع: بيير رنوفن، تاريخ القرن العشرين، ترجمة : نور الدين حاطوم، دمشق، 1965، ص59.

(63)Haward , The Portition of The Turkey, Oklohoma, 1931, P .231

(64) روبرت لانسنك (1864-1928)، اكمل دراسته عام 1886، وفي عام 1890 تزوج ابنة جون واتسن فوستر الذي كان وزيراً للخارجية الامريكية بين عامي 1892-1893، وقد فتح هذا الزواج له دوراً غير متوقع. وفي عام 1914 عين مستشاراً في وزارة الخارجية الامريكية. وفي عام 1915 اصبح وزيراً للخارجية الامريكية، اشترك في عدة مؤتمرات دولية. راجع:

.The Encyclopedia Americana , Volume :16, P.734 -

(65) Yilmaz Altug, Op. Cit, P.180

(66) Ibid . p 180

المبحث الثاني:

صفحات

من ماضي كورد تركيا

المقدمـــة

الكرد شعب له ثقافته ولغته وتأريخه , وعاش متجانسا مع الشعوب المحيطة به من عرب وترك وفرس , وقد جمعهم مع هذه الشعوب الأسلام والارض التي عاشوا ويعيشون عليها جميعا . كما ان الدولة العثمانية التي ينظر اليها على انها وريثه للعباسيين شملت معظم هذه الشعوب ,ورغم ذلك فإن الكرد ثاروا ضد العثمانيين مرات عده مطالبين بحقوقهم .

يتركز الكرد في ثلاث دول (ايران – العراق – تركيا) , وفي هذه الدراسة تسلط الضوء على الكرد في تركيا , وفي عهد مصطفى كمال (1923-1938) . الجانب السياسي هو المحور الاساسي في هذه الدراسة فضلا عن شذرات في الجانب الأجتماعي دون المرور على الجانب الأقتصادي .اي تركز على موقف الكرد من النظام العلماني الذي جاء به الكماليين عقب الحرب العالمية الأولى .

قسمت الدراسة الى ثمان مباحث موجزة ، حيث خصص المبحث الاول عن الموقع الجغرافي لكردستان تركيا و لمحة تاريخية عن كردستان , وفي المبحث الثاني سلط الضوء على كلمة الكرد ودلالتها اللغوية ، ونشأة الشعب الكردي . اما المبحث الثالث تناولنا فيه مميزات الشعب الكردي و طبائعه . والتطور التاريخير كان نصيب المبحث الرابع ، فكان الحديث عن الكورد في ظل السيطرة العثمانية . وفي المبحث الخامس استعرضنا علاقة الكرد بالعثمانيين في القرن التاسع عشر الميلادي والتي تمثلت بعلاقة

المجابهة وكانت حصيلتها ثورات كوردية ضد العثمانيين ومنها ثورات الأمير بدرخان ويزدان شير وعبد الله النهري ، وتطرق المبحث السادس الى الجمعيات الكردية في مطلع القرن العشرين واهم نشاطاتها ، ثم بعد ذلك انتقلنا الى المبحث السابع الذي تحدثنا فيه عن علاقة الكرد بمصطفى كمال واخيرا" تحدثنا في المبحث الثامن..عن أهم الثورات الكردية في القرن العشرين ، ومنها في سنة 1925 اندلعت ثورة الشيخ (سعيد بيران) وفي سنة 1927 بدأت ثورة (ارارات) وفي سنة 1937 حدثت ثورة (سيد رضا) . وكانت هذه الثورات نتيجة طبيعية لسياسة مصطفى كمال التعسفية التي أتبعها مع الكورد الذي ولد عندهم الشعور القومي ومن ثم انتشاره .

كانت روافد الدراسة مجموعة من الكتب والدراسات ولعل من اهمها : (تاريخ الأكراد الحديث لديفيد مكدول) وهو كتاب قيم يحوي معلومات تفصيلية عن الكورد افادتنا في بحثنا هذا ، و (ألقضية الكردية في تركيا لحامد محمود عيسى) وهذا الكتاب يكتسب من الاهمية كونه دراسة اكاديمية عن تطلعات الكورد وعلاقتهم بالسلطة التركية . و (ألكرد والمسألة الكردية لشاكر خصباك) وهو من الكتب المهمة التي اسهمت في بناء دراستنا هذه لتحليلات مؤلفه الموضوعية للاحداث التي مرت بالكورد وكردستان .فضلا عن مصادر أخرى مثبتة في قائمة المصادر .

وفي الختام ارجو ان تكون هذه الدراسة مفيدة للباحثين ، متمنيا ان تكون اساسا لدراسات اكاديمية اوسع تسلط الاضواء على مختلف جوانب الحياة للكورد والتطور التاريخي لكردستان .

أولا : كردستان.. الجغرافية والسكان

كردستان :- ومعناه بلاد الكرد وهي مصطلح يتكون من كلمتين كرد وهي اسم الجنس البشري وستان ومعناه وطن او بلاد أي ان كردستان معناها بلاد او وطن الكرد[1].

وكردستان هضبة فسيحة واقليم جبلي مساحته بحدود (91660كم^2) ويسكنه الكورد ، وتشمل اجزاء من تركيا الشرقية وارمينيا السوفيتية وشرق العراق وشمال غرب ايران ، وفي ايران يتركز الكورد في اذربيجان وخراسان وبعضهم في فارس ،وفي تركيا يسكنون قرب الحدود التركية- الايرانية في المنطقة المحيطة ببحيرة (وان) الى جانب المنطقة المحيطة بديار بكر وارضروم[2]. وفي العراق يتركز الكورد حول الموصل وكركوك والسليمانية ، وسكان السليمانية كلهم من الكورد وفي القوقاز الروسية يؤلف كورد اريفان والمدن المجاورة اقلية صغيرة تربطهم بالايرانية صلات اثنولوجية [3] .

وبلغ عدد الكورد حسب تقديرات عام 1975م بحدود24 – 25 مليونا يعيشون في الشرق الاوسط ، ونصف هذا العدد يعيش في تركيا ، على الاقل 13 مليونا ، ويشكلون نسبة19% من عدد السكان ، ولكن نسبة التكاثر لديهم هي الضعف تقريبا بالنسبة للاتراك[4] .وهؤلاء هم قوم رحل معظمهم يشتغلون بتربية الاغنام والزراعة وصناعة السجاد . ومعظم الكرد مسلمون (سنيون) ، وهم شعب محارب لم يقبلوا الحكم الاجنبي طويلا خلال كل تاريخهم[5] ، والنقطة المهمة التي تستحق النقاش هي كم من هؤلاء تنصلوا من هويتهم الكردية ؟ من المؤكد ان الكثير من الكورد في تركيا قد انصهروا في الامة التي سعى اتاتورك الى تأسيسها في العشرينيات والثلاثينيات من القرن الماضي[6]

اطلق اسم كردستان بالمعنى على مقاطعة فارسية قديمة وقد ظل الكورد قرونا يكافحون في سبيل الحصول على الاستقلال الذاتي من الحكم العثماني ، وفي معاهدة الصلح بباريس 1919 اعادوا تأكيد مطالبهم بالاستقلال وقد نصت معاهدة سيفر على انشاء دولة كردية تتمتع بالحكم الذاتي ، ولكن معاهدة لوزان عام 1923 لم تذكر فيها أي حقوق للكورد ،ولم تؤد ثورات

الكورد في 1925 و1930 الى نتائج محررة من حيث الحصول على الحكم الذاتي ، وفي 1946 قام كورد ايران بالثورة لكنها اخمدت واعدم زعمائها[7].

ومنطقة كردستان لها اهمية جغرافية واقتصادية كبرى فهي احدى الصلات بين الشرق والغرب ، وفيها تتفجر منابع غزيرة من النفط الحيوي للعالم فمن مصلحة العالم كله ان يسود السلام في تلك المنطقة . ولاشك ان الضمير العالمي يود ويعمل على ان تسود مبادئ العدل ومبادئ حقوق الانسان[8] . ويمكن القول ان سنجار اخر ملوك السلاجقة اطلق مصطلح (كردستان) على احدى مقاطعات مملكته في القرن الثاني عشر الميلادي ، وكانت هذه المقاطعة تضم عدة ولايات(همدان ودينور وكرمنشاه) وفي غيرها تقع ولايتا (شهرزور وسنجار) . امام عاصمتها فكانت قلعة بهار الواقعة شمال شرقي همدان .وكانت هذه المنطقة قبل القرن الثاني عشر تدعى جبال الجزيرة او ديار بكر[9] .

اول مؤرخ ذكر كلمة كردستان هو القزويني في كتابه المسمى(نزهة القلوب) سنة 740هـ أي في القرن الرابع عشر للميلاد. وكانت مقاطعة كردستان ستة عشر قضاءا اداريا. وقد اجمع المؤرخون الشرقيون على ان القسم المدعو كردستان الفارسي لم يكن سوى جزء من مقاطعة اطلق عليها العرب اسم (مقاطعة الجبال) اما القسم الاخر في كردستان فهو يقع اليوم ضمن حدود تركيا والعراق فيعرف باسم ديار بكر . ولكن بعد غزو المغول في مطلع القرن الخامس عشر للميلاد لم يعد كردستان الفارسي يتضمن سوى المناطق الجبلية [10] وفي القرن الخامس عشر الميلادي فقدت مقاطعة كردستان معظم اجزائها اذ استولى الفرس على ولايتي همدان ولورستان ، وفي اواخر القرن السابع عشر اطلق العثمانيون اسم (كردستان التركي) على احدى ولاياتهم التي كانت تشمل لواء ديرسيم ولواء

موش ولواء ديار بكر ، اما الجمهورية التركية الحالية فلا تعترف بوجود العنصر الكوردي بل تطلق على الكورد اسم اتراك الجبال [11] .

ثانيا : الكـورد ..المصطلح ونشــأة الشعب

جاءت كلمة كرده كردا أي معناه طرده وكفه ، والكورد جيل من الناس يسكنون شمالي العراق الواحد . كردي[12]

وجاء في كتاب الرائدان كلمة كرده – يكرد – كردأ وتعني القطع فمثلا" كرد الشيء قطعه ومصدرها الكرد بالفتح ومعناه الأخذ بقفاه[13].

وتأتي كرد اصطلاح في الموسيقى العربية ويطلق على النغمة الثالثة الصغيرة مايلي.الأولى المسماة (ركاد) أو (راست) وتسمع هذه النغمة في الة العود من سبابة الوتر الثالث (دوكاه) وتقع من مطلقه على نسبة (16/15) وقد تسمع على نسبة (21/20) من طول الوتر فيسمونها (كردي نهاوند) ويسمى بأسم (كردي) جماعة النغم التي تستقر على نغمة (دوكاه) وتتألف منها صيغة لحنية تعرف بأسم (مقام كردي) والجنس المميز في هذه الجماعة التسليم هو القوى المنكس غيرالمنتظم ويسمى اصطلاحا" (جنس الكرد) [14] والكرد في اللغة تأتي من السوق أو مطاردة ودافعة[15] .

الكورد مصطلح يستخدم للتمييز عن الشعب الكردي الذي يتألف من طبقتين من الشعوب ، الطبقة الاولى : التي كانت تقطن كردستان منذ فجر التاريخ ويسميها المؤرخ العراقي الكردي (محمد أمين زكي) شعوب جبال زاكروس وهي شعوب لولوبو ، كورني، جوني، جودي، كاساي، سوباري ، خالدي، مينائي، هوري ، منابري ،وهي الاصل القديم للشعب الكردي[16]

والطبقة الثانية هي طبقة الشعوب الهند-اوربية التي هاجرت الى كردستان في القرن العاشر قبل الميلاد ، واستوطنت مع شعوبها الاصلية من الميدين والكاردوخيين ، وامتزجت مع شعوبها الاصلية ليشكلوا معا الامة الكوردية[17].

هناك نوع من الاتفاق بين المستشرقين والمؤرخين والجغرافيين على اعتبار المنطقة الجبلية الواقعة في شمال الشرق الاوسط بمحاذاة جبال زاكروس وجبال طوروس ، المنطقة التي سكن فيها الكورد منذ القدم ،ويطلق الكورد تسمية كردستان على هذه المنطقة . وهذه المنطقة هي اجزاء من شمال العراق وشمال غرب ايران وشمال شرق سوريا وجنوب شرق تركيا ، فضلا عن تواجدهم باعداد قليلة في جنوب غرب ارمينيا وبعض مناطق اذربيجان ولبنان ، ويعد الكورد من احدى القوميات التي لاتملك دولة مستقلة او كيانا" سياسيا" موحدا" معترفا" به عالميا"[18].

تعرضت الدراسة الاكاديمية لتاريخ الكورد الى صعوبات عديدة بسبب الواقع السياسي للكورد مما أدى للبعض الاستناد الى روايات تاريخية غير أكاديمية عن الاكراد كأنحدار الكورد من الجن والعفاريت على سبيل المثال[19].

وهناك طبقتان للكرد الطبقة الاولى انها كانت تقطن كردستان منذ فجر التاريخ ويسمونها (شعوب جبال زاكروس) والطبقة الثانية هي طبقة (الشعوب الهندو- اوربية) ndo–european i التي هاجرت الى كردستان في القرن العاشر ق.م كما ان في قصص الانبياء أن الكورد هم من اصول (ارية) أي ابناء (اري) ابن نوح عليه السلام ،أما بخصوص اصل الكورد ومنحدرهم العرقي ، فمازال هناك نقاش حول الموضوع ، وان كان اغلب الباحثين متفقين على انهم ينتمون الى (المجموعة الارية) ،ومع ذلك فهناك نظريتان حول اصل الكورد نوجزها بما يلي[20]

الاولـــى تضمنت ادعاء بعض المستشرقين بانتساب جميع الكورد الى منظومة (زاجروس) التي تضم اقوام (لوللو و كوتي و كاساي و سوباردا و هوري) اللذين سكنوا اواسط دجلة من (بوكان وجبل جودي عبر بزايدة) (التي اطلق عليها العرب اسم جزيرة ابن عمر) الى سلاسل جبال زاجروس شرقا" ، وكان العيلاميون يسكنون في الجنوب الشرقي من هذه الاقوام[21].

الثـــانيـــة التي تؤكد ان عناصر (هندو – اوربية) او (ارية) هاجرت منذ ثلاثين عصرا" قبل الميلاد نحو (زاجروس) ومن ثم الى شرقها وغربها واندمجت ببقايا اهالي (زاجروس) ،وشكلت الطبقة الثانية لمنظومة (زاجروس) المسماة بـــ(الاريين) ـ هذا الى جانب العديد من الاراء المتطابقة والمختلفة التي توخى المعنيون منها تأصيل الكورد وتحديد منحدرهم العرقي ومعرفة اجدادهم وربطهم بشعوب تاريخية عدة[22] .

ثالثا : الشعب الكردي .....مميزاته وطبائعه

يمتاز الشعب الكردي بنظامه العشائري وروحه القبلية فالكورد يعيشون جماعات في منعزل عن المجتمع المحيط بهم فنراهم يشكلون دولة وسط دولة حتى في المجتمع السوفياتي نفسه . وهذا هو سبب الاعتقاد السائد بأن الشعب الكوردي هو عنصر فوضى وشغب ، والكردي فخور بأصله ونسبه مخلص لرئيسه يضحي بدمه فداء لبني قومه وهو فارس شجاع يحب الحرب وتروق له الملابس الزاهية الالوان.. أما في حياته العائلية فهو اب حنون وزوج مخلص لزوجته . وفي اوقات الفراغ يحب الكردي الغزل والاناشيد الحربية[23].

يميل الكورد الى الحرية والاستقلال والتمسك بقوميتهم لذلك اعتصموا بالجبال الشامخات واستقروا في الوديان العميقة وهذا ماحال دون تقدمهم في الحياة ، وقد حنوا على انفسهم بما طبعوا عليه من الصفات وذلك مثل عدم رضوخهم لأية سلطة حكومية ورفع لواء العصيان دائما" عليها ،

ومثل انضمامهم الى الحكام الاقوياء وتجنيدهم ليحاربوا لهم ويدافعوا عنهم رغم كون هؤلاء الحكام اجانب لايهمهم عاشوا ام هلكوا[24].

الخلاصة فأن الكوردي يميل بطبيعته وفطرته الى حياة التوطن والاستقرار ولا ينفر منها اذا وجد اليها سبيلا"، وفي الوقت الحالي لم يبق من الكورد عشائر رحالة الا القليل مثل الهركية والجاف والخيلانية و الميزائية . اما كورد بهدينيان فقد اشتهروا قديما" بنشاطهم واستعدادهم لأعمال الزراعة والفلاحة[25] .

وانتشرت بينهم العلوم والمعارف ووجدت المدارس العلمية والعمارات الجميلة . وللكورد الباع الطويل بحقوق الوالدين واكرام الضيوف ومراعاة الامور الدينية وتأدية حقوق الناس وأنصاف المظلوم من الظالم والاعتراف بفضل المحسن والاقرار بفضلذي النعم والتضحية بالروح والقلب في سبيله، وحقيقة الامر كل من رأى الكوردي وعاشره من العلماء والاجانب والرحالة النابهين ودا من الزمن اظهر اعجابه وتقديره العظيم لصفاته السامية واخلاقه المتينه[26] .

اما بالنسبة لحقل الدين فالكردي يضع مصلحة القبيلة في منزله قبل فروضه الدينية غير ان ذلك لايصرفه عن الروحانيات والتمسك بالمعتقدات ، ويتجلى التراث الكوردي في الغناء الشعبي والفلكلور وليس في الادب المكتوب[27].

يتكون المجتمع التركي من الاتراك والعرب والكورد والارمن و قوميات اخرى مثل الشركس واليونانيين ، وقد جرى اتفاق الباحثين الى اعتماد اللغة الام لكل قومية اساسا" لتصنيفه ولا يوجد اتفاق حول العدد الحقيقي للقوميات المختلفة فتتباين الارقام بشكل كبير نتيجة لمعوقات تعترض الوصول الى البيانات الحقيقية والدقيقة والشاملة مثل الاعتبارات السياسية والدستور التركي[28].

رابعا :الكـرد فـي ظـل السـيطرة العثمانيـة

اصبحت كردستان مسرحا" لحروب دامية بين العثمانيين والفرس ، بدءا" من معركة جالديران سنة 1514 ، وانتهاءا" بسقوط الامبراطورية العثمانية في الربع الاول من القرن العشرين .

استولى الشاه اسماعيل الصفوي على ارمينية في اول حروبه مع العثمانيين ، وفي سنة 1402م وقعت بينه وبين السلطان مراد ملحمة كبيرة على مقربة من همذان ، فاستولى الفرس على اقاليم جنوب كردستان وخوزستان الواحد بعد الاخر[29].

وكان عهد الشاه اسماعيل وسيرته مع الكورد مثل عهد العثمانيين عهد ظلم وعدوان شديدين لان الكورد كانوا يطالبون بحقوقهم القومية[30].

وعندما جاء السلطان سليم الاول الى حدود ارزنجان للزحف على الامبراطورية الفارسية، أسرع الشاه اسماعيل لرده والتقوا في جالديران التي انتهت فيها المعركة باندحار الجيش الفارسي وفرار الشاه اسماعيل الى درجزين وهمذان وأعقب ذلك دخول سليم الى تبريز[31].

اضعفت هذه المعركة شوكة الدولة الصفوية ، حيث كانت خطة الشاه اسماعيل السياسية نحو كردستان ترمي ، مثل الحكومات السابقة ، الى القضاء على الحكومات الكردية والامارات المحلية لأحلال النفوذ الصفوي عكس السياسة العثمانية التي كانت ترمي الى ارضاء الكورد واستمالة قلوبهم ، وفعلا" توصل العثمانيين بهذه السياسة لأغراضهم حيث ندب السلطان سليم الاول ا اثناء غزوه لبلاد فارس من معسكره في اماسية الشيخ حكيم الدين ادريس التبليسي عدة مرات للذهاب الى كردستان لاجل الاتصال بألامراء ورؤساء العشائر الكوردية والعمل على اثارتهم على الفرس ، كما حاول بواسطته كسب تأييد الكورد للدولة العثمانية واقناعهم للدفاع عنها بأسم الديانة ، وقد وضع ملا ادريس هذا خطة باسم الديانة والدفاع عن المذهب السني ، وطالب الكورد المساعدة ومساندة السلطان

سليم الاول العثماني مقابل ضمان حريتهم واستقلالهم من قبل الدولة العثمانية[32].

وعندما استولى السلطان سليم على كردستان خلال حربه ضد اسماعيل الصفوي لاحظ ان الكورد كرهوا الحكم الصفوي بسبب الخلاف المذهبي بين السنة والشيعة . وبعد أن اتم ادريس تنظيم كردستان اداريا" على هذا المنوال البديع وزع بنفسه الطبول والاعلام باسم السلطان على الامراء الكورد ، وهي علامات وشارات معروفة في ذلك العهد ، وكان الامير خليل اخر حفيد من احفاد السلطان صلاح الدين الايوبي ضمن الكورد الذين نالوا تلك العلامات والشارات السلطانية[33].

إن العهود والمواثيق التي قطعها إدريس باسم السلطان سليم الاول لأمراء كردستان كانت تحتوي على المواد الآتية :-

1-الاحتفاظ باستقلال وحرية الإمارات الكردية .

2-يساعد الكورد العثمانيين في حروبهم.

3-يساعد العثمانيين الكرد ضد الاعتداءات الخارجية .

4-يدفع الكورد الصدقات والرسوم الشرعية لبيت المال الخاضع للخليفة.

وابرمت وثيقة هذه العهود والمواثيق المعقودة بين السلطان وبين الحكومات والامارات الخاضعة له بكردستان في سنة 1514م ،لكن السلطات العثمانية نقضت شروط هذه المعاهدة بعد خمسة عشر عاما" من التوقيع عليها ، وانتهت اخر امارة كوردية في سنة 1850م[34].

لقد ظفر السلطان سليم بمساندة عدد كبير من الامراء الكورد ، اذ اطلق عليهم لقب (بكلر بكي) اي امير كل في منطقة نفوذه ، لتكون حصونهم وامتيازاتهم وقلاعهم وراثية فيهم ، واعترف بهم كحكومات كوردية لا

تخضع الا لأتاوة سنوية مع واجب تقديم عدد محدد من المجندين المسلحين الفرسان في اوقات الحرب ، وكانوا تحت سلطات القيادة العليا للقائد العثماني العام في اسيا ، والخلاصة ان جميع البلاد الكوردية دخلت في حكم العثمانيين عن طواعية ورضا وبدون حرب , بفضل جهود الشيخ ادريس وسياسته السديده , فبعد ذلك كله اخذ الشيخ في وضع الانظمة الادارية لرقي كردستان فنالت هذه التدابير والانظمة التي كانت ترمي الى تقدم الكورد في ظل الامارات الكوردية والأدارات المحلية المشمولة بالسيادة العثمانية ، القبول والموافقة لدى السلطان سليم ، فأرسل له فرمانا" سثا هانيا" بذلك ، كما ارسل له سبعة عشر علما" وخمسمائة خلعة من الخلع السلطانية الفاخرة لتوزيعها على رؤساء الحكومات والامارات الكردية[35].

لكن هذه الحالة لم تدم طويلا" ، اذ ان كردستان سقطت شيئا" فشيئا" ، على ما سنذكره لاحقا , تحت الادارة المباشرة للولاة العثمانيين في ولايات (ديار بكر) و (وان) و (ارض روم) وقبل مرور خمسة عشر عاما على الاتفاق المار ذكره . فقد أخذ النظام الذي ساد حكم سليم الاول في القرن السادس عشر. يتقمص شيئا" فشيئا" ، فلأجل سهولة الادارة للسلطات الادارية العثمانية ، ولأجل تقليص نفوذ القبائل الكردية عمدت الى ازالة حدود الحكومات المحلية الكردية ، وخفضت من درجة الامراء الكورد ورواتبهم لتجعل منهم حكام عثمانيين وتدهورت الاوضاع في كل النواحي[36].

اصبح وكلاء السلاطين وعمالهم أكثر قوة وصرامة في جباية الضرائب ، واخذت الامبراطورية العثمانية تخوض غمار الحرب بعد الاخرى في اوربا ضد روسيا ، ثم ضد فارس وباتت الصلات المباشرة اثقل كثيرا على القبائل الكوردية التي جند شبابها في خدمة الجيش العثماني ، وقد ظل الكورد في موقف دفاع اثناء ثوراتهم على الترك[37] , وكذلك على الفرس أثناء القرنين السابع عشر والثامن عشر ، بل وفي جزء من القرن التاسع عشر ، كانوا يقاومون المحاولات التي تقوم بها السلطة المركزية لغرض

فرض سلطاتها على القبائل التي كانت في السابق تتمتع بالحكم الذاتي بدرجات متفاوتة .ان مقاومة السلطان لم تكن شاملة وعنيفة بحكم قداسته ومركزه الديني ، ومن العجب أن الامراء والبكوات هم اللذين رسخوا وعمقوا هذا الولاء في الوسط الكوردي ، لكن هذا كله لم يعد يصمد امام موجة الظلم والقهر التي اصابت الجميع ، بما في ذلك رجال السلطان العثماني وأدواته ، فعم السخط حتى وصلت الى الانتفاض والثورة على السلطان نفسه[38] .

خامـــسا :علاقة الكورد بالعثمانيين في القرن التاسع عشر

في عام 1828 اصدر السلطان محمود الثاني تنظيمات جديدة لأعادة بناء وتنظيم الامبراطورية العثمانية بعد ضم كردستان اليها[39]. وخلاصة القول , فأن تسخير واستعباد كردستان من قبل العثمانبين تم في القرن التاسع عشر ، ولقد اضطر العثمانيون في سبيل تأمين استيلائهم على كردستان واستعبادها الى القيام بعمليات حربية شاقة كثيرة ، وشن عدة حملات عسكرية كبيرة من جملتها الحملة الكبيرة التي شنتها الجيوش العثمانية بقيادة محمد رشيد باشا في سنة 1824ومن الغريب حقا" انه خلال تلك الحروب , لم يقم رؤساء وامراء الدويلات والامارات الكوردية بأية محاولة جادة لمقاومة الاحتلال ومناهضة تقسيم بلادهم بين عدويها التقليديين ، الفرس والاتراك ، على العكس فان بعضهم انحاز الى هذه الدولة أو تلك ليستعيدها الى خصمه ، جاعلا" من ابناء شعبه وقودا" لتلك الحروب ، فحمل الاخوة السلاح ضد بعضهم البعض ، حتى اصبح توجيه الرصاص الكردي الى الصدر الكردي شيئا" عاديا" يمارسه الكورد الى يومنا هذا بحكم الوضع العشائري واوضاع التخلف نستثني من ذلك بعض المحاولات الاستقلالية التي قام بها اثنان أو ثلاثة من الامراء الكورد في القرن الثامن عشر وما كان من الثورات الاستقلالية في نهاية القرن التاسع عشر[40].

كان الكورد على وجه العموم يقدرون قيمة موقع بلادهم الجبلية الصعبة الممرات بين بلاد السلطان العثماني وبلاد الشاه الفارسي ، ولذلك كانوا يستعينون بالعثمانيين اذ دأهمهم الفرس ، ولا يهمهم اذا كانت الدولة في حالة حرب أو سلم مع ايران ، وهذا لا يتنافى مع مذهبهم السني القوي ، فأن الكورد كانوا يقبلون المساعدة الايرانية لأغراض سياسية معينة لوقت معين ، حتى اذا ماتحقق للأخير حلمه في التخلص من الضغط العثماني انقلب على حلفائهم الايرانيين لطردهم من البلاد[41].

ومن اهم الثورات الكوردية في القرن التاسع عشر هي :

1 - ثورة الامير بدرخان (1821 – 1847)

ظهرت امارة بوتان في عام 1812 وكانت تحت القيادة العثمانية جزئيا" ، ولها حكم ذاتي. من امراءها سيف الدين الثاني ثم الامير منصور خان ثم الامير مصطفى خان ثم عبد ال خان تسلم كل عن ابيه الحكم ، وبعد وفاة عبد ال خان تولى الامير بدرخان بك ، حيث بايعه الشعب الكوردي لتوجهاته القومية وحبهم لتواضعه . عام 1821 قرر الامير اعلان الاستقلال عن العثمانيين ، أعلن عن مشروعه باقامة دولة (كردستان) ابتدأ اولا" بالقضاء على النساطرة ، ثم قام بتدعيم أركان حكمهم من خلال القضاء على المرتزقة ، وبدأت حركة بدرخان تأخذ اطارا" جديدا" لم يشهده الكورد في تاريخهم من قبل بان تخرج حركة قومية تحررية من اطارها الداخلي تحت السيادة العثمانية لتأخذ طابعا" دوليا"[42] ، هنالك عدة أسباب لظهور حركة بدرخان هي :-

1. ظهور الحركات التحررية الكردية لتشمل أجزاء واسعة من أراضي كردستان

2. في عام 1836 قام السلطان عبد الحميد الثاني بتطبيق سياسة جديدة هي تقوية السلطة المركزية وتقويض سلطة الامارات الكوردية لذلك عمل على

ارسال موظفين اتراك غرباء الى امارة بوتان حيث بدأوا يتدخلون في شؤون وصلاحيات الامير بدرخان مما أثار غضب الشعب ضد الدولة العثمانية .

3. الهدف القومي في تكوين دولة قومية تحت اسم دولة كردستان تضم جميع الكورد.

4. تدخل الدول الاوربية في شؤون الكورد ، وتحديدا" بريطانيا(43) .

سياسة بدرخان الإستراتيجية في انشاء الدولة الكردية القومية :

1)تشكيل اتحاد للعشائر والقبائل الكوردية على اساس فكري موحد يكون مضمونه الايمان بالاستقلال.

2)انشاء معامل لصناعة الاسلحة والاعتدة والاعتماد على قوة الكورد.

3)الالتفات الى هموم الطبقة الكادحة من الاقليات القومية والدينية[44] .

لجأ الامير بدرخان على ارسال مبعوثين الى زعماء العشائر والقبائل الكوردية من اجل انشاء (تحالف عشائري) سمي بـ(العهد المقدس) ،أي ان تحرير كردستان هدف مقدس لدى الشعب الكوردي . ومع تقرب العثمانيين للاقطاعيين واغرائهم ، الا ان عدد كبير من رؤساء العشائر الكوردية اجتمعو حول بدرخان منهم الامير نور الله هكاري و خان محمود المكسي ، والى جانبهم امير امارة اردلان الكوردية التي كانت تابعة للدولة الفارسية وواقعة ضمن اراضي كردستان بلاد فارس [45] .

ان مجيء امير اردلان وانضمامه الى اتفاقية العهد المقدس التي تبنتها حركة بدرخان اعطاها مضمون قومي واسع النطاق , بعبارة اخرى اعطاها مفهوما بان كردستان واحدة والشعب الكردي واحد ولهم هدف واحد ولكون كردستان كانت مجزئة فانها اوجدت كيان واطار جديد للحركة التحررية[46].

وقام بدرخان بتوعية الشعب الكوردي بان لايكونوا ضحية لاستغلال دول المنطقة , وعمل بدرخان على تطبيق سياسة المساواة بين المسلمين الكورد والاقليات القومية والدينية لغير المسلمين (الاثورين,الارمن,الكلدان) . كان بدرخان ادرك بان أي حركة شعبية لايتقبلها الشعب ولا يطمان لها الا اذا كانت مصحوبة بتحقيق اصلاحات اجتماعية واقتصادية , لذا وزع الاراضي على الفلاحين وقلل مقدار الضريبة ، وبهذا نرى انه استقطب عوائل كوردية الى امارة بوتان بحثا عن العمل وهذا دليل نجاحه[47].

التحديات التي واجهت انتفاضة بدرخان

1 - مواجهة الاقليات الدينية النساطرة (الاثوريين, الارمن)

نتيجة لتوسع حركة بدر خان الى مناطق واسعة وصلت الى جنوب بحيرة وان وشملت مناطق من ديار بكر والموصل , بدأت الدولة العثمانية تشعر بالخطر[48] فأخذت تسعى لتجميد هذه الحركة من خلال بث الحقد بين الكورد المسلمين والاثوريين المسيحيين وبهذا الخصوص كتب لازاريف (قام الانكليز بدفع الاثوريين للعمل ضد البدرخانيين ، وفي الوقت نفسه قام بتوجيه اللوم الى الدولة العثمانية وطلبوا منها معاقبة بدرخان باشا)[49]، لذلك تأثر الاثوريين بالدعاية وامتنعوا عن دفع الضريبة السنوية لبدرخان ، فأعتبر الأخير ان هذا التصرف استهانة به ، لذا قام بدرخان بالقضاء عليهم في سنة 1843 في مناطق سهل نينوى واربيل وزاخو وهكارى ودهوك فمارس شتى انواع الابادة مما أغضب دول اوربا فتعاونوا مع الدولة العثمانية للقضاء عليه[50].

المحاولات العثمانية للقضاء على حركة بدرخان:

أراد العثمانيون في البداية أن يقضوا على حركة بدرخان بصورة غير مباشرة عن طريق تحريض الاثوريين ، وأكد الميجر سون في مذكراته (قام الاتراك بدفع الاثوريين لضرب الحركة وفي الوقت ذاته طلب الاتراك

من بدرخان الانتقام من الاثوريين وبهذه الطريقة أرادوا القضاء على الاثنين معا")[51].

لذلك استطاع العثمانيين أن يكسبوا دول مثل بريطانيا والتي لا ترغب أن يظهر زعيم كوردي قوي مثل بدرخان يستطيع أن يجمع شمل الشعب الكوردي ويحقق أهدافه ، لذلك خططت بريطانيا مع الدولة العثمانية لاضعاف والقضاء على حركة بدرخان ، واتخذت من حربه مع المسيحيين حجة للتدخل مع العثمانيين ، جهز العثمانيين جيش كبير لمحاربة بدرخان وهكذا وصلت الحركة الى مرحلة النضال بقوة السلاح فدامت ثلاث سنوات (1843-1847) وأول هجوم للعثمانيين حضي بالفشل ، وحقق بدرخان الخطوة الاولى في الاستقلال ، ومع بداية ربيع 1847 فقدت القيادة العامة العثمانية الامل في احراز نصر سريع على قوات بدرخان[52].

لجأت الدولة العثمانية الى اسلوب اخر ، هو بذر الشقاق بين الامراء الكورد ، فقد استغلت الخلافات بين بدرخان ويزدان شير قائد الجناح الايمن للقوات الكوردية وبمؤازرة من يزدان شير قام عثمان بيك ومعه (15) ألف مقاتل كوردي ، بعد أن تمكن من شراء ولائه مقابل أن يتولى حكم امارة بوتان بعد القضاء على بدرخان ، وفي تموز 1847 تمكن عثمان باشا قائد القوات العثمانية من فتح ثغرة من جهة يزدان شير أدى الى محاصرة قوات بدرخان مما أدى به لتسليم قلعة (اروخ) بعد أن قاوم مدة ثمانية اشهر وتم استسلامه ونفيه مع أخويه (مير سعيد و مير صالح) وهيأة أركانه الى اسطنبول وبعد ذلك تم نفيه الى (كريت) ثم الى (دمشق) حيث توفي ودفن فيها . واستمرت الدولة العثمانية في ملاحقة المتبقين من حلفاء الامير بدرخان فقد لاحقوا (خان محمود) والقوا ألقبض عليه في أيلول 1847 ولاحقوا (نور الله بك) حتى اضطر للفرار الى ايران عام 1849 وفر العديد من المشتركين في الحركة الى ايران وما وراء القفقاس[53].

أهم اسباب فشل ثورة بدرخان :

1) ان الكرد غير مستعدين للثورة بصورة فعلية ، وتكرار قيام دولة كوردية .

2) القيادات التي ساندت بدرخان كانت اقطاعية ولا يمكن أن تكون لهم ادارة أو سيطرة ادارية كذلك لم تكن لديهم خبرة عسكرية .

3) القائمين على الثورة لم يكونوا مطلعين على الظروف المحيطة بهم.

4) الانشقاقات الداخلية بين الامراء الكورد.

5) طبيعة المنطقة اقطاعية عشائرية .

6) النزاعات العشائرية والاقطاعية حول الاراضي والممتلكات والطرق ورسوم الاراضي[54] .

ثورة يزدان شير 1853 -1858

بعد أن اخمد الجيش العثماني ثورة الكورد في الجزيرة وبوتان ، أسندت الحكومة العثمانية ادارة امارة بوتان الى يزدان شير لأدارتها. الا ان خوف الدولة العثمانية من اتساع نفوذه أدى الى ابعاده عن ادارة الامارة ، وارسلت قطعات الجيش الى جميع أنحاء الامارة . فظلم وتعسف الجنود العثمانيين أدى الى حدوث اضطرابات ، وعند اعلان الحكومة العثمانية الحرب على روسيا تطلب منها أن تخفف قواتها في كردستان فاستفاد يزدان شير ، وترأس الحركات التي نشبت في بوتان سنة 1853 حيث بدأت الثورة وشملت مناطق (بوتان ، الجزيرة ، هكارى) وزخف يزدان شير على رأس مجموعة تضم ألفي مقاتل نحو مدينة تبليس ، حيث تمكن بمساعدة

السكان المحليين من السيطرة على المدينة بسهولة وقتل قائم مقام المدينة علي بك[55].

انضم الى ثورته ابناء بدرخان باشا ، وكذلك قوات ليلي بك وبلغ عددها زهاء ثلاثين ألف مقاتل في اوائل سنة 1855 على الاراضي الكردية الواقعة في جنوب بحيرة وان وحتى الموصل دون أن تصطدم بمقاومة كبيرة ، وفي هذه الاثناء استولوا على الموصل ، وقدم اليزيديين دعما" ليزدان شير حيث دحر أمير اليزيديين حسين قوة عثمانية مؤلفة من خمسة الاف مقاتل وانضم للثوار السكان المحليون من العرب واليونانيين ، وقام الشعب الثائر بطرد الموظفين الاتراك وقتلهم في كل مكان ، فقد قتل (16) شخصا" من رؤساء الاقضية . حاول السلطان العثماني بذر الشقاق بين القوات الكوردية الثائرة لكن دون جدوى . لذلك اضطرت الى توجيه جيشها الموجود في بغداد للهجوم على كردستان[56].

امتد لهيب الثورة الى ارضروم وبايزيد فاضطرت القوات العثمانية الى ارسال جزء من قواتها المرابطة في الجبهة الروسية – العثمانية . ان انتصار القوات الكوردية على العثمانيين جعل الجيش العثماني المرابط في جبهة القوقاز تجاه الجيش الروسي في موقف حرج ، فقدر يزدان الموقف واتصل بالقوات الروسية لتوحيد العمل ضد العدو المشترك . فكتب خمس مرات الى قائد القوات الروسية في (أريوان) ، ولما لم يتلق الجواب على رسائله الخمس اتصل هذه المره برئيس اركان الجيش0 الروسي المرابط في القوقاز (بيبوتوف) ، وفي جوابه ليزدان طلب اليه تسريح قواته وانهاء الثورة[57] .

وحالما علم القنصل البريطاني في الموصل (نمرود روسان) بأستلام يزدان شير جواب الرفض من القائد الروسي ، عرض حالا" على يزدان استعداد الحكومة البريطانية للتوسط لتنظيم العلاقات الكوردية ـ العثمانية .

كما اقترح عليه أن يذهب معه الى الموصل للمذاكرة معه حول الموضوع . فوثق يزدان بوعد الشرف وسافر يزدان الى الموصل ، الا ان القنصل البريطاني روسان حنث بوعده وألقى القبض على يزدان وسلمه الى استانبول وبهذا الشكل لم تتمكن القوات الكوردية من الصمود طويلا" أمام الجيش العثماني[58].

كان خطر هذه الثورة كبيرا" جدا" على الدولة العثمانية ، بحيث ان حكومة السلطان أصدرت في أعقاب انتصارها ميدالية خاصة , وعادت القوات العثمانية التي استدعيت من كردستان ثانية الى الجبهة الروسية[59].

الا ان امكانيات حصول تعاون عسكري بين الكورد والروس بقيت قائمة حتى بعد ثورة يزدان شير ، في حين ان القوات العثمانية كانت تراقب بقلق اتصالات شقيق يزدان (عمر اغا) الذي كان يتمتع بنفوذ كبير بين الكورد وقادر على تقديم عشرات الالاف من الكورد المسلمين ، الا ان القوات الروسية لم تعتزم التقدم في عمق أرمينيا الغربية ، وذلك ان قلعة (قارص) العثمانية المحصنة كانت في طريقها ، ومع ان الكورد في منطقة (قارص) لم يعترضوا سبيل تقدم القوات الروسية[60].

ثورة الشيخ عبيد الله النهري 1878-1883:

ان ضعف الادارة العثمانية وقسوة الموظفين العثمانيين واغوات الكورد ، وكذلك تصاعد الازمة الاقتصادية بعد الحرب العثمانية - الروسية فقد انتشرت المجاعة 1878-1880 مما ادى الى تقويض اقتصاد المناطق الكوردية بصورة نهائية . وهذه الظروف الاقتصادية دفعت الاف من الناس في التوجه نحو الشمال الى الحدود الروسية بحثا عن المأوى والطعام في روسيا ، وقد كتب شاهد عيان (ان جميع الطرقات حول جبال ارارات كانت

مزدحمة بالفقراء والجياع من الكورد ومات الكثير منهم في هذه الطرقات) [61].

ويعد الكثيرون ان الشيخ (عبيد الله النهري) هو اول قائد وطني كوردي[62] ، وكان الحاكم الديني الذي سكن كردستان تركيا مرشدا للطريقة النقشبندية ، ففي اعقاب الحرب الروسية – العثمانية انتقل الشيخ الى الاعداد العلني للثورة (1877 – 1878) ، وكان هدفه تحرير جميع اجزاء كردستان من السلطات العثمانية والفارسية ، وتعد هذه الثورة من اكبر الثورات التحررية القومية الكردية في القرن التاسع عشر[63].

ادرك الشيخ عبيد الله انه قبل البدء بأستعداداته العسكرية عليه كسب ود رؤساء القبائل وشيوخ كردستان فارسل يدعوهم للجهاد ، فأجتمعت عنده مئتا شخصية كردية من (إيران – كردستان – الدولة العثمانية) وشكلوا حلفا بأسم (رابطة رؤساء الكورد) وأدى الامير (بحري بدرخان) دورا مهما في المؤتمر . فحضر المؤتمر وفود من مناطق كوردية عديدة ، ومن الملاحظات حول المؤتمر ، الذي افتتح في اواخر شهر تموز 1880 في شمزينان ، عدة امور منها :-

1) ان هذه الجمعية قد قدرت وارتأت ان تبدء حركتها من ايران ضد الحكومة الايرانية .

2) استخدمت الحكومة العثمانية مراقبين من الكورد بواسطة الشيخ (قصيم) الذي حضر المؤتمر واغرته بالأموال .

3) الهدف من المؤتمر هو اشراك جميع طبقات المجتمع الكردي في ثورته حتى يحققوا اهدافهم في التخلص من السلطات العثمانية والفارسية[64].

رأى الشيخ عبيد الله ان يبدأ ثورته بتحرير كردستان فارس ، وذلك لأن حكومة طهران أرسلت جميع قواتها تقريبا الى السهل التركماني لقمع انتفاضة التركمان ، وان الحكومة الايرانية لاتستطيع تجنيد اكثر من (100) الف مقاتل معظمهم من الكورد الذين تعرضوا لاشد انواع الاضطهاد والتعسف من قبل الحكومة الايرانية[65] .

في بداية تشرين الاول دخلت قوات عبيد الله النهري كردستان ايران من ثلاث جبهات واصبحت هذه القوات تحاصر ارومية كما انضمت جماهير كردستان – ايران الى قوات الشيخ عبيد الله ، وخلال اسابيع قليلة وبدون مقاومة تذكر من جانب الحكومة الايرانية ، سقطت الادارة الايرانية في كردستان وبذلك حررت مدينة (ارومية- موكرى – مهاباد) وبعد تحرير القسم الاعظم من كردستان ايران انشات فيها الدوائر الكوردية الرسمية للأدارة المحلية وعين الكورد في ادارتها وقد بلغ عدد القوات الكوردية الثائرة (10) الاف مقاتل[66].

ارسلت الحكومة العثمانية جيشا لمساعدة الحكومة الايرانية ، وكان نصيب الجيش الايراني الهزيمة والخذلان , وعندما اقتربت القوات الكوردية من (تبريز) لجأت حكومة طهران الى الحكومتين الروسية والبريطانية طالبة العون وسرعان مالبي القيصر الروسي الدعوة فحوصرت القوات الثائرة من كافة الجهات .

وبعد عدة معارك اضطر الشيخ الى الانسحاب الى الجبال المنيعة . قامت الحكومة العثمانية بعدة اجراءات حيث سدة الممرات التي تربط المناطق الكوردية المجاورة مع هكاري حتى منع سكانها الانضمام الى الشيخ النهري . وفي (8 تشرين الثاني) اتحدت القوات الايرانية بالقرب من صاوجيلاق ، ومن ثم انقسمت الى وحدتين بقيت احداهما في صاوجيلاق والثانية تقدمت نحو ارومية ومع وصول القوات الايرانية خرج سكان صاوجيلاق الذين ايدوا الثورة الى الجبال . وقد تراجع عبد القادر حمزة اغا وعدد اخر من قادة الثورة مع قواتهم الى منطقة (مرسور) وتعقب اثرهم

اربع افواج من المشاة و1500 فارس وبحوزتهم الاليات العسكرية ، وعبر الثوار الكورد في تشرين الثاني حدود الامبراطورية العثمانية تحت ضغط القوات الايرانية ، فطلبت ايران من حكومة السلطان القاء القبض على الزعماء الكورد وتسليمهم اليها[67] .

وبعد عام 1881 جرت مفاوضات بين الشيخ النهري والعثمانيين ، فسافر الشيخ الى استانبول لكن بدلا من التفاوض اوقفته الحكومة العثمانية وسجنته لمدة سنة . فتمكن من الهرب لكن الحكومتين العثمانية والايرانية لم تعطهم المجال الكافي لجمع شمله ثم قبضت عليه مرة اخرى سنة 1883 ونفي مع 100 عائلة من العوائل الكوردية الى المدينة المنورة وتوفي في المنفى هناك سنة 1888(68).

ســـــادسا :الجمعيات الكردية فــي مطلع القرن العشرين

من اوائل الجمعيات التي ظهرت كانت :-

1) جمعية العزم القومي لاصلاح كوردستان وقد تأسست في القاهرة وكان مؤسسها فكري الديار بكري .

2) جمعية التعاون والتقدم الكوردية (جمعية تعالي وترقي كرد) وقد تأسست هذه الجمعية على يد بعض المثقفين في اسطنبول أمثال امين عالي بدرخان وشريف باشا والشيخ عبد القادر في عام 1908 ، أي بعد انقلاب الاتحاديين ، وكان من بين اهدافها نشر المعارف الكوردية وتطويرها واستعمال اللغة الكوردية.

3) جمعية نشر الثقافة الكوردية : وهي جمعية ثقافية تأسست في 1908 كان الهدف منها نشر الثقافة الكوردية وكان لها مدرسة في اسطنبول لتعليم اللغة الكوردية(69).

4) جمعية أنصار كوردستان .

5) جمعية النهوض بالمرأة الكوردية وتأسست في اسطنبول في 1908 وكانت تضم النساء الكورد من العوائل الارستقراطية والمثقفات وكان لها فرع اخر في ديار بكر .

6) جمعية الارشاد وتأسست في ارضروم.

7) جمعية الدفاع عن الفقراء تأسست في ديار بكر.

8) الجياع (اجيلر) وقد أسسها اشراف ديار بكر ضد حكم الاتحاديين[70].

9) جمعية الصداقة الكردية : تأسست هذه الجمعية في اسطنبول وكان من ابرز مؤسسيها الشاعر الاديب كمال فوزي بدليسي.

10) النادي الكوردي تأسس في 1909 واول من عمل له هو ارسال مذكرة للصدر الاعظم للمطالبة بالاصلاحات التي وعد بها الاتحاديين في كردستان .

11) الجمعية الطلابية هيفي (الامل) تشكلت بين الاعوام 1910 – 1914 على يد مجموعة من طلبة كورد في اسطنبول واصبحت هذه الجمعية ملتقى الكورد ومن مختلف الطبقات والاعمار وكان من ابرز اعضاء المنظمة خليل خيالي وجميل قدري وممدوح سالم[71].

12) جمعية (جهانداني) تأسست في مدينة خوي وكان من اهدافها ارسال الشباب الكوردي الى روسيا للتعلم ، نشر اللغة الكوردية بالحروف اللاتينية ليتسنى للكورد الاطلاع على الثقافة الروسية .

كان للكورد ، في ظل حكم السلطان عبد الحميد الثاني ، نوع من الادارة الذاتية ، ولكن بعد انقلاب الاتحاديين ضد السلطان عبد الحميد ، تغير كل شيء وقد أدركت نخبة من المثقفين الكورد ان الطورانيين قد استخدموهم للاطاحة بالسلطان[72] .

الخلاصة ان هذه الجمعيات تأسست بعد الانقلاب الاتحادي نتيجة شعورهم باستغلال الاتحاديين لهم ضد السلطان عبد الحميد ، وكذلك للقسوة والاضطهاد التي مارسها الاتحاديين ضد الكورد . كما ان شعور الكورد بضرورة تأسيس دولة لهم هو سبب اخر ، وكذلك المطالبة بنشر اللغة الكردية[73].

سابعا :علاقـــة الكورد بمصطفى كمـــال

كان مصطفى كمال يعمل وفق رؤيا مستقبلية للسلطة ، وعندما وصل الى شرق الاناضول جمع قوة كبيرة نحوه من الأتراك والكورد للوقوف في وجه الحلفاء ومن يساندهم واستعادة قوة الامبراطورية العثمانية على كل مناطقها السابقة ، لذلك بدأ يتقرب من الكورد وبكل الاساليب الممكنة ، وبذل لهم الوعود الكثيرة كيفما كانت ، وحيثما وصل لكي يكسبهم الى جانبه وهو مازال في بداية مرحلة نضاله من أجل الوصول الى هدفه الكبير[74]

وقد اتصل بالعشائر الكوردية وحاورهم بأسم الوطنية وبأسم الدين وطلب منهم الوقوف بوجه مؤامرات الارمن والاوربيين فجذبهم اليه وتقوى بمساعدتهم وابعد الكثيرين منهم عن الاتحاديين المتواجدين في شرق الاناضول اللذين تركوا اسطنبول ، وكان هؤلاء قد جذب اليهم العديد من القوميين الكورد من اعضاء الجمعيات السياسية في ديار بكر وماردين ،

واستطاع ابعاد الكورد عن دعم حكومة اسطنبول وقطع لهم الوعود باعطائهم الاستقلال اذا ساعدوه ، ولكن بعد أن يتخلص من اعداؤه وقد وثق به العديد من الزعماء الكورد وخصوصا" بعد ان رأوا العدوان البريطاني والفرنسي في جنوب شرق الاناضول[75] .

ومن ثم اوضح الكماليون موقفهم العدائي من القضية الكوردية بصورة جلية حيث عمدوا الى الصاق تهمة العمالة للانكليز ليروا عدائهم للقضية الكردية وجولة الميجر (نوئيل) قدمت لهم الذريعة المناسبة ، وكذلك اتصالات النقيب (بولي) من الاركان العامة البريطانية في ايار / 1919 بمحمود بك ابراهيم باشا الملي ، ثم اتصالات الميجر نوئيل لبث فكرة انشاء كردستان مستقلة تحت الحماية البريطانية ، وكذلك احداث ملاطية ايضا" اثارت القلق عند مصطفى كمال مما دعا الى اعطاء الاوامر لبعض قواته باعتقال قادة هذه الحركات (جلادن وكاميران وبدرخان وأكرم جميل باشا) واخرين اللذين سرعان ما اختفوا عند والي خريوط (علي غالب بك) شريكهم في الحركة ثم قرروا جميعا" الالتجاء الى القوات البريطانية في حلب . عمد مصطفى كمال الى استخدام الاقطاعيين في مقاومة الارمن ، ومن المعروف انه ليس كل القيادات الكوردية أيدت الحركة الكمالية ، فقد اعطي بعض الوعود للكورد وصدق بعض قياداتهم انهم سيمنحون الحكم الذاتي بعد النصر، وعندما عقد مؤتمر 1919 في ارضروم دعا مصطفى كمال رؤساء العشائر الكوردية وسماه (مؤتمر الدفاع عن حقوق الولايات الشرقية) ، حيث رفض فيه مبدأ تقرير المصير للقوميات ، وايضا" في مؤتمر سيواس الذي عقد من 4 – 12 أيلول من السنة نفسها اتخذ قرار شطب المسألة القومية للقوميات ومنها الكوردية . يظهر من هذه المؤتمرات بأن الكماليين لم يعترفوا للكورد بحقوقهم القومية ، وانما كان تقربهم مجرد استغلال للكوراد[76] .

وبدأت بعض الشخصيات الكوردية بالتحرك والوقوف ضد مقررات اتاتورك في ارضروم وسيواس[77] ، لذا نظموا انتفاضة (ملاطيا) عام

1919 ، وتعد هذه اول تحرك جدي للكورد حيث كان اتاتورك على علم بالانتفاضة ، وقد أمر باعتقال كل شخصية كوردية تتوجه الى ملاطيا ، وكانت هذه الانتفاضة بمساندة البريطانيين . أجرى اتاتورك مباحثات مع بعض الشخصيات الكوردية لكي لا ينظموا الى المنتفضين ،وفي الوقت نفسه وجه قواته الى ملاطيا للقضاء على الانتفاضة ، كما ان الكورد فقدوا المساندة البريطانية[78] .

ان اخفاق الانتفاضات الكوردية شجع الكماليون في مطاردة الكورد ، ولكن رغم هذا الاخفاق فأن الكورد طرحوا قضيتهم في معاهدة سيفر عام 1920 من خلال الاعتراف الدولي بحقوقهم القومية حيث نصت المادة 62 على تأسيس الحكم الذاتي ، وعلى الرغم من بقاء بنود المعاهدة حبرا" على ورق الا انها أعطت أهمية للقضية الكوردية . استمرت المباحثات بين القادة الكورد حيث انشأ خالد بك لجنة سرية في ارضروم عام 1921 وأعدت اللجنة خطة للانتفاضة المسلحة في شرقي ديرسيم واجتمعوا من شرق وغرب ديرسيم وبعثوا بمذكرة لأنقرة تطالب بحقوقهم القومية الا ان حكومة أنقرة ماطلت في الرد ، وفي ربيع عام 1921 كشف الكماليون عن قناعهم[79].

وطالبت حكومة اتاتورك الكورد بالكف عن المقاومة ، وعليهم بألاستسلام والا سوف يدمرون القرى الكردية ، واعتقلوا بعض الشخصيات الكوردية . وجرت معركة الثوار والاتراك في 6 اذار 1921 انتصر فيها الكورد وارسلوا برقية الى المجلس العالي في أنقرة يطالبون بتشكيل ولاية مستقلة ، ولكن الحكومة التركية اتبعت سياسة الترغيب والترهيب وبعث لهم برسالة فيما اذا كانوا سيستمرون بالنضال فردوا بأنهم مستمرين في النضال ولكن القوات التركية استخدمت أبشع الاساليب معهم . وقد تلقت الحركة التحررية الكوردية ضربة خطيرة في مؤتمر لوزان عام 1923 الذي جاء بنتائج معاكسة لمعاهدة سيفر وان الدول الغربية رأت في مسألة الكورد ورقة

رابحة للمساومة مع تركيا على ولاية الموصل ، وبدأت الاعمال القاسية والاساليب التعسفية ضد الكورد ،وحتى الجنود الكورد في الجيش التركي كانوا يعاملون بصورة سيئة . وبعد ذلك بدأت الانتفاضات التحررية الكوردية بصورة أقوى من ذي قبل[80] وهو ما سنتحدث عنه في المبحث التالي.

ثامنا :الثورات الكوردية في القرن العشرين

ثورة 1925 (ثورة الشيخ سعيد بيران) :

وهي من ضمن الثورات التي تزعمها الكورد ، اندلعت هذه الثورة في جنوب شرق تركيا ضد سياسة التتريك التي انتهجتها حكومة مصطفى كمال ، فقد تمادى الاتراك حتى انهم اطلقوا على الكورد اسم (اتراك الجبال) وأصدروا القوانين التي تطبع ذلك بطابع دستوري ،حيث نضمت المادة 88 من الدستور التركي صراحة على أن ((جميع سكان تركيا بغض النظر عن ديانتهم وقومياتهم أتراك))[81].

وكان ايضا" من أسباب الثورة هو موقف الكماليين من الاسلام ، فقد ألغت الجمعية الوطنية نظام الخلافة الاسلامية سنة 1924[82].

وأعقب الغاء الخلافة أن اصبح رجال الدين موظفين تختارهم الدولة وتعينهم وتمنحهم الرواتب. واغلقت المدارس الدينية والغيت ايضا" المحاكم الشرعية[83].

مارس الشيخ سعيد (شيخ النقشبندية) النشاط السياسي منذ تأسيس الجمعيات والمنظمات الكوردية بين الاعوام (1908-1923) وكانت له صلات وثيقة مع العائلات الوطنية والزعماء الكورد المعاصرين ، وكان الشيخ سعيد أحد أعضاء (جمعية استقلال كردستان) التي انبثقت من

تجمعات كوردية سرية في ايار 1923 وهي ذات طابع سري يتم التعرف عليها بواسطة اسماء حركية . قامت السلطات التركية باعتقال خالد بك جبرائيل ويوسف زيا ، وبعد اعتقال الاول تم انتخاب الشيخ سعيد رئيسا" للجنة استقلال كردستان وأتخذت اللجنة قرارا القيام بثورة شاملة وذلك في اذار 1925 ، (بداية عيد نوروز)، كانت كثير من المنظمات والجماعات الوطنية الكردية وقفت وراء الثورة وشاركت فيها ، حيث كانت تهدف الى انتزاع الحرية من أيدي الاتراك وانشاء كردستان مستقل[84]. قام الشيخ سعيد بجولة لحل الخلافات بين العشائر الكوردية وازالة العداءات وجمع أثناء جولته العديد من المسلحين حوله ، في هذه الاثناء حدث مالم يكن متوقعا" حيث اصطدم قسم من رجال الشيخ سعيد بمفرزة عسكرية تركية واشتبكوا معها في معركة أدت الى أن تبدأ الحركة الثورية العامة المقررة قبل الموعد المحدد لها. مما أدى الى عدم قيام جميع القوات الثورية في جميع مناطق كردستان بالثورة في آن واحد ، مما أتاح للعدو أن يركز جميع قواته العسكرية في مناطق معينة وضرب المناطق الثائرة الواحدة ضد الاخرى . على الرغم من اندلاع الثورة قبل موعدها الا انها في مدة قصيرة شملت جميع المناطق الكردية ، وهكذا اندلعت الثورة في 7 اذار 1925 ، وفي هذا اليوم وصل الى دار عبد الرحيم أخو الشيخ سعيد قوة عسكرية تركية فطلبت من الشيخ عبد الرحيم تسليم عشرة كورد متهمين بالقتل ، فطلب الشيخ منهم عدم اعتقالهم احتراما" له فأعلن الضابط التركي الشاب انه لا يكن احتراما" لاحد سوى قوانين الجمهورية ، فجرت اثر ذلك صدامات مسلحة فقتل عدد من الاتراك ، فلما علم طاهر أخو الشيخ سعيد بما حدث في بيران استولى في 9 اذار على البريد من ليجة الى قرية سيردى.وقد اشترك ابناء بدرخان في الثورة[85]. ساعدت عوامل كثيرة على نجاح الثورة في المرحلة الاولى منها طبيعة التضاريس الجبلية والتركيب الانثوغرافي في منطقة الثورة ، أصدر الثوار نداءا" بالغاء ضريبة العشر الصعبة ودعوا السكان بدلا" من ذلك تقديم المؤن للثوار . وقد لاقى هذا

النداء استجابة عند الجماهير الكوردية . عزم القادة الكورد على اعلان دولة كردستان بعد استيلائهم على ديار بكر الا ان المحاولة فشلت ، وبعد ذلك أصدر الشيخ سعيد أمرا" بالانسحاب وساء وضع الثوار يوم بعد يوم حيث كانت القوات الحكومية منظمة وصارمة عكس الثوار[86].

أخذت القوات التركية تضغط على فصائل الشيخ نحو شعب خانى وبعد مقاومة قصيرة اضطر الثوار للتراجع نحو دراخني وقد ساعدت اعمال الفوضى والنهب في اماكن كثيرة والخلافات بين القادة الكرد وانتقال قسم من رؤساء عشائر ايليا زيغ الى جانب الاتراك على نجاح القوات الحكومية ، كما حاصرت القوات الحكومية الكورد ومنعتهم من دخول العراق وسوريا وايران[87] وفي اواسط نيسان تم اعتقال الشيخ سعيد مع عدد من القادة ، وفي نهاية ايار تمت محاكمة الشيخ سعيد والقادة الاخرين ، وبعد المحاكمة صدر حكم الاعدام بحقه مع 46 من قادة الثورة ونفذ في 30 ايار أمام حبل المشنقة . وبعد الاعدام دمرت القوات التركية 206 قرية كوردية واحراق 8758 منزل وتكبد كلا الطرفين خسائر فادحة من جراء الانتفاضة وكان من نتائجها صدور قانون (تقرير مكون قانوني) الذي جرى بموجبه تشتيت الاف الاسر الكوردية وتهجيرها[88].

ومن أسباب فشل ابثورة (داخلية و خارجية) أهمها :-

1) الاتراك قد عرفوا بأمر الثورة واستعدوا لها.

2) اندلاع الثورة قبل موعدها المحدد بخمسة عشر يوما".

3) الفرق الشاسع بين القوتين الكوردية والتركية من حيث العدد وفنون القتال.

4) تأخر كردستان وصعوبة المواصلات والاتصالات.

5) لم يقدر الكورد تقديرا" كافيا" قوة اعدائهم الاتراك عند بدء الثورة.

6) خيانة أحد اتباع الشيخ سعيد القريبين له مما أدى الى القبض على الشيخ سعيد وأعوانه.

7) نفاذ العتاد لدى الكورد.

8) غياب الوحدة بين رؤساء العشائر.

9) غياب التنظيم السياسي الموحد والقوي للكورد.

10) لم تحظ الثورة بأي دعم خارجي.

11) طلب الكماليون من السلطات الفرنسية باستخدام سكة حديد حلب وعبور الاراضي السورية لضرب القوات الكوردية الثائرة في كردستان من الخلف.

12) تمكنت السلطات التركية من اظهار الثورة الكوردية بمظهر انتفاضة شيخ رجعي.

وهكذا اخمدت الثورة بعد سلسلة من المعارك الدامية[89].

ثورة ارارات 1927

بعد ثورة الشيخ سعيد بيران لم يكن الهدوء الذي نعمت به البلاد الا هدوءا" ظاهريا" ، حيث كان حزب خوئيون قد عهد الى احسان نوري باشا ، حيث بدأ على الفور باختيار منطقة جبل ارارات في شمال شرق اسيا الصغرى كمنطقة ارتكاز يبدأ منها اعماله العسكرية[90].

وفي اواخر ربيع 1927 اندلعت الاعمال العسكرية الكوردية ضد الوجود التركي ، في عامي 1928-1929 حشد الكورد قواهم في المنطقة الجبلية وأصبح جبل ارارات ملجأهم الرئيس.

في اوائل 1928 شكل المجلس التركي لجنة مصالحة التقت مع الوفد الكوردي برئاسة احسان نوري وأكدت له انها ستعلن عفوا" عن الثوار ، وعرضوا عليه منصب في الدولة الا انه رفض.في 6 نيسان 1930 دحر الثوار فصيلة تأديبية جهزتها القوات التركية[91].

منيت القوات الحكومية بالفشل اثر معارك ضارية واسقطوا الكورد 12 طائرة وأخمدوا 60 رشاشا" و 24 الية . قسمت القوات الحكومية البلاد عام 1928 الى اربع مناطق عسكرية سميت بالمناطق المفتشية العامة[92].

وامام هذه الاوضاع اعلنوا النفير العام في تركيا ، ومنذ شهر مايس 1930 سمحت الحكومة الايرانية للقوات التركية بعبور الاراضي الايرانية والوصول لمؤخرة الثوار ، واستمر هجوم الاتراك على الثوار بمساعدة الطيران النشيطة مدة طويلة .

وقد لفتت هذه الحركة التحررية انظار العالم اليها ، وهكذا اخمدت الحركة القومية التحررية الكردية مرة اخرى في النصف الثاني من عام 1930[93].

ثورة 1937 (ثورة سيد رضا):

ارسل الزعيم كورد ديرسيم سيد رضا رسالة الى البدوغان طلب فيها من الحكومة الغاء القانون الجديد حول ديرسيم والاعتراف بحقوق سكانها[94]

وردا على ذلك ارسل البدوغان فرقة من المشاة وفوج من الشرطة ضد سكان ديرسيم . وكانت تقوم يوميا بالتحليق فوق ديرسيم ومع حلول فصل الشتاء عام 1936 اضطرت القيادة التركية بوقف عملياتها العسكرية والذي تولى هذه الحملة هو الكردي (عصمت اينونو) الساعد الايمن لاتاتورك[95].

في اوائل 1937 ارسل سيد رضا نجله ابراهيم الى البدوغان للمفاوضات فأحتال عليه البدوغان بأن استدرجه الى قرية دشت وهناك قتله بوحشية , ففي بداية 1937 انذر كورد ديرسيم الحكومة التركية طالبين منها اخلاء المنطقة الكردية من الجيش ، والغاء الاعمال الانشائية ، والغاء اسكان الاتراك في اراضي الكورد الا ان الحكومة لم تتجاهل هذه المطالب فقط بل حشدت كذلك في كردستان اكثر من 30 الف جندي . امرت القيادة العسكرية التركية بحرق الغابات المحيطة بديرسيم مما اضطر الثوار للجوء الى حدود العراق والفرار الى المناطق الجبلية وجرت في منطقة قوزلجة معركة بين القوات التركية والقوات الكوردية جرح سعيد رضا فيها وتكبد الكثير من الخسائر . كتب الوطنيون الكورد في نداء الى عصبة الامم والدول الكبرى يشرحون فيه المعاناة وقضيتهم ، ولكنهم لم يحصلوا على رد . حل خريف عام 1937 وبدأت الثلوج تتساقط في الجبال . وجه البدوغان رسالة الى السيد رضا يدعوه للمفاوضات ولكن ما ان وصل حتى اعتقل في ارسنجان وحكم بالاعدام مع عدد من المعتقلين ونفذ في 18 كانون الاول عام 1937 وبذلك انتهت هذه الثورة بالفشل[96] .

اخذت القضية الكوردية تشكل خطرا على الدول التي يسكنها الكورد وراحت حكومات العراق وتركيا وايرن تتخذ تدابير مشتركة ضد الخطر الكوردي ، ففي عام 1937 تم التوقيع على ميثاق سعد اباد وتعهدت الدول المشتركة فيه بالعمل سوية للقضاء على الحركات الانفصالية والمقصود بها الحركات الكردية[97].

لقد خاض الشعب الكوردي على امتداد عشرات السنين كفاحا مسلح ضد الاتراك المضطهدين في سبيل الاعتراف بحقوقه القومية وتحقيق المساواة في كافة مجالات الحياة , الا ان الكورد منوا بالفشل على الدوام نتيجة الظروف الناشئة واثر صراع مكشوف غير متكافئ وادى قمع الانتفاضات الكثيرة الى انهيار اقتصاد الولايات الشرقية في تركيا وانهكت القوى الكوردية الى درجة كبيرة . كما ادى الاضطهاد الوحشي الى استشهاد الشخصيات الكوردية البارزة والآلاف من الكورد العزل وضلت القضية الكوردية في تركا دون حل[98].

انتشار الوعي القومي الكردي:

شهد القرن التاسع عشر بداية انتشار القومية الكوردية والوعي القومي الحديث في كردستان ، فأصبح الكورد ينزعون الى الاستقلال عن الدولة العثمانية ، ولذلك اندلعت الثورات الكوردية التحررية في هذا القرن بالرغم من أن هذه الثورات كانت تحررية عشائرية في الغالب ، الا ان الكورد كانوا ينظرون اليها على انها سلسلة طويلة من المعارك الوطنية التي بدأت مع مطلع الربع الثاني من القرن التاسع عشر وليست حركات متعطشة للدماء كما تصفها الدول التي تتقاسم كردستان[99].

وكان الزحف الناجح الذي قام به ابراهيم باشا القائد المصري الشهير عبر اسيا الصغرى حتى أبواب اسطنبول ضد العثمانيين على رأس الجيش المصري قد أضرم في نفوس بعض الزعماء الكورد الرغبة في الاستقلال التام . فاذا كان اليونانيون والمصريون اللذين كانوا من رعايا الدولة العثمانية قد استطاعوا دحر الجيش العثماني وحققوا استقلالهم لماذا لايحق للكورد ادارة انفسهم بطريقتهم الخاصة[100] وقد أظهرت الحركات الثورية في القرن التاسع عشر في كردستان انعكاسا" لهذه الافكار فقد أقام القائد الكوردي محمد باشا اوندوزي الصلات مع ابراهيم باشا ابن خديوي مصر والى الشام بنية القيام بعمليات مشتركة ضد الاتراك العثمانيين [101].

لقد بدأ الشعور القومي ينتشر بين المتعلمين والوطنيين من التجار ورجال الاعمال من مصدرين ومستوردين ، وهم اللذين أربكت السيطرة التركية اعمالهم ، كما نمت العاطفة القومية ، وما الحركات التي حدثت في مناطق بايزيد ، وان ، تنحجوان ، ضد السيطرة العثمانية الا ثورات كوردية. ولكن اهم الثورات الكوردية في القرن التاسع عشر هي ثورة الامير بدر خان باشا ، وثورة يزدان شير ، وثورة عبد الله النهري كما مر ذكره[102].

الخاتمـــــــــة

في هذه الدراسة نستنتج ان الشعب الكردي في تركيا (والعراق وايران) طالب بحقوقه عبر المراحل التاريخية ،لكن الدول الاستعمارية الكبرى وقفت بوجه تطلعات الكورد في الحرية والاستقلال ، فضلا عن عدم انسجام الكورد ، خاصة الاغوات والمشايخ الذين كانت فيما بينهم تنافس شديد في الزعامة للكورد والاملاك الاقتصادية والتوجهات الفكرية .الشعب الكوردي شعب مسالم ، وذو عادات وتقاليد منسجمة مع واقعهم الجبلي ، وهم مسلمون ذو نخوة وشجاعة واكرام الضيف وحسن المعشر ، وفي الوقت نفسه هم شعب يأبى الظلم والعبودية ويؤمن ويهوى الحرية الكوردية ومحب لأرضه ووطنه ، محب لبيته وعائلته ودود ذو قلب .

اطلعنا على الثورات الكوردية في العهدين العثماني والجمهوري ، والجهد الذي بذله الكورد لتحقيق اهدافهم في الحرية والاستقلال ، والمعوقات التي صاحبت هذه الثورات المتمثلة بضعف التخطيط وضعف التسليح وكفاءة الجهة المقابلة . ونلمس ذلك من خلال الثورات الكثيرة التي قادها الشعب الكردي ، وتحت قيادات بارزة ، حيث كان قتالهم ودفاعهم من أجل قضية

مصيرية هي انشاء الدولة الكوردية ووطن للقومية الكوردية تضم الكورد جميعا".

لكن في حقيقة الامر ان جميع الحكومات التركية وسياسيها ، والدستور ، لم يستطع محو القومية الكوردية ، ورغم كل الاجراءات التعسفية لطمس الهوية الكوردية فأن الكورد شعب حي يتطلع لحريته ومحب لقوميته .

الهوامش

1- سي جي .ادموندز ، كرد وترك وعرب ، ترجمة جرجيس فتح الله ، منشورات جريدة التاخي ، بغداد 1971،ص7

2- مس غير تروديبل, تاريخ العراق القريب ,ترجمة جعفر الخياط,دار الكتب,بيروت,د.ت,ص183

3 - محمد شفيق غربال ,الموسوعة العربية المسيرة, دار الشعب,القاهرة,1969,ص1450

4- ديفيد مكدول ، تاريخ الاكراد الحديث ، ترجمة راج ال محمد ، دار الفارابي ، بيروت ،2004 ، ص34 .

5– حميد بوزرسلان ، تاريخ تركيا المعاصر ، ترجمة حسين عمر ،المركز الثقافي العربي ،الدار البيضاء ، 2010 ، ص58

6- ديفيد مكدول ، المصدر السابق ، ص35 .

7- باسيل نيكيتين,الاكراد ,ترجمة لويس ماسينيون,دار الروائع ,بيروت,1958,ص11.

8- المصدر نفسه ، ص 37 .

9- سي جي .ادموندز ، المصدر السابق ، ص 19 ومابعدها .

10-باسيل نيكيتين ، المصدر السابق ، ص 45 .

11- سي .جي . ادموندز ، المصدر السابق ، ص 33 .

12- ابراهيم مصطفى واخرون ،المعجم الوسيط،ج2،المكتبة العلمية ،طهران،د.ت ،ص788

13 - جبران مسعود ، الرائد، دار العلم ، بيروت ، 1964 ،ص1235

14 - رواء زكي يونس ، التركيب القومي والديني في تركيا ، دراسات اجتماعية ، مجلة علمية فصلية ،العدد الخامس ، سنة 200 ، ص 82 .

15 - المنجد في اللغة ، ص680

16- محمد امين زكي ، خلاصة تاريخ الكرد وكردستان،ترجمة محمد علي عوفي،مطبعة السعادة ، القاهرة ،1948،ص3.

17-انور المائي ،الاكراد في بهدينان ، مطبعة الحصان ، الموصل ، 1960 ، ص44 .

18- ديفيد مكدول ، المصدر السابق ، ص42 .

19-اندرو فنكل ونوكهت سيرمان ، تركيا المجتمع والدولة ، ترجمة حمدي حميد الدوري وعدنان ياسين مصطفى ، بيت الحكمة ، بغداد ، 2002 ، ص99 ومابعدها .

20- شاكر خصباك ، الكرد والمسألة الكردية ، دار الثقافة الجديدة ، بغداد ، 1969، ص13

21- محمود الدرة ، القضية الكردية ، دار الطليعة ، بيروت ، 1966، ص36

22-شاكر خصباك ، المصدر السابق ، ص13 .

23- باسيل نيكيتين ، المصدر السابق ، ص10

24- احمد الماتي ، المصدر السابق ، ص44

25- المصدر نفسه ، ص56

26- باسيل نيكيتين ، المصدر السابق ، ص7

27-صبرية احمد لافي ، الاكراد في تركيا ، معهد الدراسات الاسيوية والافريقية ، سلسلة الدراسات التركية ، رقم 22 ، بغداد ، 1980 ، ص25 .

28-خليل ابراهيم الناصري ، التطورات المعاصرة في العلاقات العربية التركية ، مطبعة الراية ، بغداد ، 1990 ، ص82 .

29- منذر الموصلي ، الحياة السياسية والحزبية في كردستان ، لندن ،1991 ، ص69

30- حامد محمود عيسى ، القضية الكردية في تركيا ، ط1 ، مكتبة مدبولي ، القاهرة ، 2002، ص33

31 - محمد امين زكي ، المصدر السابق ، ص175

32- المصدر نفسه ، ص175

33- سيد عزيز عبد الله الشمزيني ، الحركة التحررية القومية للشعب الكردي ، اطروحة دكتوراه ، ص24

34-المصدر نفسه ، ص25

35- محمد أمين زكي ، المصدر السابق ، ص12

36- منذر الموصلي ، المصدر السابق ، ص234

37- المصدر نفسه ، ص232

38- المصدر نفسه ، ص235.

39- المصدر نفسه ، ص233

40- سيد عزيز عبد الله الشمزيني ، المصدر السابق ، ص25.

41- المصدر نفسه ، ص26

42- بله.ج شيركو ، القضية الكردية ، القاهرة ، 1930 ، ص40-42

43-ديفيد مكدول ، المصدر السابق ، ص

44- محمد أمين زكي ، المصدر السابق ، ص252

45 - حامد محود عيسى , المصدر السابق ,ص42.

46 - محمد امين زكي, المصدر السابق ,ص(252)

47 - ديفيد مكدول , المصدر السابق , ص95.

48-سي.جي.ادموندز ، المصدر السابق ،ص

49-حميد بوزرسلان ، المصدر السابق ، ص

50 - محمد امين زكي ، المصدر السابق ، ص251

51- بله ج شيركو ، المصدر السابق ، ص42

52- حامد محمود عيسى ، المصدر السابق ، ص50

53- محمد امين زكي ، المصدر السابق ، ص252

54- بله ج شيركو ، المصدر السابق ، ص40

55- جليلي جليل واخرون ، الحركة الكردية ، بيروت ، دار الرازي ، 1992 ، ص24

56- سيد عزيز الشمزيني ، المصدر السابق ، ص60

57- سيد عزيز الشمزيني ، المصدر السابق ، ص60

58- جليلي جليل واخرون ، المصدر السابق ، ص25

59- عثمان علي ، الحركة الكردية المعاصرة دراسة تاريخية وثائقية(1833-1946) ، ط 2 ، المعهد العالمي للفكر الاسلامي ، فرجينيا- الولايات المتحدة الامريكية ،2008 ، ص27

60 - جليلي جليل واخرون , المصدر السايق ,ص31.

60- ديفيد مكدول , المصدر السابق ,ص105

61-المصدر نفسه ،ص

62-سي.جي.ادموندز ، المصدر السابق ،ص

63- سيد عزيز , المصدر السابق , ص61.

64- حامد محمود عيسى ,المصدر السابق ,ص61.

65- المصدر نفسه ، ص

66 - ديفيد مكدول,المصدر السابق , ص109

67 - حامد محمود عيسى ,ا لمصدر السابق ,ص61.

68-ديفيد مكدول ، المصدر السابق ، ص

69- حامد محمود عيسى ،المصدر السابق ، ص85.

70- سيد عزيز الشمزيني ، المصدر السابق ، ص66.

71- ديفيد مكدول ، المصدر السابق ، ص643.

72-سيد عزيز الشمزيني ، المصدر السابق ، ص67

73-كمال مظهر احمد ، كردستان في سنوات الحرب العالمية الاولى ، ترجمة محمد الملا عبد الكريم ، ط2 ، بغداد ، 1984 ، ص 124 .

74- غيرترودبيل ، المصدر السلبق ن ص182.

75- عبد الرزاق الحسني ،تاريخ العراق السيايسي ، ج3 ،ط7 ، دار الكتب ، بيروت ، 1983 ، ص 299 .

76- حامد محمود عيسى ، المصدر السابق ، ص157.

77- ديفيد مكدول ، المصدر السابق ، ص 206 ومابعده .

78 - حامد محمود عيسى ، المصدر السابق ، ص165-166.

89- عزيز الحاج ، القضية الكردية في العشرينات ، المؤسسة العربية ، بيروت ، 1984 ، ص108.

80- حامد محمود عيسى ، المصدر السابق ، ص192-193.

81- جليلي جليل واخرون ، المصدر السابق ، ص37.

82- ديفيد مكدول ، المصدر السابق ، ص

83- حامد محمود عيسى ، المصدر السابق ، ص195-197.

84 - حامد محمود عيسى ، المصدر السابق ، ص195-197.

85 - كارل بروكلمان ، تاريخ الشعوب الاسلامية ، ج 4 ، دار العلم للملايين ، بيروت ، د.ت ، ص14.

86- جليلي جليل واخرون ، المصدر السابق ، ص141.

87- سي . جي . ادموندز ، المصدر السابق ، ص

88- ديفيد مكدول ، المصدر السابق ، ص

89- حامد محمود عيسى ، المصدر السابق ، ص207-208.

90- جليلي جليل واخرون ، المصدر السابق ، ص167.

91- حامد محمود عيسى ، المصدر السابق ، ص223-224.

92-ديفيد مكدول ، المصدر السابق ، ص

93- باسل نيكتين ، المصدر السابق ،ص

94- جليلي جليل واخرون, المصدر السابق , ص182.

95- سيد عزيز الشمزيني , المصدر السابق , ص81.

96- حامد محمود عيسى , المصدر السابق , ص228-229.

97- منذر الموصلي ، المصدر السابق ، ص

98- جليلي جليل واخرون , المصدر السابق , ص182.

99 - مارتن فان برونيسن ، الاكراد وبناء الامة ، ترجمة فالح عبد الجبار ،ط1، دار الفرات ،بغداد ، 2006 ، ص49.

100 - حامد محمود عيسى ، المصدر السابق ، ص45-46.

101 - المصدر نفسه ، ص46.

102- كمال مظهر احمد ، المصدر السابق ، ص87

المبحث الثالث :

صور مأساوية

من

تاريخ الارمن

المقدمة

الارمن اقوام ارية سكنت مختلف اصقاع العالم ، سيطروا على المنطقة التي تسمى في وقتنا الحاضر ارمينيا ، نسبة الى مركز ثقلهم وقوة تواجدهم على الارض ، وقد تعرض الارمن عبر تاريخهم الى مجازر كان الصراع فيها سياسيا و دينيا و اقتصاديا ، وبسبب المصالح الدولية المتشابكة ضاعت حقوق الارمن ، واصبح شعب مضطهد ، وشهد التاريخ المجازر التي حلت بالارمن دون حراك من الدول الكبرى بريطانيا وفرنسا والمانيا والولايات المتحدة ، وصولا الى تركيا الذي يعرف الجميع من تسبب بموت جماعي للامن .

من هذا الفهم لمشكلة الارمن في تركيا سأحاول تسليط الضوء على اصولهم ومناطق سكناهم وتداخلهم مع شعوب الارض واسباب تعرضهم للمجازر على مر التاريخ ، وبعد ان عرفت بالارمن لا بد لي من تسليط الضوء على الدولة العثمانية وتأسيس الدولة التركية الحديثة لا تحكم باسم الاسلام بناها مصطفى كمال اتاتورك ، وفي موضع اخر من هذا البحث سأحاول تسليط الضوء على المشكلة الحقيقية التي تعرض لها الارمن في

تركيا من حيث اسبابها ودوافعها ووقائعها على الارض والنتائج التي تمخضت عنها مستعين بذلك ببعض المصادر التي تحدثت عن مشكلة الارمن وفي مقدمتها احمد العلي في كتابه الارمن ، وكذلك ما ورد في كتاب تاريخ حضارات العالم القديم للدكتور طه باقر ،فيما افدت من بعض كتب المستشرقين ومنهم ليو اوبنهايم ، وكذلك ما كتبه نعيم اليافي وخليل موسى عن النضال العربي والارمني ضد العثمانيين والذي تحدث فيه مسميا العثمانيين بالمستعمرين ومصادر اخرى سترد مفصلة في متن البحث .

واعترف ان بعض الصعوبات واجهتني اثناء اعداد هذا البحث من بينها عدم توافر المصادر في المكتبات الرسمية او الاهلية الا النزر اليسير ، وقد انتظم البحث هذا على ثلاثة مباحث هي : المبحث الاول تضمن اصل الارمن ، والمبحث الثاني تضمن سياسة الدولة العثمانية تجاه الارمن ، والمبحث الثالث تضمن الجذور التاريخية اقضية الارمن في تركيا.

وفي الختام ارجو ان اكون قد وفقت في هذا الجهد المتواضع ، وان يكون البحث ذو فائدة للباحثين والله من وراء القصد .

أولا : نبذة مختصرة عن الأرمن

الارمن – اصولهم

ينتمي الأرمن إلى العرق الآري، ويعود وجودهم في أرض أرمينيا التاريخية -الهضبة الأرمنية (أرض أرمينيا العظمى والصغرى) الممتدة في الأجزاء الوسطى والشرقية من آسيا الصغرى - إلى الألف الثالث ق.م ، حسب الدراسات اللغوية والآثارية الحديثة والتقليد المتوارث القديم. وتمتد أرمينيا التاريخية إلى الشرق من المنابع العليا لنهر الفرات وحتى بحر قزوين وإيران، وتحدها من الشمال سلسلة جبال القوقاز ، ومن الجنوب سلسلة جبال طوروس الأرمنية على حدود العراق الشمالية ، في حين تمتد أرمينيا الصغرى إلى الغرب من منابع نهر الفرات . وتبلغ مساحة أرمينيا

العظمى و أرمينيا الصغرى معاً ، حسب بعض المؤرخين ، نحو 358 ألف كيلومتر مربع، وهي تعادل نحو اثني عشر ضعف مساحة جمهورية أرمينيا الحالية ، إحدى جمهوريات الاتحاد السوفييتي السابق[1] .

ويُعد جبل آرارات الذي رست عليه سفينة النبي نوح عليه السلام ، حسب الكتاب المقدس ، أهم جبال أرمينيا، فضلاً عن جبل آراكاتس وجبال طوروس الأرمنية .

ويرد في الكتاب المنهجي للصف الثالث المتوسط "جغرافية العراق وبعض الدول المجاورة" ما نصه:

"هضبة أرمينيا: وتسمى أيضاً عقدة أرمينيا، يتراوح ارتفاعها بين 3-4 آلاف متر وتظهر عليها مرتفعات بركانية أهمها جبال آرارات التي يبلغ ارتفاعها حوالي 5156 متراً . وينبع من هذه الهضبة نهرا دجلة والفرات ويتجهان إلى الجنوب الشرقي ويدخلان الوطن العربي في سوريا والعراق ، ونهر آراكس الذي يتجه إلى الشرق ليصب في بحر قزوين . كما توجد فيها بحيرة وان أكبر بحيرات تركيا." [2] .

وتنبع من أرمينيا عدة أنهار رئيسة مثل آراكس، والكر، ودجلة والفرات . وفيها بحيرات مثل وان، وسيفان، وأورومیا.

ويذكر ليو أوبنهايم ما نصه:

"ينحدر نهرا دجلة والفرات من الجبال الأرمينية وهما مزودان بعدد من الروافد الجبلية..."[3]

ارمينيا في المدونات التاريخية

عُرفت أرمينيا في مدونات الملك سرجون الأكدي وحفيده نرام سين (الألف الثالث ق.م) باسم أرماني-أرمانم (التسمية الأولية لأرمينيا) ، وفي

مدوًنات الحيثيين في الألف الثاني ق.م. بـ (هاياسا) . وفي المدونات الآشورية عرفت بـ (أورو-آدري) ، وتحالف بلاد نايري، وأورارتو (مملكة آرارات في العهد القديم من الكتاب المقدس) في الألف الأول ق.م (القرن التاسع إلى القرن السادس ق.م). وقد دخلت الإمبراطورية الآشورية مع الجارة الشمالية مملكة اورارتو (آرارات) في أرمينيا في علاقات تحالف تارة وحروب تارة أخرى .

وتذكر كتابات الملك الأخميني دارا الأول على صخرة بهستون الشهيرة في إيران أن بابل تمردت ضد حكم فارس عام 521 ق.م ، وقد قاد حركة التمرد آراخا الأرمني الذي نصَّبه شعب بابل ملكاً عليها، ودامت ثلاثة أشهر . ويقول الدكتور طه باقر ما نصه: "ثارت بابل مرة أخرى في شهر آب (عام 521 ق.م) وادعى الثائر بأنه (نبوخذ نصر ابن نبونيدس) ، ولكن الواقع أنه كان أرمني الأصل أسمه (

أراخا) ابن (خلديتا) كما جاء في كتابة بهستون الشهيرة . ومهما كان الحال قُضي على نبوخذ نصر الرابع في تشرين الثاني من العام نفسه ، وقد نُكِّل به وبالثائرين الآخرين". [4]

ويذكر المؤرخ اليوناني هيرودوتس (484-425 ق.م) عن علاقات أرمينيا والعراق القديمة أن الأرمن كانوا ينقلون عبر نهر الفرات بالطوف أو المراكب البضائع إلى بابل، حيث كانوا يبيعونها.

ويذكر ليو اوبنهايم عن هذه العلاقات ما يأتي:

"كانت بلاد ما بين النهرين بأتصال مستمر مع الحضارات المجاورة خلال ثلاثة آلاف سنة تقريبا من تاريخها الوثائقي، بل أنها في بعض الفترات اتصلت بحضارات بعيدة . وتمتد المنطقة التي كانت معها بلاد ما بين النهرين بأتصال مباشر من وادي الاندوس عبر إيران وأرمينيا والأناضول إلى ساحل البحر المتوسط إلى مصر". [5]

اشهر ملوك الارمن وتقسيمها :

ومن القرن السادس ق.م . وحتى بداية القرن الأول الميلادي ، حكم أرمينيا ملوك من الأسرة اليروانتية. ومن أشهر ملوك هذه الحقبة الملك ديكران (تيكرانيس) الثاني (95-55 ق.م) الملقب بـ(العظيم) و (ملك الملوك) بعد أن تنازل عن اللقب الأخير له ملك فارس . وقد وصلت مساحة إمبراطوريته إلى (700) ألف كيلومتر مربع ، بعد أن ضم إلى مملكته جورجيا وبلاد الأفغان وأجزاء من بلاد فارس وشمال العراق (نواحي نينوى وأربيل) وسوريا وفلسطين وفينيقية-لبنان- ، حيث مكث زهاء ثمانية عشر عاماً، بناء على طلب من أهل سوريا بالذات، كما يذكر الأستاذ محمد كرد علي في كتابه (خطط الشام) . وكانت تلك بداية للعلاقات الأرمنية-العربية الفعلية في التاريخ . وقد جلب الملك ديكران الثاني معه إلى أرمينيا من فلسطين آلاف اليهود كأسرى أو صناع وحرفيين ، وقد أسماه القنصل الروماني شيشرون (ملك آسيا العظيم [(6)] .

وتروي المصادر التاريخية أيضاً، أن الجيش الأرمني في عهد هذا الملك كان يضم بين تشكيلاته العسكرية (فرقة عربية) قاتلت معه عبر حروبه الدفاعية والهجومية التي جعلت دولته تمتد من البحر الأسود إلى بحر قزوين ، ومن البحر المتوسط وحتى بلاد فارس . كما كانت جيوش نجله الملك اردافاست بدورها تحوي بعض الكتائب العربية ضمن صفوفها . وكانت الملكة العربية زنوبيا ملكة تدمر تعتمد اعتماداً كبيراً على جنودها الأرمن في جيشها العتيد متعدد الجنسيات.[(7)].

وبسبب موقع أرمينيا الستراتيجي وإشرافها على المناطق المجاورة وأهميتها السياسية والاقتصادية وغناها بالثروات والمعادن ، فضلاً عن مرور طرق التجارة الدولية فيها ، تكالبت الإمبراطوريات الكبرى على مدى التاريخ للسيطرة عليها واستمالة ملوكها ، مما أدى إلى تعرض الأرمن إلى الحروب والكوارث على مدى تاريخهم الطويل .

وحسب شهادة مؤرخ القرن الأول جوستينوس الروماني، كانت أرمينيا تحتل المرتبة الدولية الثالثة في العالم القديم بعد روما وفارس[8] .

وفي عام 66 م، تأسست في أرمينيا مملكة جديدة سميت (الآرشاكونية) استمرت حتى عام 428 م . ومن أهم الأحداث في عهد هذه المملكة هو اعتناق أرمينيا الديانة المسيحية بشكل رسمي عام 301 م . وبهذه الخطوة ، تكون أرمينيا أول دولة اعتنقت المسيحية في العالم .

وفي عام 387 م ، قُسِّمت أرمينيا لأول مرة بين الرومان والفرس . وفي عام 406 م، اخترع الراهب ميسروب ماشدوتس بمساندة الملك فرامشابوه والكاثوليكي (الزعيم الروحي الأعلى للكنيسة الأرمنية) ساهاك بارتيف الأبجدية الأرمنية ، وتمت ترجمة الكتاب المقدس إلى الأرمنية. وفي عام 451 م، خاض الأرمن بقيادة قائد الجيش فارتان ماميكونيان معركة آفارايز ضد الفرس الذين حاولوا مرارا القضاء على الاستقلال الداخلي للأرمن وتحويلهم عن المسيحية وفرض المزدكية الزرادشتية عليهم، وبالتالي صهر القومية والثقافة الأرمنية. واستمرت مقاومة الأرمن حتى اضطر ملك الفرس عام 484 م إلى الإعلان عن حرية الدين المسيحي في أرمينيا. [9]

تطورت العلاقات الأرمنية-العربية بحكم التجاور الجغرافي بين شبه جزيرة العرب والعراق وسوريا ولبنان من جهة، وأرمينيا من جهة ثانية، لا سيما عند توجه بطريرك الأرمن في القدس أبراهام إلى الجزيرة العربية، واظهر شخصيته للنبي العربي وطلب منه أماناً وحماية لرهبنيات الأرمن وأوقافهم، فأعطاه العهد الآتي:

"أنا محمد بن عبد الله رسول الله تعالى أعطيت هذا العهد إلى شعب أبراهام البطريرك والى المطارنة والرهبان الأرمن الذين يقيمون في القدس ووهبت

لهم كنائسهم ودورهم وأوقافهم وأراضيهم". وصورة هذا العهد موجودة في كنيسة القديس يعقوب في القدس وممهورة بخاتم الرسول العربي[10].

ولما قرأ الخليفة عمر بن الخطاب هذا العهد وافق عليه، وظل الأرمن يتمتعون بالحماية الكاملة، ثم لما استرجع صلاح الدين بيت المقدس من الصليبيين، اصدر مرسوماً يعترف به بعهد الرسول العربي مجدداً. وهكذا استمر الخلفاء على هذا العهد في عصور خلفاء الدولة الأموية، وبعدها الدولة العباسية، وحتى الدولة العثمانية، إلى أن نقضه أحد سلاطينهم في القرون الأخيرة، إذ أن "الذي حدث مع الدولة العثمانية في زمن السلطان عبد الحميد أنها خرجت على العهد المنسوب للرسول والذي منحه لبطريرك الأرمن أبراهام وسار بموجبه المسلمون العرب في تعاملهم مع الأرمن من بعده، ولم ينقض السلطان عبد الحميد وخلفاؤه الطورانيون العهد مع الأرمن وحدهم، وإنما نقضوا العهد مع آل النبي وشعبه العربي المسلم[11].

أرمينيا تحت الحكم العربي :

استمرت الحملات العربية الاسلامية لإخضاع أرمينيا ، فجرد خلالها العرب أربع حملات آلت إلى توقيع معاهدة صلح بين الطرفين (في عهد الخليفة عثمان بن عفان) . ونصت المعاهدة على قبول أرمينيا سيادة الدولة العربية مع إعفائها من الجزية لمدة ثلاث سنوات وإعطائها حق امتلاك قوة مؤلفة من 15 ألف فارس تمولها الخلافة العربية وتقوم بالدفاع عن حدود أرمينيا . كما تعهدت الخلافة العربية بالحفاظ على الاستقلال الداخلي لأرمينيا والامتناع عن احتلال معاقلها وقلاعها ووضع المقاتلين فيها، وتقديم المساعدة للأرمن أثناء هجوم الأعداء البيزنطيين .

وعندما وصل إلى إمبراطور بيزنطة (هيروكوليس) نبأ المعاهدة الأرمنية العربية طلب من الأمير الأرمني الرجوع عنها، إلا أن هذا الأخير رفض ذلك، مما دفع الإمبراطور المذكور إلى تسيير جيوشه إلى أرمينيا. بيد أن هذه الحملة أخفقت واضطر الجيش البيزنطي إلى الانسحاب . وتم تعيين

القائد الأرمني تيودوروس رشدوني حاكماً على عموم أرمينيا وما وراء القوقاز (654-658).

ولاحقاً، استقبل الخليفة معاوية في دمشق حاكم أرمينيا كريكور ماميكونيان والأمير سمباط. وبناء على طلب وجهاء الأرمن، تمت تسمية كريكور ماميكونيان حاكماً فعلياً ورسمياً لأرمينيا. ومرت أرمينيا بفترة سلام ساعدت على تطور حركة العمارة والثقافة فيها.

وبعد اضطراب كبير، عم السلام والأمان في أرمينيا مرة أخرى في عهد الخليفة الوليد الذي عيّن عبد العزيز عام 706 م عاملاً على أرمينيا. فعمرت البلدان والمدن المهمة حتى أن دفين (دبيل) عاصمة أرمينيا آنذاك، عمّرها عبد العزيز على نفقته الخاصة. [12]

أما في عهد الخليفة عمر بن عبد العزيز (717-720)، فكما يذكر المؤرخون الأرمن –وفي هذا الذكر دلالات بارزة على متانة العلاقات الأرمنية العربية- إن كاثوليكوس الكنيسة الأرمنية كان هوفهانيس أوتسنيتسي الذي اشتهر بمصنفاته وبلاغته ومعلوماته القيمة في الشعر والآداب والفلسفة واللاهوت. وقد صنف معظم أجزاء الكتب الطقسية للكنيسة الأرمنية وكان يقضي اكثر أيامه منقطعاً للصوم والصلاة. ولهذا فان الكنيسة الأرمنية تعتبره من رؤسائها الكبار.

وكان عامل الخليفة عمر في أرمينيا يصف دائماً في رسائله الكاثوليكوس هوفهانيس، ويشيد بأخلاقه الطيبة، فتاق الخليفة العادل (المعروف بزهده) إلى التعرف إلى هذا الرجل العظيم، وبعث يدعوه لزيارة دمشق ولبّى الكاثوليكوس الدعوة ، وقدم إلى العاصمة العربية، فأُستقبل بمظاهر الحفاوة والإكرام ، وقيل أن دمشق لم تشهد مثيلاً لهذا الاستقبال الرائع بالنسبة لرجال الدين وكبار ضيوف الدولة العربية.، وفي اللقاء الأول الذي تم بين الرجلين العربي والأرمني، لفت انتباه الخليفة الزاهد حسن قامة الكاثوليكوس، وشعره المسبل الجميل، وذقنه المزدهرة، وثيابه الموشاة وعصاته المذهبة المرصعة بالأحجار الكريمة، ولم يكتم الخليفة الفضول

الذي كان يعتمل في نفسه، فسأل ضيفه عن هذا الترف غير الاعتيادي، طالما أن السيد المسيح قد دعا في الإنجيل المقدس إلى البساطة، فقال الكاثوليكوس مجيباً:

"إن المسيح لما اتخذ الطبيعة البشرية غطى بها المجد الإلهي، ولكنه لم يستر المعجزات وقوته الإلهية. فبقوته الإلهية صنع آيات كثيرة هو وتلاميذه، ولم يحتج إلى ثياب مثل ثيابي هذه ليجعل كلامه مسموعاً وشخصه وقوراً. ولكننا نحن رجال الدين، لا يمكننا أن نصنع آيات مثل آيات السيد المسيح ومعجزاته، فإننا نحاول أن نلقي على أنفسنا مظاهر المهابة والوقار بواسطة هذه الملابس المزدانة. ولكن إذا أردت أن تعرف الحقيقة الكاملة وتشاهد ملابسي الحقيقية التي أضعها على جسدي، فأرجو أن تأمر الحاضرين بإخلاء المجلس". وطلب الخليفة الزاهد أن يخرج الجميع، فلما خلا بالكاثوليكوس نزع الأخير ملابسه الخارجية المزدانة بأنواع المجوهرات والوشي، فإذا بثوب خشن مصنوع من الخيش مسدل على جسده وقال: [13]"هذه ثيابي الأصلية التي البسها بشكل دائم فوق جسدي تحسسها بيدك إن شئت". فوضع الخليفة يده على الثوب ثم سحبها مندهشاً، وهو يقول:

"كيف يستطيع الإنسان أن يتحمل مثل هذه الثياب الخشنة المؤلمة إذا لم يعطه الله الصبر".ثم خلع الخليفة على الكاثوليكوس الخلع النفيسة وزاد في إكرامه وإعزازه . كما أن الخليفة سأل الكاثوليكوس عن حاجته، فطلب إعفاء رجال الدين من الضريبة، فوافق الخليفة ورد الكاثوليكوس إلى أرمينيا معززاً مكرماً. كما أعاد الخليفة الأسرى من أبناء الأمراء الأرمن إلى أرمينيا. [14]

ثانيا : سياسة الدولة العثمانية تجاه الارمن

بدأت الابادة المنتظمة للارمن في نهاية القرن التاسع عشر . ويدور الحديث عن القتل الجماعي للارمن الذي وضع اساسه في اعوام 1894-

1895 [15]. واسفر في تلك المدة اضطهاد السكان غير المسلمين في الامبراطورية العثمانية عن اضطرابات شعبية . وكانت السلطات العثمانية تتبع سياسة تهجير المسلمين الاكراد الى مناطق يقيم فيها الارمن وغيرهم من الشعوب المسيحية، الامر الذي أدى الى ان تفرض ضرائب على السكان الارمن من جانبين، هما الحكومة العثمانية و زعماء القبائل الكردية . وقامت السلطات العثمانية بادخال قواتها الى المنطقة ، وذلك ردا على رفض الارمن دفع ضرائب باهظة فرضت عليهم . وباتت القوات العثمانية جنبا الى جنب مع القبائل الكردية تقتل الارمن بدون التمييز بين النساء والاطفال والشيوخ . وفي الوقت ذاته اقام الاتراك العثمانيين مجزرة للارمن في مدينة طرابزون حيث قتل ومات حرقا حوالي ألفي شخص . وكانت السلطات العثمانية تقترح على المسلمين الذود عن الاسلام من الكفار، وهي تشجع نهب الارمن موضحة ان القرآن لا يعارض مصادرة ممتلكاتهم . وثمة تكتيك آخر كان يمارسه السلطان عبد الحميد الثاني الذي حكم البلاد حينذاك، وهو إدخال الارمن المسيحيين الى الدين الاسلامي قهرا . وكان شاكر باشا يقوم بممارسات من هذا النوع ، وكان يخطط للقتل الجماعي بغية تقليص عدد الارمن في تركيا والقضاء عليهم قضاء تاما في المستقبل . وشهدت مدينة عرفة التركية التي شكل الارمن فيها ثلث سكانها مجزرة ضارية اتصفت بقساوة بربرية. وبلغ عدد القتلى بين الارمن في هذه المدينة ما يزيد عن 7 آلاف قتيل، ضمنهم 1500 ارمني طالبوا الحماية الرسمية من جانب السلطة العثمانية، فتم حرقهم احياءً في الكتدرائية. وابيدت عائلات بكاملها. [16] واجرى الارمن مظاهرة في اسطنبول كان هدفها تسليم عريضة الى الحكومة العثمانية. وأمرت الحكومة قوات الشرطة بتفريق المظاهرة. وفي أعقاب ذلك شهدت اسطنبول والمدن التركية الاخرى عشرة ايام من الارهاب الذي أسفر عن هلاك 50-100 الف ارمني[17].

تولى الاتراك الشباب زمام الحكم في الدولة العثمانية عام 1908، وبدأوا بأتخاذ خطوات رامية الى جعل سياستهم اكثر ليبيرالية وتسامحا. وقد اعلنت المساواة في الحقوق بين الارمن والسكان المسلمين، الامر الذي أثار أصداء ايجابية في اوساط المجتمع الدولي والارمن على حد سواء. لكن الاحداث التي اعقبت ذلك خيبت آمالهم حين قتل نتيجة مجزرة كيليكيا وقعت بولايتي حلب وأدنة ما يقارب 30 الف شخص. وتم تدمير وحرق عشرات من القرى والبلدات الارمنية. وبات السكان ينظمون مجموعات الدفاع الذاتي التي تمكنت من صد هجمات المدمرين الاتراك، الامر الذي حال دون وقوع مجزرة شاملة. وقد اجرت السلطات تحقيقا اتصف بالشكلية . ولم يتم اكتشاف المنظمين ولا المذنبين في هذه المجزرة[18].

شرق الدولة العثمانية والتغيرات السياسية :

مع نشوب الحرب العالمية الاولى تطلعت العديد من الشعوب التي كانت خاضعة لسيطرة الدولة العثمانية في نيل الاستقلال وتشكيل بلد قومي لها ، وكان الارمن من ضمن هذه الشعوب التي كان لها تطلعات بإنشاء وطن قومي ، وفي عام 1915 م قامت الجيوش الروسية بالزحف نحو الدولة العثمانية واحتلت مدن جوله ميرك ونيروه وفرشين التي تقع حاليا في جنوب شرق تركيا ، واتجهت القوات الروسية بعد احتلالها هذه المناطق إلى مدينة العمادية. وفي أوائل شهر مايس من سنة 1916 زحفت القوات الروسية بقيادة الجنرال جيورونزبوف نحو بلدة راوندوز تصحبها اربعة افواج من المتطوعين الارمن والنساطرة[19] ، وفي الثالث عشر من الشهر نفسه احتلت هذه القوات البلدة ، وقامت القوات الروسية تساندها الوحدات الارمنية والنساطرة باحتلال بلدة خانقين ، وقد قامت القوات الارمنية بقتل خمسة آلاف من اهالي راوندوز وخانقين والمناطق المجاورة لهما بسبب كون هذه المناطق قد انحازت لجانب الدولة العثمانية في تصدي الهجوم

الروسي على هذه المناطق ، وقد قامت هذه القوات بمصادرة كل المواشي والمحاصيل الزراعية واستمر احتلال القوات الروسية والارمنية للمنطقة إلى قيام ثورة أكتوبر(تشرين الاول) في روسيا في عام 1917 م . وأدى انتشار أخبار المجازر التي قامت بها الوحدات الارمنية التي كانت تحت امرة الجيش الروسي بالمناطق الكردية إلى نزوح السكان من بلدة وان وماجاورها إلى المناطق الجنوبية كالعمادية وزاخو ودهوك والموصل وغيرها من المدن والمناطق الامنة من

التهجير والإبادة[20].

متابعة عمليات الابادة الجماعية الاولى :

خلال مدة الحرب العالمية الأولى قام الأتراك بالتعاون مع عشائر كوردية بإبادة مئات القرى الأرمنية شرقي البلاد في محاولة لتغيير ديموغرافية تلك المناطق لاعتقادهم أن هؤلاء قد يتعاونون مع الروس والثوار الأرمن . كما اجبروا القرويين على العمل كحمالين في الجيش العثماني ومن ثم قاموا بإعدامهم بعد انهاكهم ، غير أن قرار الإبادة الشاملة لم يتخذ حتى ربيع 1915, ففي 24 نيسان 1915 قام العثمانيون بجمع المئات من أهم الشخصيات الأرمنية في إسطنبول وتم اعدامهم في ساحات المدينة. [21]

بعدها أمرت جميع العوال الأرمنية في الأناضول بترك ممتلكاتها والانضمام إلى القوافل التي تكونت من مئات الالآف من النساء والأطفال في طرق جبلية وعرة وصحراوية قاحلة . وغالبا ما تم حرمان هؤلاء من المأكل والملبس . فمات خلال حملات التهجير هذه حوالي 75% ممن شارك بها وترك الباقون في صحاري بادية الشام [22] ويروي أحد المراسلين الأمريكيين إلى مدينة الرها:

((خلال ستة اسابيع شاهدنا أبشع الفظائع تقترف بحق الآلاف... الذين جاؤوا من المدن الشمالية ليعبروا من مدينتنا. وجميعهم يروون نفس الرواية: قتل جميع رجالهم في اليوم الأول من المسيرة، بعدها تم الأعتداء على النسوة والفتيات بالضرب و السرقة وخطف بعضهن حراسهم... كانوا من أسوأ العناصر ، كما سمحوا لأي من كان من القرى التي عبروها باختطاف النسوة والاعتداء عليهن . لم تكن هذه مجرد روايات بل شاهدنا بأم أعيننا هذا الشيء يحدث علنا في الشوارع))[23].

ما ذكرته الصحف والمصادر التاريخية عن المجزرة :

يتفق معظم المؤرخين على أن عدد القتلى من الأرمن تجاوز المليون . غير أن الحكومة التركية وبعض المؤرخين الأتراك يشيرون إلى مقتل (300,000) أرمني فقط ، بينما تشير مصادر ارمنية إلى سقوط أكثر من مليون ونصف أرمني ، بالإضافة إلى مئات الآلاف من الآشوريين/السريان/الكلدان واليونان النبطيين [24]. وذكرت جريدة نيويورك تايمز الصادرة في 15كانون الاول 1915 في مقالة أن قريب المليون شخص قتلوا أو تم نفيهم على أيدي الأتراك .

بسبب هذه المذابح هاجر الأرمن إلى العديد من دول العالم ، من ضمنهم أرمن سوريا، لبنان، مصر ، العراق. ولا يزال الأرمن يحيون تلك الذكرى في 24 نيسان من كل عام . وحتى الآن لا تعترف تركيا بهذه المذبحة[25].

عندما دخل البريطانيين إلى إسطنبول محتلين في 13 تشرين الثاني من سنة 1919،أثاروا المسألة الأرمنية، وقبضوا على عدد من القادة الأتراك لمحاكمتهم غير أن معظم المتهمين هرب أو اختفى فحكم عليهم بالإعدام غيابيا ، ولم يتم إعدام سوى حاكم يوزغت الذي أثم بإبادة مئات الأرمن في

بلدته [26] وردا على استمرار إنكار الإبادة الجماعية للأرمن من قبل الحكومة التركية، دفع ذلك العديد من الناشطين في مجتمعات الشتات الأرمني من أجل الاعتراف الرسمي بالإبادة الجماعية للأرمن من مختلف الحكومات في جميع أنحاء العالم . وقد اعتمد 20 بلدا و 42 ولاية أمريكية قرارات الاعتراف بالإبادة الأرمنية كحدث تاريخي ووصف الاحداث بالإبادة الجماعية [27].

ثالثا : الجذور التاريخية للارمن في تركيا

لم تشكل الامبراطورية العثمانية من فراغ بل بجهود حثيثة بذلها عثمان الاول الذي كان حاكماً على أجزاء من سلطانية وقونية السلجوقية، بنى أساس إمبراطورية مترامية الأطراف عُرفت نسبة إليه باسم الإمبراطورية العثمانية منذ عام 1299م . وفي عام 1453م سيطر السلطان محمد الفاتح على مدينة القسطنطينية ، (اسطنبول) ، التي أصبحت عاصمة للعثمانيين [28].

وفي عام 1514 م استولى العثمانيون بقيادة السلطان سليم الأول على أرمينيا الغربية بعد إلحاق الهزيمة بالفرس الصفويين في معركة سهل جالديران . وفي عام 1555 م، وبعد معارك عنيفة بين العثمانيين والصفويين ، تم تقسيم أرمينيا بينهما ، وأصبحت الأجزاء الشرقية منها تابعة للصفويين . وأدت الحروب المستمرة بين الفرس والعثمانيين إلى إلحاق الكوارث بالسكان الأرمن من مجاعة وتهجير وإبادة[29] .

وأُعيد تقسيم أرمينيا بين الطرفين عام 1639 م ، وأُطلقت تسمية (أرمينيا الشرقية أو الفارسية) على الجزء الشرقي التابع للفرس، و(أرمينيا الغربية أو التركية) على الجزء الغربي.

في النصف الثاني من القرن السادس عشر، بدأت بوادر حركة التحرر الأرمني تظهر في أرمينيا للتخلص من الاحتلالين العثماني والفارسي. وخلال الأعوام من 1722-1729، خاض الأرمن في (أرمينيا الشرقية) نضالاً تحررياً وطنياً للتخلص من قبضة هذين الاحتلالين [30].

وفي ظل الدولة الصفوية، والدولة العثمانية بشكل خاص، عاش الأرمن ورعايا الشعوب الأخرى أوضاعاً مأساوية، فاغتصبت حقوقهم القومية والدينية والاجتماعية، وكانوا يُعاملون كمواطنين من الدرجة الثانية، ويعيشون في ظل الفقر وظروف فقدان الأمن على الحياة والممتلكات، وكانوا معرضين للسلب والقتل من قبل عصابات اللصوص وقطاع الطرق والقبائل التي تعيش في المناطق المجاورة ، فضلاً عن تعرضهم لضغط الحكومة والباشوات والحكام والبيكوات والاغوات ، ناهيك عن الضرائب الباهظة التي كانت تثقل كاهلهم[31] .

عانت أرمينيا في ظل الحكم العثماني من الاضطهاد والتبعية الاستعمارية، شأنها في ذلك شأن جميع الشعوب الخاضعة لحكم العثمانيين ، بضمنها الأقطار العربية . بيد أن الشعب الأرمني، وبحكم تمركزه في أرض (أرمينيا الغربية) في الأناضول الشرقية الواقعة في قلب الإمبراطورية العثمانية، عانى بشكل أكبر من سياسة الاضطهاد والمذابح. [32]

ارمينيا في العصر الحديث :

وفي العصر الحديث، برزت (القضية الأرمنية) على الصعيد الدولي لأول مرة في ضوء معاهدة (سان ستيفانو-البند 16) ومعاهدة (برلين-البند 61

) عام 1878م بعد الانتصار الروسي في الحرب الروسية العثمانية. وقد تراوح عدد الأرمن القاطنين في الدولة العثمانية في هذه المدة ، قبل مذابح السلطان عبد الحميد الثاني ، بين 2,5-3 ملايين نسمة ، حسب المصادر الأوروبية والأرمنية . أما الأتراك ، فكانوا لا يشكلون أكثر من 6 ملايين نسمة من مجموع سكان الإمبراطورية العثمانية البالغ 30 مليون نسمة ، حسب المصادر التاريخية وتقارير السفراء الأجانب المعتمدين في اسطنبول آنذاك ، ورفض السلطان عبد الحميد الثاني (1876-1909) منح الأرمن وبقية الشعوب الرازحة تحت نير الاستعمار والطغيان العثماني حقوقهم الوطنية ، ورفض حتى تطبيق الإصلاحات الشكلية المنصوص عليها في معاهدة برلين التي وافق عليها والخاصة بالولايات والمناطق الأرمنية ، مستغلاً عدم جدية الدول العظمى في تطبيق هذه الإصلاحات وسعيها وراء تحقيق مصالحها الذاتية فقط ، وذبح أكثر من 300 ألف أرمني من مواطني الدولة العثمانية خلال الأعوام من 1894-1896، فأطلق عليه الرأي العام الأوروبي لقب (السلطان الأحمر) و (السفاك الكبير)[33].

وبعد الانقلاب العثماني عام 1908 بقيادة (حزب الاتحاد والترقي)، ارتكبت بحق الأرمن مجزرة في (اضنة) عام 1909 راح ضحيتها أكثر من 30 ألف أرمني. بيد أن كل تلك المذابح –على الرغم من شدتها ووحشيتها- كانت أقل (تنظيما وقسوة ووحشية) من مذابح الأرمن العظمى التي جرت عام 1915 ، والتي أزهقت فيها نفوس مليون ونصف المليون شخص من مواطني الدولة العثمانية خلال اقل من سنة في مجازر وحشية لم يشهد التاريخ لها مثيلاً ، فيما ترك مئات الألوف من المشردين والأيتام يهيمون في الصحراء ، مات معظمهم ، وقليل منهم أنجدته القبائل العربية في الصحراء السورية . وأدت هذه المذابح أيضاً إلى فقدان الأرمن للجزء

الأكبر من وطنهم التاريخي الذي عاشوا فيه منذ الألف الثالث قبل الميلاد ، حسب المصادر التاريخية والآثارية، فضلاً عن تكبدهم ، إلى جانب الخسائر البشرية الهائلة[34]، خسائر هائلة بالأموال والممتلكات تبقى حتى الآن من دون تعويض ، فضلاً عن تدمير ارثهم الثقافي والحضاري والآثاري، وإعاقة نموهم السكاني .

و قد أقرت مجزرة عام 1915 في اجتماعين سريين عقداهما زعماء (حزب الاتحاد والترقي) في منطقة سلانيك (حالياً تابعة لليونان) خلال عامي 1910 و1911.

إن (حزب الاتحاد والترقي) الذي أنشأته شخصيات من يهود الدونمة الماسون من منطقة (سلانيك)، والذين يدينون بالإسلام ظاهرياً، كان قد أقر خلال اجتماع عام 1910 مبدأ سيادة العنصر التركي على الشعوب الأخرى غير التركية، إضافة إلى تبني الوسائل كافة لتحقيق هذا الهدف[35].

وفي اجتماع عام 1911 الذي عقد برئاسة طلعت باشا ، وبمشاركة أنور باشا ، وكل من جمال باشا الشهير بـ(السفاح) والدكتور ناظم، وبهاء الدين شاكر، وسعيد حليم باشا وآخرين، خُصَّ الشعب الأرمني من بين الشعوب غير التركية الخاضعة للدولة العثمانية بـ(مشروع الإبادة الوحشي) .

إن هزيمة الأتراك في حروب البلقان التي وقعت بين عامي 1912-1913 أمام دول (اليونان وبلغاريا وصربيا والجبل الأسود) عمقت في نفوس زعماء حزب الاتحاد والترقي الرغبة في تطوير (الحركة الطورانية) الداعية إلى إقامة إمبراطورية واسعة الأطراف تمتد من اسطنبول وحتى حدود تركستان وبلاد طوران في آسيا الوسطى- الموطن الأصلي للعنصر التركي- وتضم هذه الإمبراطورية الأقطار العربية، ولا يكون فيها غير العنصر التركي. وكان الشعب الأرمني، حسب اعتقاد زعماء هذا الحزب،

هو العقبة أمام توسعهم وتحقيق حلمهم الطوراني، ولا تتم إزالة هذا العائق إلا بإبادة العنصر الأرمني، والذي سيوفر أيضاً فرصة التخلص من القضية الأرمنية ، وهي مصدر قلق وإزعاج لهم، مرة واحدة والى الأبد، ومن الأرمن أنفسهم الذين يذكرونهم بأنهم ليسوا أصحاب أرض أرمينيا الغربية الشرعيين، بل المغتصبين لها، وكان الأرمن من أقل العناصر خضوعاً لسياسة التتريك لتمسكهم بثقافتهم ولغتهم وكنيستهم؛[36]، فكان لا بد من تتريكهم أو إبادتهم ليسود الأناضول في النهاية عنصر واحد فقط هو العنصر التركي[37] .

إبادة الأرمن في تركيا

لقد توفرت الفرصة السانحة للأتراك لتنفيذ جريمتهم بـ(إبادة الأرمن) عند اندلاع الحرب العالمية الأولى . فبدأ تنفيذ الجريمة باعتقال زعماء الأرمن الدينيين في مختلف الأقاليم بداية عام 1915. وفي ليل 24 نيسان من السنة نفسها (وهو اليوم الذي يستذكر فيه الأرمن كل عام ذكرى المذبحة)، اعتقلت السلطات التركية 600 من مفكري ومثقفي الأرمن في العاصمة اسطنبول ومختلف الأقاليم من كتاب وشعراء ومحررين وأساتذة وأطباء وصيادلة ومحامين وشخصيات سياسية ودينية وأعضاء في البرلمان العثماني وشخصيات قدمت خدمات كبيرة للإمبراطورية ، لتجريد الشعب الأرمني من نخبته القيادية، ثم نفوا إلى مناطق مجهولة، حيث جرت تصفيتهم

وحسب تخطيطها المسبق لإبادة الأرمن، كما ذكرنا، وبشكل مترافق مع اعتقال المفكرين والشخصيات الأرمنية البارزة، قامت الحكومة العثمانية بعزل الجنود الأرمن المجندين في الجيش العثماني وتجريدهم من السلاح وتشغيلهم بأعمال السخرة ، حتى وصل الأمر إلى إجبارهم على حفر قبورهم الجماعية بأيديهم قبل قتلهم [38].

هذه العمليات الوحشية انتهت بمصرع 50-60 ألف جندي وضابط أرمني في الجيش العثماني تحت ظروف بشعة، والقليلين الذين تمكنوا من الفرار رجعوا إلى مدنهم وقراهم وشاركوا بأعمال التصدي للجيوش التركية التي اقتحمت مساكنهم في مدن فان وأورفة وشابين كاراهيسار وجبل موسى [39].

أعقبت ذلك عملية تهجير واسعة من الأقاليم الأرمنية إلى الصحارى العربية تخللتها أعمال نهب وسلب واختطاف وقتل لا مثيل لها .

من جانبه شكل حزب الاتحاد والترقي لجنة ثلاثية تتولى الإشراف على عمليات الإبادة اللاحقة، إذ أُوكل ارتكاب جرائم تهجير الأرمن وسلبهم وقتلهم أو تركهم يقضون نحبهم من الجوع والعطش، إلى القتلة المسجونين في المعتقلات التركية الذين أطلق سراحهم (بأمر اللجنة المذكورة) وشكل منهم جيش قوامه من 10-12 ألف مجرم مقسمين إلى مجاميع، كل مجموعة تتألف من 40-50 مجرما اتخذوا مواضعهم على جميع الطرق التي كانت تمر منها قوافل المهجرين ليبيدونها . وكان أعضاء الشرطة (الجندرمة) يسلمون هذه القوافل إلى المجرمين المكلفين بواجب قتلهم جميعا على الطرق من دون تمييز للعمر أو الجنس[40].

كان وزير الداخلية العثماني طلعت باشا يصدر برقيات تتضمن الأوامر المشفرة إلى الولاة والمتصرفين كافة ، داعياً إياهم فيها إلى عدم الإبقاء على أرمني واحد ، كجزء من التنفيذ الحرفي للقرارات السرية التي اتخذها حزب الاتحاد والترقي [41].

إحدى هذه البرقيات برقم 1181 في 1915/9/16 يقول نصها:

"لقد أبلغتم من قبل أنه تقرر نهائياً حسب أوامر الجمعية (يقصد جمعية الاتحاد والترقي) إبادة الأرمن الذين يعيشون في تركيا والذين يقفون ضد هذا القرار لا يسعهم البقاء في وظائفهم . ومهما تكن الإجراءات التي ستتخذ

شديدة وقاسية، ينبغي وضع نهاية للأرمن ، لا تلقوا بالاً بأي صورة للعمر والوجدان والرجال والنساء.. طلعت باشا"

لقد تم إبعاد الأرمن وتهجيرهم عن جميع أقاليمهم ونواحيهم في الأناضول الشرقية والغربية وإقليم كيليكيا ثم قتلوا أو تركوا يهيمون في الصحراء بقوافل الأطفال والنساء والشيوخ التي هلكت من الجوع والعطش وظلت أكوام جثثها متروكة في العراء [42].

وفي بغداد، أمر الوالي باعتقال الشخصيات البارزة من الأرمن وتم نفيهم أو قتلهم ، بضمنهم الأستاذ والمربي الفاضل مهران سفاجيان الذي نُفي إلى رأس العين حيث توفي . وقد حاضر الأستاذ سفاجيان اللغة الفرنسية عام 1908 في مدرسة الجعفرية (أبرز مدارس بغداد آنذاك)، وأعترف بفضله وخدماته الجليلة تلامذته من أمثال سعيد صادق البصام الذي أصبح في العهد الملكي وزيراً للتربية والعدالة وسعيد حسن جواد المفتش العام للتربية العراقية وآخرون[43].

لقد استفاد زعماء حزب الاتحاد والترقي من واقع عدم معاقبة السلطان عبد الحميد الثاني على جرائمه بحق الأرمن ، وجرائمهم هم بذبح الأرمن في (أضنة) عام 1909. إن أكثر ما يشجع المجرم على جريمته تأكده من أنه لن يعاقب.

وتتفق مصادر عديدة على أن يهود تركيا ومحافلها الماسونية كانت عاملاً مساعداً كبيراً على ارتكاب حزب الاتحاد والترقي ، (غالبية أعضائها من يهود الدونمة والماسون المتنفذين في محفل سالونيكا الماسوني ، والسلطات التركية لهذه المجازر [44].

وتفيد المعلومات الموثقة أن ولاة وحكام دير الزور والموصل العرب كانوا قد رفضوا تنفيذ أوامر السفاح طلعت باشا وزير الداخلية العثماني بتهجير وقتل الأرمن .

ويذكر عمر الديراوي "إن الحكم العثماني صار ينطلق في معاملة الأرمن من مبدأ (عرب خائن.. أرمن كافر) فصاروا يهجرونهم من قراهم بكل وحشية فيموت أكثرهم جوعاً، ويتكفل رصاص حاميات الطرق بعدد كبير من الباقين..". [45]

وقد عانى العرب أيضاً من سياسة الاضطهاد، وكان الشعبان الأرمني والعربي، بشكل خاص، مثار اهتمام الحكومات العثمانية التي رأت دائماً مصدر خطر مستمر لها بسبب الحيوية والديناميكية اللتين يتمتعان بهما في الإمبراطورية العثمانية. وأكثر من هذا نتيجة الماضي المجيد لكل منهما، ونظراتهما المشتركة، بالنسبة للمستقبل، حول تشكيل وطن مستقل، تنمو فيه ومن خلاله إبداعاتهما الخلاقة[46].

وبسبب ذلك، انتهجت السلطات العثمانية سياسة التتريك تجاه هاتين القوميتين لكبح جماح انطلاقتهما، والحد منها وإخمادها في النهاية ، فأقدمت هذه السلطات على قتل القادة والزعماء الأرمن ، وكما ذكرنا، اعتباراً من 24 نيسان 1915، ثم اتبعتها بعد أسبوعين، وبالتحديد في 6 مايس 1915 بنصب المشانق للزعماء العرب في دمشق وبيروت ، وبدأ إرهاب الطرفين معاً حين أخذ جمال باشا السفاح بالنسبة للعرب ، وطلعت باشا السفاح بالنسبة للأرمن ، وزملاؤهما أعضاء الاتحاد والترقي بسفك الدماء الأرمنية-العربية على حد سواء ، حتى شهدت الأراضي الأرمنية في أرمينيا الغربية والأراضي العربية في سوريا ولبنان والعراق الكثير من الحوادث الدامية[47] .

يقول الجنرال الألماني ليمان فون ساندرس:"كان الأتراك الذين حكموا الأقطار العربية لقرون طويلة يشعرون بأنهم في وسط معادٍ. وقد نظم جمال باشا الذي عُيّن قائداً للجيش الرابع العثماني المتمركز في سوريا وفلسطين ، إلى جانب شنق الوطنيين العرب، عملية نفي 10 آلاف عائلة عربية (

مشكوك في ولائها !)، وقتل آلاف الناس ، وسلب الممتلكات، بضمنها الأماكن المقدسة الإسلامية في النجف وكربلاء"[48].

الارمن والعراق :

كان العراق من أوائل الدول التي اعترفت باستقلال جمهوريات الاتحاد السوفييتي السابق، ومنها جمهورية أرمينيا. وترتبط جمهورية أرمينيا بعد الاستقلال بعلاقات متينة مع الأقطار العربية، ومنها العراق، بحكم العلاقات التاريخية التي تربط الشعبين العربي والأرمني ووجود الأرمن في هذه الأقطار الذين أثبتوا دائماً أنهم المواطنون المخلصون لها والمدافعون عن قضاياها العادلة والمعروفون بحبهم وتفانيهم لعملهم.

وقد توج العلاقات المتينة بين أرمينيا والعراق ما أعلن في الخامس عشر من شباط عام 2000 عن إقامة العلاقات الدبلوماسية الكاملة بين البلدين وتم افتتاح سفارة لجمهورية أرمينيا في بغداد وسفارة لجمهورية العراق في يريفان.

وكانت أرمينيا، وهي أصغر جمهوريات الاتحاد السوفييتي السابق، الثانية من هذه الجمهوريات بعد روسيا الاتحادية التي افتتحت سفارة لها في بغداد، برغم مصاعب أرمينيا الاقتصادية وفي ظل الحصار المفروض على العراق. وتخطو أرمينيا أولى خطواتها نحو تطوير وتوثيق علاقات التعاون مع العراق، أقرب قطر عربي إلى أرمينيا جغرافياً، على مختلف الأصعدة السياسية والاقتصادية والثقافية، وبما يخدم مصلحة الدولتين والشعبين الصديقين. وقد افتتحت أرمينيا سفارات لها في أربعة أقطار عربية إلى جانب العراق، وهي: سوريا، ومصر، ولبنان، فضلاً عن الإمارات العربية المتحدة .

وأبناء الطائفة الأرمنية في العراق هم أبناء وأحفاد الأرمن الذين تعرضوا للمذابح في أرمينيا الغربية وشُردوا من أرض آبائهم وأجدادهم، إلا أنهم وجدوا كل الدعم والعون في الأقطار العربية ومن قبل أبناء الشعب العراقي

المضياف الذين آووهم وعاملوهم كأبنائهم ووفروا لهم كل سبل العيش بكرامة. وسيذكر الأرمن في أنحاء العالم كافة هذا الفضل للعرب والعراقيين إلى أبد الدهر.

ويتمتع أبناء الطائفة الأرمنية في العراق بكل الحقوق والامتيازات التي يتمتع بها العراقيون جميعاً، وهم يقومون بدور فاعل من أجل بناء العراق العزيز وتقدمه وازدهاره (49).

الخاتمة

من خلال ما تقدم من رحلة البحث لا بد من تدوين بعض ما افدناه من مشكلة الارمن على المستويين العالمي والتركي بوجه خاص :

1- ليس الارمن بجديد عهد في وجودهم ضمن تركيبة المجتمع العثماني الذي تحول فيما بعد الى ما يطلق عليه بالمجتمع التركي بعد شيخوخة وانهيار الامبراطورية العثمانية المترامية الاطراف والتي تمكن مصطفى كمال اتاتورك في مطلق القرن العشرين من تأسيس دولة علمانية جديدة اسماها (تركيا) نسبة الى جده اتاتورك .

2- لقد استطاع مصطفى كمال اتاتورك وخلال سقف زمني لم يتجاوز اربع سنوات من تنقية المجتمع العثماني وتحويله وفق نظريات جديدة الى مجتمع يتطلع لتقدم والرفاه .

3- لقد كان وجود الارمن في تركيا يشكل عند المتشددين خطرا على الاسلام مما حدى بالسلطة لارتكاب مجازر قتل جماعي لهم.

4- ان المجازر المرتكبة ضد الارمن في تركيا كان دافعها ديني فضلا عن ان المجتمع منغلق على نفسه ويرفض وفق نظريات السياسية قبول الاخر .

5- وقد حصلت الجرائم ضد الارمن في تركيا على الخلفية الدينية بناءا على ما يؤمن به الارمن وما يؤمن به الترك المتدينين بل المتشددين في التدين.

6- ان روح التعايش والتسامح الديني فقدت ضمن المجتمع التركي الامر الذي دفع بعدة مجازر لأن تطفو على السطح بل تسجل في نهاية القرن التاسع عشر اعلى مستوى من مستويات توجه الاذى للارمن من خلال طمرهم في مقابر جماعية .

وعلى اية حال فان اوضاع الارمن السياسية والاقتصادية والاجتماعية في تركيا قد شهدت تراجعا كبيرا بموجب الوقائع على الارض ، وهي كارثة انسانية سجلها التاريخ ، وهي تلاحق تركيا الى اليوم ، وهي من بين الاسباب في توتر العلاقة بين الحكومة التركية والدول الاوربية بسبب عدم اعتذار تركيا للشعوب الاوربية عن هذه المجازر الوحشية ضد الارمن .

الهوامش

1-احمد العلي ، الارمن ، دار الاعلمي ، بيروت ، 1998، ج3، ص12

2- المصدر نفسه، ص13 .

3- ليو أوبنهايم ، بلاد ما بين النهرين، ترجمة سعدي فيضي عبد الرزاق، منشورات وزارة الثقافة والإعلام العراقية ، بغداد ، 1981 ، ص 51.

4- طه باقر، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة- الوجيز في تاريخ حضارة وادي الرافدين - ، الجزء الأول ، الطبعة الثانية ، بغداد، 1986، ص 577.

5- المصدر نفسه ، ص 578.

6- ليو اوبنهايم، المصدر السابق، ص 77.

7- المصدر نفسه ، ص 89.

8- المصدر نفسه، ص 90.

9- المصدر نفسه ، ص91 .

10- نعيم اليافي و خليل الموسى، نضال العرب والأرمن ضد الاستعمار العثماني، الطبعة الأولى ، دمشق ، 1995، ص 86.

11- المصدر نفسه ، ص87 .

12 - ليو اوبنهايم، المصدر السابق، ص 97.

13- طه باقر، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة-الوجيز في تاريخ حضارة وادي الرافدين-، الجزء الأول، الطبعة الثانية، بغداد، 1986، ص 586.

14- المصدر نفسه، 587.

15- المصدر نفسه ، 588 .

16- مصطفى قادر ، اثر الحرب العالمية الاولى على الاقتصاد العالمي، ط1، مطبعة الرحبي ، بيروت ،2005،ص11

17- المصدر نفسه ، ص12.

18- المصدر نفسه ، ص13.

19- منير الحمش ، نشأة الدولة العثمانية ، دراسة منشورة بمجلة أخبار الاقتصاد ، دمشق – 2002/6/9م ، ص20.

20- المصدر نفسه ، ص 21 .

21- فريد رحمه ، العثمانيون من الانقلابات الى الديمقراطية ، ط1، دار صعب ، بيروت ، 2005، ص11.

22- المصدر نفسه ، ص12.

23- محمد أمين زكي، تاريخ الدول والإمارات العثمانية ، ج2،ط1، دار التجديد ، دمشق ، 1980،ص100.

24- المصدر نفسه ، 101 .

25- إحسان طبري. السياسة الخارجية لتركيا ,مجلة الاهرام ، ع43، 1998، ص 53 .

26- صلاح العقاد، الدولة العثمانية الحديثة ، معهد البحوث والدراسات العربية ، (القاهرة 1970)، ص56.

27- المصدر نفسه ، ص57.

28- كمال مظهر احمد ، كردستان في الحرب العالمية الاولى، ط1، دار الاعلمي، بيروت ، 1989، ص151.

29- المصدر نفسه ، ص152.

30- المصدر نفسه ، ص 152 .

31- علي الوردي، لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث، الجزء الثالث، بغداد، 1972، ص 22.

32- المصدر نفسه، ص 23.

33- المصدر نفسه ، ص23 .

34- أبيد نحو ثلثي الشعب الأرمني البالغ تعداده قبل الحرب العالمية الأولى نحو مليونين و 100 ألف نسمة حسب إحصائيات البطريركية الأرمنية في اسطنبول.

35- د.أحمد نوري النعيمي،الحياة السياسية في الدولة العثمانية، بغداد، 1990، ص 63.

36- المصدر نفسه ، ص64 .

37- أدم متنز ، الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري ، ترجمة محمد عبد الهادي ابو ريدة ، ط4 ، بيروت ، 1967، ص137.

38- المصدر نفسه ، ص 138 .

39- كمال مظهر ، مصدر السابق، ص138.

40- كمال مظهر ، المصدر السابق ، ص154.

41- المصدر نفسه ، ص155.

42- محمد امين زكي ، المصدر السابق ، ص 100

43- المصدر نفسه ، ص 100

44- كمال مظهر احمد ، المصدر السابق ، ص 144 .

45- عمر الديراوي، الحرب العالمية الأولى، بيروت، 1981، ص 259.

46- لا بد من الإشارة هنا إلى الدور الذي لعبه المفكر والأديب والصحفي الأرمني رزق الله حسون، الذي تعاطف مع الحركة العربية، وأنشأ أول جريدة عربية تصدر في اسطنبول باسم "مرآة الأحوال" عام 1854 والتي كانت تندد بطغيان الحكم العثماني وتنتقد بشدة مواقف أنصار هذا الحكم من العرب، مما أدى إلى فرار رزق الله حسون إلى روسيا بسبب إصدار الباب العالي حكماً بإعدامه. انظر: د. صالح زهر الدين، المصدر السابق، حاشية ص 123.

47- عمر الديراوي ، المصدر السابق ، ص 300 .

48- م. ف. آرزومانيان، صراع الوجود عبر القرون (باللغة الأرمنية)، دار نشر (هاياستان)، يريفان، 1989، ص 442.

49- خالد عطية توفيق ، جذورالمد العلماني في تركيا ، ط1، دار صادر ، بيروت ،2006.ص120.بغداد، 1981، ص 51.

المبحث الرابع :

النشاط السياسي

للنورسيين

حتى عام 1960

المقدمة

النورسيون او اصحاب النور في تركيا ، حركة دينية ذات طابع سياسي وهي تشبه الى حد كبير الحركات التجديدية التي شهدها العالم الاسلامي منذ منتصف القرن الثامن عشر الميلادي . وينتسب النورسيون الى مؤسسها سعيد النورسي 1873 – 1960 المعروف ب(بديع الزمان) ، وقد ظهرت النورسية في تركيا اواخر العشرينات من القرن الماضي ، ثم انتشرت بحيث صار لها اتباع ومؤيدون في تركيا وخارجها بعد ثلاث عقود زمنية من تأسيسها .

ادرك مصطفى كمال انه لابد من اتخاذ خطوات متعددة لتجاوز تخلف البلاد الذي ورثته من الدولة العثمانية ، فكانت من اوائل خطواته على طريق (علمانية تركيا وتحديثها) الوقوف بوجه الطرق الصوفية التي رأى فيها معارضا قويا لبرنامجه السياسي ، وقد القى في يوم 30 آب 1925 خطابا في مدينة قسطموني الواقعة شمال الاناضول ، قال فيه : (ان الجمهورية التركية العلمانية لايمكن ان تكون بعد اليوم ارضا خصبة

للمشايخ والدراويش واتباعهم من اتباع الطرق000وعلى مشايخ الطرق ان يفهموا هذا الكلام بوضوح وبالتالي ان يغلقوا زواياهم وتكاياهم عن طيبة خاطر ، والى الابد ، قبل ان ادمرها فوق رؤوسهم) . وقد اغلق مصطفى كمال الزوايا والتكايا وبذلك كان نشاط الطرق الصوفية في عهده محدودا وبصورة سرية .

وبعد انتهاء الحرب العالمية الثانية ، ودخول تركيا مرحلة تعدد الاحزاب ، تنامت المعارضة الدينية ، كما بدأت ظاهرة استغلال الدين لتحقيق مكاسب سياسية من قبل بعض الاحزاب السياسية ، وفوق هذا وذاك ، اتجهت بعض الاحزاب الى تأكيد احترامها للافكار والتعاليم الدينية للسكان وتضمين ذلك في برامجها السياسية .

كما اظهرت انتخابات عام 1946 تنامي دور الظاهرة الدينية السياسية في تركيا ، وفي ظروف المواجهة بين حزب الشعب الجمهوري ، وقوى المعارضة بعد الحرب العالمية الثانية اضطرت قيادة حزب الشعب الجمهوري الى التخفيف من سياستها العلمانية ، ومن ذلك قرارها في عام 1948 السماح بتخصيص الاموال للراغبين بأداء فريضة الحج ، وفي عام 1949 نظمت دورات لأعداد (الائمة والخطباء) وتقرر في السنة ذاتها تدريس المواد الدينية في المدارس الدينية .

ان تلك الاجراءات لم تؤد الى ارضاء حركات المعارضة الدينية التي اخذت تتنامى منذ عام 1950 ، وكان من ابرز قوى المعارضة ، النورسية ، اذ دعا مؤسسها سعيد النورسي ، الى اعادة العمل بالشريعة الاسلامية وبدا يسعى لما اسماه ب (انقاذ الاسلام في تركيا ، وذلك بالدعوة الى تجديد الايمان) . ومنذ ذلك التاريخ – 1950 – تزايد نشاط النورسيين السياسي والاجتماعي والثقافي في تركيا وخارجها .

البحث هذا يسلط الضوء على التيار الاسلامي في تركيا منذ تأسيس الجمهورية التركية عام 1923 حتى نهاية حكم الحزب الديمقراطي في تركيا عام 1960، وهذه المدة تتميز بتصاعد النشاط الاسلامي رغم الضغوط التي يواجهها الاسلاميون، اصحاب الطرق الصوفية والجمعيات والاندية ، من الاجهزة الحكومية . وبسبب هذه الضغوط ، رأى الاسلاميون اتخاذ طريق مرن مع الدولة ، أي الابتعاد عن التطرف والمهادنة مع الحكومة على امل انتزاع مكسب لصالحهم ، وهذا الطريق جعلهم يظهرون على الساحة السياسية بعد الحرب العالمية الثانية ، ويشكلون قاعدة شعبية مهمة في تركيا لها تأثيراتها في الانتخابات ، وفي اصدار القرارات الحكومية الملائمة لتوجهاتهم .

يتكون هذا البحث من مقدمة ومدخل وثلاث نقاط أساسية وخاتمة ، تناول المدخل التيار الاسلامي في المرحلة الاخيرة للدولة العثمانية ، خاصة في عهد السلطان عبد الحميد الثاني (1876-1909) حيث كان يرعى الخط الاسلامي ويدعو الى الجامعة الاسلامية .

أما النقطة الاولى فقد خصصت لنشاط النورسيين في عهد مصطفى كمال الذي كان هدفهم الاساس الحفاظ على الشريعة الاسلامية ، إذ كان موقف أتاتورك ضد الانشطة الاسلامية ، وشرع القوانين للحد من كل مظاهر الشريعة الاسلامية .

فيما تناولت النقطة الثانية النشاط العلني للحركة النورسية في تركيا بين عامي 1938 و 1950 ، فزاولت النورسية وبقية الحركات والطرق نشاطاتها بصورة علنية بعد عهد أتاتورك .

وأختصت النقطة الثالثة بأعمال النورسيون في عهد حكم الحزب الديمقراطي لتركيا 1950 – 1960 ، إذ أصبح نشاطهم علنياً ودخلوا في أتجاهات متعددة سياسية وثقافية ودينية وأجتماعية . وسمحت الحرية التي حصل عليها الاسلاميين ، بعد وفاة أتاتورك ، بزيادة نشاطهم وأتساع رقعة

عملهم ، بحيث اصبح الاسلاميون ذي اثر كبير على السياسيين وخاصة على قادة الحزب الديمقراطي الذين أستمروا في حكم تركيا زهاء عشر سنوات ، كما ان هذا التأثير كان سبباً في انقلاب 27/ مايس 1960 ضد الديمقراطيين وأعدام عدد من قادته .

أعتمد البحث على مجموعة من المصادر كان من أهمها كتاب (الحركة الاسلامية في تركيا) لـ جراهام فولر الذي حوى معلومات قيمة عن نشاط الاسلاميين في تركيا ، وكتاب (الحركات الاسلامية في تركيا المعاصرة) لـ طارق عبد الجليل الذي افاد البحث في جوانب متعددة منه ، كما ان كتب سعيد النورسي كان لها اهمية في معرفة افكار الاسلاميين في تركيا ، ودخلت البحث في عدة مواقع . وأكتسب كتاب (تاريخ الاكراد الحديث) لـ ديفيد مكدول اهمية خاصة لأحتوائه على معلومات ذات قيمة للبحث .

وفي الختام نرجو ان نكون قد وفقنا في هذا البحث خدمة للباحثين والمكتبة العراقية .

مدخل

مثل الاسلام أساس المشروعية للسلاطين في حكم الدولة العثمانية طيلة ستة قرون ، لكن المؤسسة الدينية أضحت تحت سيطرتهم[1].

وبسبب تطور الدول الاوربية في مؤسساتها العسكرية والمدنية، وانتصاراتها المتكررة على الدولة العثمانية، رأى بعض السلاطين العثمانيين ان سر هزائمهم هو تمسكهم بالنظام الاسلامي التقليدي، ففكروا بأتباع منهج الاوربيين ليطوروا الجيش وانظمة الادارة والتعليم، فكان

محمود الثاني[2] اول من أدخل النظام العلماني في الدولة بدأً بالمدارس التي كانت تعرف "بالمدارس الرشدية" واختصت بالتعليم الابتدائي والثانوي، كما وجدت مدارس من نوع آخر تحددت وظيفتها على تدريب الجهاز الاداري والحكومي، والقيام بترجمة الكتب الاوربية الى العثمانية. ان ظهور المدارس العلمانية وانتشار الطباعة والترجمة ، قد ساهم كثيراً في بروز طبقة جديدة تضم في عضويتها مجموعة من المفكرين والصحفيين ورجال القانون[3].

وقد ركز محمود الثاني على الجانب العسكري وكان النجاح حليفه عندما استطاع عام 1826 إلغاء التنظيم العسكري الذي أصبح بالياً وذلك عند قيامه بإلغاء الوحدات العسكرية المعروفة بوحدات الانكشارية[4]، ويظهر مما تقدم إن النصف الأول من القرن التاسع عشر شهد ظهور ضباط الجيش العثماني كطبقة تضم في عضويتها مجموعة من المثقفين على النمط الغربي الحديث، بالإضافة إلى بروز رجال الفكر والأدب ورجال الصحافة والقانون، كما إن حركة الطباعة والترجمة في هذه الفترة، قد شجعت كثيراً على اضمحلال دور الدين، وبالتالي ظهور فكرة العلمانية في الدولة العثمانية[5].

اخذت الاصلاحات في الدولة العثمانية تشق طريقها في عهد السلطان عبد المجيد 1839-1860 من خلال تنظيمات كولخانة عام 1839، وخط همايون عام 1856[6]، وبسبب هذه الاصلاحات شهد المجتمع العثماني نقاشات حادة بين طبقة المثقفين المسلمين وبين مسؤولي الدولة الذين كانوا يدافعون عن سياسة التغريب للحيلولة دون تأخر الامبراطورية العثمانية، ودون ان تبسط القوى الغربية سيطرتها عليها، اما المثقفون المسلمون فانهم كانوا يعتقدون ان التطبيق الصارم للنظام الاسلامي التقليدي هو الكفيل بانقاذ الدولة العثمانية [7] . وننوه هنا الى ان الاصلاحات العثمانية لاتعني

الوقوف ضد الاسلام، وانما هي تغير في الانظمة الادارية والتعليمية والعسكرية مجاراة للتطور الحاصل في اوربا.

وتمسك السلطان عبد الحميد الثاني 1876-1909 بفكرة الجامعة الإسلامية كطوق نجاة للدولة العثمانية، وأرسل رسله إلى انحاء العالم الإسلامي واتصل بشعوبها، وقام بأنشاء خط السكك الحديد الممتد من اسطنبول إلى الشام والى المدينة المنورة، لكنه قد فات الاوان، فقد استولى الموالين للغرب على الجيش والمواقع الحساسة في هرم الدولة، واتحدت القوى المضادة للطرح الإسلامي من الداخل والخارج ولم تفلح هذه المحاولة الاخيرة للعودة إلى الذات واسترجاع الماضي[8] .

وكانت سياسة عبد الحميد الثاني عن عالمية الاسلام محاولة ناجحة من جانب السلطان الخليفة لتقوية سلطته كرأس للامبراطورية العثمانية بأستعراض اكثر لحقوقه الخاصة كخليفة للمسلمين وأستخدم السلطان عالمية الاسلام كأداة للاندماج الاجتماعي [9].

في 23 تموز 1908 قامت مجموعة من الضباط المنتمين الى جمعية الاتحاد والترقي السرية ، بثورة دستورية تمخضت عن اجبار السلطان عبد الحميد الثاني على اعلان إعادة العمل بدستور 1876 المعطل منذ عام 1877 ، وقد رفع الانقلابيون شعارات : الحرية والاخاء والمساواة [10] ، ولم يتسلموا الحكم مباشرة ، بالرغم من انهم شكلوا الاكثرية في البرلمان (مجلس المبعوثان) ، ولكنهم حرصوا على ان يكون السلطان والصدر الاعظم ، تحت رقابتهم الشديدة واشرافهم المستمر[11] .

لقد اخذت قوى الثورة المضادة تتهم الاتحاديين بالخروج على مبادئ الاسلام ، ومخالفة الشريعة ، وتحقير رجال الدين ، وقد تمثلت هذه القوى بمنظمة اطلقت على نفسها (اتحادي محمدي جمعيتي) أي جمعية الاتحاد المحمدي ، وقد تألفت هذه الجمعية في اسطنبول ، وكانت ذات مظهر ديني

، لكنها ذات هدف سياسي ، ومن زعمائها : حمدي جاويش ، ويسانده واعظ اسطنبول درويش وحدتي [12] ، وقد تركزت دعوة الجمعية على وجوب الوقوف ضد (الدستور) لمخالفته ، على حد اعتقاد زعماء الجمعية ، الشريعة الاسلامية ، وفي 13 نيسان 1909 تجمع عدد من الجنود وطلبة المدارس الدينية بقيادة حمدي جاويش في ميدان ايا صوفيا في اسطنبول ، واعلنوا تمردهم وانطلقوا في تظاهرة ضمت عددا من مؤيديهم وهم يهتفون (شريعت ايسترز) أي : نريد الشريعة ، وقد حاصر المتظاهرون البرلمان واعلنوا مطالبهم التي كانت تتلخص بالدعوة الى استقالة وزارة حسين حلمي وتطبيق الشريعة والغاء الدستور ونفي اعضاء الاتحاد والترقي من الخارجين على الشرع الشريف[13] .

لم تكن تلك المرة الاخيرة التي استخدم الإسلام فيها لغايات سياسية. لكن الشعب اخذ يدرك الحاجة إلى إبعاد الدين عن السياسة واصبحت "حادثة 13 نيسان عام 1909" تذكاراً مقنعاً للكيفية التي يمكن بها استغلال الإسلام لغايات سياسية. لقد كان أعداء الاتحاديين مصممين على اقصاء جمعية الاتحاد والترقي عن الحكم إلى الحد الذي دفعهم حتى إلى تنظيم مذبحة الارمن في مدينة ادنة في جنوب شرق الأناضول، وكان هدفهم من ذلك التحريض على تدخل بحري انكلو-فرنسي نيابة عن المسيحيين مما سيؤدي إلى الاطاحة بالجمعية [14].

كان معظم الاتراك لايزالون ينظرون إلى انفسهم بوصفهم مسلمين بالدرجة الاساس، وكانوا يرتبطون بوشائج قوية مع السلالة العثمانية الحاكمة التي جعلتهم ينظرون إلى السلطان نظرة علمانية بوصفه "السلطان" ونظرة دينية بوصفه " الخليفة". وكان هذا الموقف ينطبق على العرب والكرد، يضاف إلى ذلك، إن الخلافة العثمانية كانت لاتزال تتمتع بجاذبية كبيرة في العالم الإسلامي كله خاصة في مصر والهند، لهذا كان الإسلام عاملاً مهماً في السياسة الخارجية العثمانية، خاصة وان الحرب العالمية اخذت تقترب[15].

شكلت الحرب نقطة تحول مهمة في تاريخ الدولة العثمانية، فان انهيارها امام دول الحلفاء دفع الحركة الوطنية بقيادة مصطفى كمال الى سحق القوى الاسلامية وانهاء الخلافة [16].

اولا : النورسيون في عهد مصطفى كمال

لقد اسس مصطفى كمال الجمهورية التركية الحديثة على انقاض الدولة العثمانية، وقام النظام البديل على اساس حكم مناهض للدين وسوق المجتمع التركي المسلم نحو الغرب، والغاء ثقافته الإسلامية الأصلية، أو بالاحرى نقله من مكان الصدارة في الشرق وموقع القيادة في العالم الإسلامي إلى مؤخرة العالم الغربي، ويمكن القول إن وصول مصطفى كمال إلى السلطة والزعامة ومن ثم إلغاء الخلافة الإسلامية يشكل نقطة تحول كبيرة في السياسة التي كان يخطط لها الغرب منذ مدة طويلة تجاه تركيا سبقت الحرب العالمية الأولى ليس لأنتزاعها من موقعها القيادي في العالم الإسلامي وحسب، وانما لشطب انتمائها الإسلامي[17].

في 17 شباط 1926 الغى المجلس الوطني الكبير العمل بالشريعة الاسلامية حتى في الاحوال الشخصية ، وسارت الحكومة الكمالية في سياستها العلمانية اكثر عندما الغت في نيسان 1928 المادة الثانية من دستور سنة 1924 والتي كانت تنص على ان (الاسلام هو دين الدولة الرسمي) ، كما حذفت العبارة الواردة في صدر المادة (26) التي تعدد اختصاصات المجلس الوطني وتنص على ان واجباته تنفيذ اسس الشريعة ، وحينما شعر مصطفى كمال ان بعض العناصر المؤيدة للتيار الديني عادت الى نشاطها السياسي المعادي للدولة العلمانية ، ادخل في قانون العقوبات مادة تنص على ان (الذين يحرضون الشعب على القيام باعمال مخلة بامن الدولة ، متسترين بلباس رجال الدين اويدفعونهم الى عصيان القوانين والانظمة العلمانية ، بحجة ان نظام العلمنة يسيء الى المقدسات الدينية

يعاقبون وفقا للقوانين المرعية ، وكذلك يعاقب كل من يؤلف حزبا سياسيا يستند الى التعاليم الدينية) ، كما يعاقب كل من يقيم احتفالا دينيا خارج الاماكن المخصصة للعبادة[18] .

وفي سبيل تغيير النمط الثقافي والاجتماعي للشعب التركي قرر استخدام القلنسوة للرجال ومنع أرتداء العباءة او الرداء من قبل النساء، وكذلك استعمال الحروف اللاتينية بدل العربية في الكتابة، كما ألغي استخدام التقويم الهجري المعمول به لدى المسلمين واحلال التقويم الميلادي المعمول به لدى الغرب، وأحل القانون المدني السويسري في تركيا بدل القوانين الإسلامية. وبدأت خطوات من أجل حذف الكلمات ذات الجذور الفارسية والعربية من اللغة التركية، وقرر إن يكون يوم الاحد يوم العطلة الاسبوعية بدل يوم الجمعة الذي يعد يوم المسلمين المبارك[19].

لم يكن باستطاعة اجراءات الحكومة الكمالية ، من الناحية العملية القضاء على تأثيرات الاسلام الروحية والاجتماعية ، اذ سرعان ما واجهت تلك الاجراءات معارضة شديدة من بعض علماء الدين ، وشيوخ الطرق الصوفية والمثقفين المتدينين ، ومنهم النورسيون ، الذين قرروا العمل ضد سياسة الكماليين العلمانية ، وبدأت منذ العشرينات تتردد في انحاء كثيرة من تركيا اصداء منشورات ومطبوعات دينية ، سياسية سرية يهاجم فيها كاتبوها العلمنة المرادفة في نظرهم للكفر والالحاد [20] .

ينتسب النورسيون الى سعيد النورسي ، وقد ولد من ابوين كرديين في قرية نورس التابعة لقضاء خيزان من ولاية بدليس القريبة من مدينة وان سنة 1873م [21] ، وكان ابوه فلاحا ، وقد اتجه منذ مطلع حياته الى طلب العلم ، متأثرا بتوجهات اخيه الكبير(الملا عبدالله) الدينية ، فراح يدرس في الكتاتيب والمدارس الدينية المنتشرة في قريته والقرى المجاورة ، وقد عرف منذ ذالك الوقت ب(الملا سعيد)[22] ، ولم ينتظم النورسي في مدارس

حكومية ، وبالتالي فأنه لم يحصل على تعليم نظامي ، ولم ينل أي شهادة [23] .

انصرف النورسي منذ مطلع شبابه الى السياسة ، وقد اتضح ذلك ، من خلال انتقاده للحكومة ، واتهامها بالتقصير في الاهتمام بالمسائل الدينية ، وقد تعرض سنة 1892 للاعتقال ، من قبل والي ماردين ، بسبب تعرضه للحكومة في خطبه التي كان يلقيها في جامع المدينة [24] . وفي 1896 ذهب النورسي الى اسطنبول وعرض على السلطان عبد الحميد الثاني مشروعا لانشاء جامعة اسلامية باسم (الزهراء) في الاناضول على غرارجامعة الازهرالشريف في مصر، وكان يطمح الى ان تكون الجامعة هذه بنشر فضائل الاسلام ، وتعليم الاجيال (نور القرآن السماوي)[25] ، ويبدو ان السلطان لم يتحمس للمشروع ، وقد ذهب النورسي ثانية الى اسطنبول سنة 1907 للعمل على انشاء الجامعة ، إلا انه لم يوفق [26] .

وحينما كان السلطان عبد الحميد ينادي بفكرة الاتحاد الاسلامي ، فأن النورسي عارض تلك الفكرة ووجد فيها وسيلة جديدة لاستغلال شعوب الامبراطورية العثمانية وتسهيل السيطرة عليهم ، وكان لهذا الموقف المضاد ، اثر كبير في فرض السلطان عبد الحميد عليه الاقامة الجبرية ، في اسطنبول ولم يطلق سراحه إلا بعد انتصار ثورة 1908 [27] .

رحب النورسي باعلان عودة العمل بدستور عام 1876 وكان من ابرز المؤيدين المتحمسين للحكومة الدستورية [28] ، ومع انه رحب بالدستور لكنه رفض الانتماء الى جمعية الاتحاد والترقي ، وانصرف الى توضيح فضائل الدستور وتشجيع الناس على التمسك بالحرية [29] . ويتضح من المقالات التي كتبها في الصحف العثمانية حرصه الشديد على مراعاة

حقوق الاكراد واحتياجاتهم للنهوض وتأكيد مسألة مهمة وهي ان النهوض لايمكن ان يتحقق الا بالاتحاد والعلم وتطبيق الشريعة الاسلامية [30] .

أسهم النورسي في الثورة المضادة في 31 آذار 1909 وذلك من خلال عمله في جمعية (اتحادي محمدي)[31] ، وحينما فشلت الثورة ، قدم الى المحاكمة بتهمة العمل على (تقويض نظام الحكم الجديد) و (الدعوة الى عودة العهد الرجعي)[32] ، وقد دافع النورسي عن قضيته بشجاعة ، وقال ان هذه الحكومة كانت تخاصم العقل ايام الاستبداد ، وهي الان تعادي الحياة ، واضاف بانه انتمى الى الجمعية بقصد احياء السنة المحمدية وتعريف الناس بها[33] .

اسهم النورسي في الدفاع عن الدولة العثمانية ، والمحافظة على وحدة اراضيها ومحاربة اعداءها ، وذلك من خلال مشاركته في منظمة سياسية سرية تشكلت سنة 1911 باسم (تشكيلاتي مخصوصة) ، وقد انتمى الى هذه المنظمة ، عدد من السياسيين والعسكريين وعلماء الدين ورجال الفكر والثقافة ، وكان لها دور كبير في نشر الوعي الديني وتنبيه الاذهان الى اهمية المحافظة على كيان الدولة العثمانية والسعي لمقاومة وزعزعة التسلط الاستعماري الاوربي والدعوة الى الجهاد ضد المحتلين [34] .
وخلال الحرب العالمية الاولى شارك النورسي في جبهة القفقاس ، كقائد لفرقة المتطوعين القادمين من الولايات الشرقية ، وقد جرح واسر من قبل الروس ، حين احتلالهم لمدينة بدليس ، وتم ترحيله الى شرق روسيا مع عدد من طلبته ، ومرت سنتان ونصف وهو في الاسر في سيبيريا ، لكنه استطاع الهروب الى بطرسبورغ ثم الى وارشو وسافر بعد ذلك الى فينا ، ووصل اسطنبول سنة 1916، وقد منح بعد وصوله وسام الحرب ، واستقبل من قبل السلطان وشيخ الاسلام وطلبة العلوم الدينية بحفاوة شديدة [35] .

هاجم النورسي الغزاة البريطانيين بعد دخولهم اسطنبول سنة 1918 من خلال اصداره مجموعة فتاوي تجيز الجهاد ضد البريطانيين ، وكذلك اصدر كتاب (الخطوات الست) هاجم فيه الغزاة بشدة [36] .

ان هذه المحطات المهمة في حياة النورسي جعلت منه انسانا قياديا ، كسب اتباع كثيرون في تركيا ، وادت بالحكومة التركية ان تحسب له ولاتباعه ألف حساب ، مما ادى الى مراقبته ومريديه وتضييق الخناق عليهم .

كان الهدف من اجراءات مصطفى كمال في فصل الدين عن السياسة هو زيادة سلطة الدولة على الدين، فعلى خلاف الدول العلمانية الاخرى التي لاتتدخل فيها الحكومات في شؤون الدين، فأن العلمانية الاتاتوركية تتمتع بآليات يمكن على أساسها إن تتدخل مباشرة في شؤون المؤسسات الدينية، إذ أن (مؤسسة الشؤون الدينية) التابعة للدولة هي التي تتكفل بتأمين الموارد المالية للمؤسسات الإسلامية والسيطرة على ائمة المساجد والشخصيات الدينية والخطباء والمفتين[37].

كما وان جميع الشخصيات الدينية والخطباء والمفتين يعدّون موظفين يجري تعيينهم من قبل الحكومة ويتقاضون مرتباتهم منها، أما المساجد والمؤسسات الدينية الاخرى، فأنها هي الاخرى تابعة لجهاز حكومي تحت عنوان (رئاسة الشؤون الدينية) وخاضعة للحكومة، وقد بسطت الجمهورية الكمالية نفوذها على مؤسسة الاوقاف ايضاً، حيث اصبحت الاوقاف تابعة لجهاز حكومي (مديرية الاوقاف العامة) ، وان الكتب المدرسية التي اخذت رئاسة الشؤون الدينية توزعها على المدارس تصف المسلم الجيد بالوصف التالي: "يجب على المسلم الجيد إن يحب وطنه ويطيع قوانين الجمهورية وان يكون خاضعاً امام القيادة التقدمية ومسؤولي البلاد ولا يدخر جهداً في تعلم التكنولوجيا الحديثة [38].

أعتباراً من أوائل العشرينات وحتى اواخر الاربعينات من القرن الماضي كانت العلمانية المتطرفة هي الايدلوجية السائدة بين مجتمعات المدن التركية والطبقات المثقفة، فالكماليون كانوا يؤمنون بالعلمانية المتطرفة وخاصة

السيطرة الشديدة للدولة على الدين، وكانوا هؤلاء يتشكلون من الموظفين والضباط والمدرسين والكتاب واصحاب المهن الحرة، حيث تجمعوا تحت مظلة حزب الشعب الجمهوري والذي أسسه مصطفى كمال في عام 1923 ليشكل المنظمة السياسية الرسمية للدولة، والمؤسسة التي تدير الشؤون المدنية والعسكرية [39].

أدرك مصطفى كمال ، انه لابد من اتخاذ خطوات أخرى في طريق تأكيد "علمانية تركيا وتحديثها" ووجد أن الطرق الصوفية المنتشرة في تركيا آنذاك، وراء تحرير السكان للعمل على إسقاط ما أسموه بـ(الجمهورية الملحدة)، ولذلك قرر توجيه ضربة الى الطرق الصوفية، وألقى يوم 30 آب 1925 خطاباً في مدينة قسطموني الواقعة شمال الأناضول، قال فيه:"إن الجمهورية التركية العلمانية لايمكن أن تكون بعد اليوم أرضا خصبة للمشايخ والدراويش وإتباعهم من أصحاب الطرق... وعلى مشايخ الطرق أن يفهموا هذا الكلام بوضوح وبالتالي أن يعلقوا زواياهم وتكاياهم عن طيبة خاطر، والى الأبد، قبل أن أدمرها فوق رؤوسهم"[40]. وما أن عاد من قسطموني، حتى ترأس اجتماعاً لمجلس الوزراء في الأول من أيلول 1925، وقد تقرر في هذا الاجتماع إغلاق التكايا والزوايا[41]، وما لبثت هذه الإجراءات أن تطورت، فحرم على العلماء أن يلبسوا زيهم الديني إلا في المسجد، كما قلل عدد الوعاظ، وأصبح هؤلاء يقبضون رواتبهم من الحكومة، وفرض عليهم أن يقصروا خطبة الجمعة على المسائل الدينية [42]

وفي 17 شباط 1926، ألغى المجلس الوطني الكبير العمل بالشريعة الإسلامية حتى في الأحوال الشخصية على اعتبار أن الشريعة تلك "وجدت لتجيب مطالب الحياة في الجزيرة العربية منذ أربعة عشر قرناً" وسارت الحكومة الكمالية في سياستها العلمانية أكثر عندما ألغت في نيسان 1928 المادة الثانية من دستور 1924 والتي كانت تنص على أن "الإسلام هو دين

الدولة الرسمي"، كما حذفت العبارة الواردة في صدر المادة(26). التي تعدد اختصاصات المجلس الوطني الكبير، وتنص على أن واجباته "تنفيذ أسس الشريعة"، وحينما شعر مصطفى كمال، أن بعض العناصر المؤيدة للتيار الديني، عادت إلى نشاطها السياسي المعادي للدولة العلمانية، ادخل في قانون العقوبات مادة تنص على أن "الذين يحرضون الشعب على القيام بإعمال مخلة بأمن الدولة، متسترين بلباس رجال الدين أو يدفعونهم إلى عصيان القوانين والأنظمة العلمانية، بحجة أن نظام العلمنة يسئ إلى المقدسات الدينية يعاقبون وفقاً للقوانين المرعية، وكذلك يعاقب كل من يؤلف حزبا سياسيا يستند إلى التعاليم الدينية ، وتضمن القانون موادا تنص على معاقبة جميع الوعاظ في المساجد وسائر رجال الدين الذين يحولون دون تطبيق قوانين الدولة وانظميها ، أو يحرضون الناس على عدم إطاعة هذه القوانين والأنظمة، كما يعاقب كل من يقيم احتفالا دينيا خارج ألاماكن المخصصة للعبادة[43] .

أستطاع الكماليون ترويج العلمانية بين الطبقة المثقفة في المجتمع التركي، ولكنهم لم يستطيعوا ذلك بين جماهير القرى والارياف وسكان المدن البعيدة، فعلى الرغم من محاولات النظام المستمرة لأجتثاث جذور المعتقدات الإسلامية من المجتمع، حيث كانت بعض سياسات أتاتورك معادية للدين بشكل واضح، ففي القانون الذي صدر عام 1930 تقرر إن يكون مسجد واحد في كل (500كم)، فجرى بذلك تخريب المساجد التي لم يكن وجودها ينسجم مع هذا القانون، أو أنها استخدمت كمخازن، ورغم هذا ظل الملايين من سكان القرى وقصبات الأناضول مسلمين ملتزمون بمعتقداتهم الدينية، وبصورة عامة فأن الشعب لم يستطع إن يعبر عن رفضه لسياسة أتاتورك بسبب عدم السماح له إن يتدخل في الشؤون السياسية في اطار نظام ديمقراطي يضمن ذلك[44].

ويجب الاشارة ايضاً إلى أن تلك الفترة لم تخل ايضاً من مجموعات حافظت على كيانها الثقافي وعملت على الابقاء على القيم الإسلامية والتقاليد

العثمانية داخل المجتمع التركي لتشكل عنصر مواجهة ومقاومة للسياسة العلمانية (النورسيون على سبيل المثال)، بيد أنهم بسبب الضغط والقوة

التي كانت مفروضة انذاك، أثروا العمل السري احياناً ولم يسمح لهم طيلة حياة أتاتورك بالظهور إلى إن دخلت تركيا مرحلة جديدة من الحياة السياسية متمثلة بالتعددية الحزبية ولكنهم ظهروا كقوة دافعة وليست قوة مواجهة.

ثانياً: النشاط الإسلامي السري في تركيا

رغم إلغاء مصطفى كمال للخلافة في تركيا عام 1924 فأنه لم يستطع إن يلغي الإسلام من القلوب والواقع، شكل الإسلام في تركيا عاملاً هاماً في بناء الشخصية وصياغة الواقع، فجذور هذا الدين عميقة في التركيبة التركية، وقد استطاع الاتراك من خلال بناء امبراطورية عظيمة امتدت لستة قرون في ذاكرة الانسانية، وأمتدت في العالم القديم آسيا وأفريقيا وأوربا.

لم يكن باستطاعة إجراءات الحكومة التركية ، من الناحية العملية القضاء على تأثيرات الإسلام الروحية والاجتماعية ، إذ سرعان ما واجهت تلك الإجراءات معارضة شديدة من بعض علماء الدين، وشيوخ الطرق الصوفية والمثقفين المتدينين ، الذين قرروا العمل ضد سياسة الكماليين العلمانية ، وبدأت منذ العشرينات تتردد في أنحاء كثيرة من تركيا أصداء منشورات ، ومطبوعات دينية ، سياسية سرية يهاجم فيها كاتبوها العلمنة المرادفة في نظرهم للكفر والإلحاد[45] .

وبشكل واضح ، كانت سياسة أتاتورك الخارجية ، شبيهة إلى حد ما بسياسته الداخلية، فهي كانت في أطارها العام تتعارض مع الدين الإسلامي، بل وتهدف إلى سحقه ، ولعل أتاتورك اراد من الميثاق البلقاني الذي عقد بين تركيا واليونان ويوغسلافيا ورومانيا عام 1934 إن يبرهن إن تركيا

دولة اوربية وليست دولة اسلامية، لاسيما وان هذا الميثاق اشار إلى مواجهة أي نشاط اسلامي[46]. ولم يكن حلف سعد آباد عام 1937 حلف اسلامي ، او الاحلاف الاخرى التي اشتركت بها تركيا مع دول اسلامية وانما كانت هذه الاحلاف غربية تقودها بريطانيا.

وكانت مهمة اعادة الوجه الإسلامي لتركيا مهمة شاقة وعسيرة، وقد استطاعت الحركة الإسلامية في تركيا إن تقدم نموذجاً فريداً في الاستجابة لضغوط الواقع السياسي والاجتماعي المفروض عليها والاستفادة منه دون إن تتخلى عن عقيدتها وافكارها، ودون إن تلجأ إلى العمل المسلح والثوري العنيف، فعرفت كيف تستفيد من الواقع الذي تعيشه بأكبر قدر ممكن[47].

ولم تكن الاجراءات الكمالية لتمر من دون إن تفرز ردود فعل قوية، وقد تباينت ردود الفعل هذه وتعددت بتعدد الجهات التي اكتوت بلظى هذه الاصلاحات، ويمكن رصد ثلاثة اشكال من ردود الفعل اتجاه الاجراءات الكمالية[48]:

1. الاتجاه الاول: تميز بالراديكالية، حيث دعا اصحابه إلى وجوب مقاومة الحكومة والانتفاض كلياً ضد سياستها.

2. الاتجاه الثاني: دعا اصحابه إلى الرضا بما حصل لان ماوقع قدر مقدور ليس للمسلم الا إن يصبر عليه.

3. الاتجاه الثالث: جمع اصحابه بين رفض جزء من سياسات الدولة الكمالية الحديثة وقبول التعايش مع اعمالها وسياساتها الاخرى، وشمل رد الفعل الاخير شريحة كبيرة من مكونات المجتمع التركي، ضمت كثيراً من اتباع الطرق الصوفية.

وقد أتخذ الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة العلمانية في تركيا أشكالاً متعددة ، فالعلمانيون اتخذوا من سلطة الدولة وقوة الجيش سلاحاً لمحاربة الإسلام، فيما قاوم الاسلاميون هذه الامور بالانحناء تارة والمواجهة تارة

أخرى، ولكن في اطار سلمي بعيد عن العنف، وأتخذ العلماء وسائل لمواجهة العلمانية ، فظهرت فتاوى عن حكم صلاة الرجل بالقبعة، وغالى البعض فحكم بكفر من يرتديها فقاوموها بأعتبارها رمزاً لنموذج مرفوض، وأتجه العلماء إلى بناء العقيدة الإسلامية سراً في النفوس، لاسيما وانهم واصلوا اعمالهم بشكل سري بين جماهير القرى والارياف وسكان المدن البعيدة حيث ظل الملايين من ابناء هذه المناطق ملتزمون بمعتقداتهم الدينية(49).

ففي شرق تركيا كانت سلطة الدولة ضعيفة بسبب ولاء السكان الى قادتهم السياسيين والروحيين، ولهذا نجد الاغوات والشيوخ لهم سلطة كبيرة على عشائرهم في جوانب متعددة، وهذه السلطة نابعة من القيم الاسلامية المتوارثة(50).

وجاءت ثورة الشيخ سعيد في عام 1925 لتمثل حركة دفاع مخلص عن الشريعة الإسلامية ورد فعل غاضب ضد سياسة أتاتورك، ويقول عصمت اينونو الذي اصبح رئيساً للوزراء اثناء حالة الطوارئ التي اعلنت اثر انفجار تلك الثورة واصدر (قانون السكون) وقضت على الثورة بالقوة، يقول في مذكراته (أننا كنا نقول في الداخل عن الثورة انها (ثورة كردية) حتى لايميل اليها الشعب التركي، ونقول ازاء العالم الخارجي أنها (ثورة اسلامية) حتى يسامحنا الانكليز والغرب(51).

سيطر الثوار على مدن عديدة في جنوب شرق تركيا مثل ديار بكر، ماردين، وأرغني، وشكل هؤلاء خطراً حقيقياً على حكومة انقرة التي اتخذت اجراءات سريعة لقمع الثوار(52).

وأثر هذه الثورة أنشئ ما يسمى بمحاكم الاستقلال والتي اعدمت الكثير من المشايخ مثل الشيخ عاطف افندي الاسكيكلي، بسبب كتاب نشره ينتقد الغرب في الحياة والسلوك وفي الزي ايضاً، ويوضح موقف الشريعة من التشبه بالكفار بأسلوب علمي وموضوعي، حيث تمت دعوته إلى المحكمة

لأجل التحقيق فقط، ولم يطلب المدعي العام اعدامه اصلاً وحكمت المحكمة ببرائته، ومع ذلك اخذوه مرة ثانية وقاموا بأعدامه[53].

لقد تصرف الجيش بدون شفقة عند أنتقاله عبر الريف، حيث أحرقت قرى بكاملها او سويت بالارض، وقتل الرجال والنساء والاطفال، وحدث هذا في قرى ونواحي ديار بكر[54].

أعطت الثورة المبرر للتحول المباشر الى العلمانية من خلال أغلاق المؤسسات الدينية المتبقية، وباتت كافة التكيات محرومة من حماية القانون وحتى العلويين المؤيدين للحكومة وجدوا مؤسساتهم الدينية تتعرض للاضطهاد، وكما تساءل مصطفى كمال "هل تستطيع امة متحضرة ان تسامح حشداً من الناس الذين يسمحون لأنفسهم أن يقادوا من أنوفهم من قبل مجموعة من الشيوخ والاسياد والامراء"[55].

وفي عام 1930 قام جمع غفير من المصلين في مدينة مينمين قرب أزمير ضد الحكومة، فقد زحف حشد بقيادة الدرويش محمد من الجامع بعد أداء صلاة الصبح إلى ساحة المدينة وهم يطالبون بأعادة الشريعة الإسلامية والخلافة، وقد ادعى الدرويش محمد، الذي كان ينتمي إلى الطريقة النقشبندية[56]، بأنه كان المهدي المنتظر وقد ظهر لأنقاذ العالم. وأرسلت قوة من الشرطة التي كان الشعب يكرهها بوصفها ذراع الدولة القمعية، لقمع المظاهرة، لكن الدرويش محمد قبض عليه وقطع رأسه ثم وضع الرأس على سارية علم وطاف به في شوارع المدينة. كان الحادث صدمة كبيرة للنظام اذ انه لم يحدث في بقعة متخلفة في الأناضول بل حدث في واحدة من اكثر مقاطعات تركيا تقدماً[57].

وبموازاة هذا الخط الثوري المتصاعد نمت حركة اخرى جنباً إلى جنب مع باقي الحركات، وكانت معتدلة نسبياً من ناحية طريقة عملها وان لم تختلف عنها من حيث اهدافها، وهي الحركة التي تبناها العلامة الكردي الذي

اشتهر بلقبه بديع الزمان سعيد النورسي[58]، وقد سمى الشيخ تلاميذه (أخوان النور)، وسميت حركته بعده (الحركة النورية) نسبة إلى كتب الشيخ سعيد النورسي التي اطلق عليها (كليات رسائل النور)[59].

واشتهر النورسي برفضه للفتوى المعادية لحرب التحرير التي قادها مصطفى كمال ، وكان في أول الأمر مسانداً له في اطار جمعية الاتحاد والترقي، لكنه حينما اكتشف ان الشعارات التي كانت تحملها الجمعية تهدف الى غير ماهو معلن قام ضدها، فنال جراء ذلك النفي والطرد والتشريد كباقي العلماء[60].

ويعد سعيد النورسي رجل فكر وحركة آمن بالجامعة الإسلامية، ويذكره الشيخ محمد عبده بقوله: "واستاذي ناضل ضد استبداد السلطان عبد الحميد خان الثاني مع اسلاميين اخرين مثل الشاعر محمد عاكف ، وشارك في تأسيس جمعية الاتحاد المحمدية في مواجهة جمعية الاتحاد والترقي" ثم واصل جهاده في عصر الجمهورية بقلمه ضد الكمالية، فعندما دعاه مصطفى كمال إلى انقرة ليخطب في المجلس الوطني الكبير، صعد إلى منبر المجلس ودعا اعضاء المجلس إلى الصلاة، فأجاب دعوته ستون من أعضاء المجلس من الذين لايصلون من قبل، وعندما صعد مصطفى كمال المنبر من بعده، قال: يا أستاذ نحن دعوناك إلى هنا لنستفيد من آرائك العليا لا لتشغلنا بالصلاة، قام الشيخ من مكانه وخطا بضع خطوات وأشار بأصابعه السبابة والوسطى إلى عيني مصطفى كمال كأنه يختطفهما وصرخ بصوت واحد: يا باشا، إن الحقيقة العظمى في الكون هي الايمان وتلي الايمان الصلاة، ومن ترك الصلاة فهو خائن، وحكم الخائن انه مردود[61].

وكان الشيخ النورسي يهدف بكتاباته إلى تربية أجيال تركيا على الأيمان والأسلام، وكانت جميع كتبه تركز على مباحث ايمانية، وعندما رأى بشارات نواة الجيل المؤمن بالله وبأحكام كتابه والتي من أجلها قضى حياته في السجن والمنفى وتحت ضغوط قصوى قال: "اخذت ثأراً في سعيد"،

ويقصد بذلك الشيخ سعيد الذي استشهد بعد ان فشل في ثورته عام 1925[62].

ان رسائل النور التي كتبها وضمنها افكاره حول التوحيد والايمان والدين وحقيقة قدرة الايمان على انقاذ الدين من الافكار الفاسدة، حاول النورسي فيها التمييز بين افكاره والطرق الصوفية الاخرى من خلال تأسيس واقع ايماني يقوم على التعليم والعمل والتعاون، وكذلك من خلال اقامة علاقة مع الدول الغربية بهدف الاستفادة من النتائج الحضارية للغرب من دون الاخذ بمنظومته الفكرية والاخلاقية[63].

كان سعيد النورسي الاكثر شهرة من بين اولئك الشيوخ ولكنه لم يكن الوحيد. فقد كان لأعيان بدليس وأرزنجان، على سبيل المثال، علاقات وثيقة مع شيوخ الطريقة النقشبندية في تلك المقاطعات، أما أعيان ارضرورم فكانت علاقاتهم بشكل خاص مع شيوخ الطريقة القادرية[64].

بعد جيل من إلغاء الخلافة وقمع الطرق الصوفية، بدأ ان الاسلام "الرسمي" في حالة تقهقر ، ولكن لا يمكن قول الشيء نفسه عن الاسلام "الشعبي" فكان معروفاً، مثلاً، أن الطرق الصوفية تعمل سراً، وفي كردستان أكثر من أي مكان آخر[65].

ومن الواضح ان التيار الاسلامي في تركيا اخذ يزاول نشاطه بسرية تامة في عهد أتاتورك، وعند وفاته بدأ الاسلاميون يظهرون على الساحة السياسية ويطالبون بتحقيق اهدافهم بصورة علنية.

ثالثاً: النشاط الاسلامي في تركيا بعد الحرب العالمية الثانية

كان الكماليون يدركون ان الاسلام عامل هام بالنسبة للسياسة التركية او انه سوف يستخدم ضدهم ان لم يتخذوا الاحتياطات الكفيلة لمنع ذلك ، وكانت الوسيلة لذلك جعل الجيش التركي هو القيم والحارس على اساسيات

النظام[66]. وبدأ التعامل مع النشاط الديني بمرونة اكثر، فبدأ السماح للتعليم الديني في المدارس العسكرية بقصد رفع الروح المعنوية للجيش، وسمح بترجمة الكتب الدينية والتأريخية الى اللغة التركية[67].

وبعد انتهاء الحرب العالمية الثانية ، ودخول تركيا في مرحلة تعدد الأحزاب ، تنامت المعارضة الدينية ، كما بدأت ظاهرة استغلال الدين لتحقيق مكاسب سياسية من قبل بعض الأحزاب السياسية ، وفوق هذا وذاك ، اتجهت بعض الأحزاب ، إلى تأكيد احترامها للأفكار والتعاليم الدينية للسكان وتضمين ذلك في برامجها السياسية ، وخلال السنوات 1946-1948 ظهرت منظمات وجمعيات ذات طابع ديني ، كما صدرت جرائد ومجلات دينية كان الكماليون قد منعوها عند وصولهم السلطة ، وقد دعت هذه التجمعات حزب الشعب الجمهوري وهو الحزب الحاكم بالتخلي عن سياسته العلمانية ، وتدخله في شؤون الناس الدينية ومعتقداتهم كما طالب البعض ، بإلغاء القوانين العلمانية ، وتربية النشئ الجديد تربية دينية[68] .

لقد أظهرت انتخابات سنة 1946 تنامي دور الظاهرة الدينية ، السياسية في تركيا ، وفي ظروف المواجهة بين حزب الشعب الجمهوري ، وقوى المعارضة بعد الحرب العالمية الثانية اضطرت قيادة حزب الشعب الجمهوري ، إلى التخفيف من سياستها العلمانية ، ومن ذلك قرارها في سنة 1948 السماح بتخصيص الأموال للراغبين بأداء فريضة الحج ، وفي كانون الثاني 1949 نظمت دورات لإعداد (ألائمة والخطباء) وتقرر في السنة ذاتها تدريس المواد الدينية في المدارس الابتدائية ، ورحبت كذلك في الوقت ذاته ، بمشروع قرار تقدم به مجلس جامعة أنقرة ، لفتح كلية للعلوم الدينية[69] .

إن تلك الإجراءات لم تؤد إلى إرضاء حركات المعارضة الدينية التي أخذت تتنامى منذ سنة 1950 ، وكان من ابرز قوى المعارضة ، النورسية ، إذ دعا مؤسسها سعيد ألنورسي ، إلى إعادة العمل بالشريعة الإسلامية ، وبدا يسعى لما اسماه بـ (إنقاذ الإسلام في تركيا ، وذلك بالدعوة إلى تجديد الإيمان)[70] ، وقد اتسعت نشاطاته ، وكثر إتباعه الذين أصبحوا يعرفون بأصحاب النور .

في سنة1950 جرت أول انتخابات حرة، في ظل نظام تعدد الأحزاب،وفاز فيها الحزب الديمقراطي[71]، وقد بدأ هذا الحزب يخفف من ملاحقة ألنورسي، كما انه لم يتوان عن استخدام الدين لتحقيق مكاسب سياسية، ومن ذلك انه سمح للنور سي بالحركة المحدودة بين المدن التركية، وقد استغل النورسي مجئ هذا الحزب وسياسته المرنة تجاه النشاطات الدينية، فبدأ طلابه يكتبون المقالات التي يهاجمون فيها "العلمانية" ويدعون الى إقامة الدولة على أسس الشريعة الإسلامية، وقد فتح الخطاب الذي ألقاه عدنان مندريس رئيس الوزراء، وزعيم الحزب الديمقراطي في أزمير وقال فيه ان تركيا بلد إسلامي وستبقى كذلك للنورسي الامل في الاتصال بمندريس[72]. وقد بعث اليه برسالة تضمنت حديثاً عن الإخوة الإسلامية ووصفه بالبطل الإسلامي وقال له: "من اجل الديمقراطية الدينية وشخصيات معينة مثل عدنان مندريس نظرت ساعة أو ساعتين في السياسة التي تركتها طوال الخمس والثلاثين سنة الماضية"[73]

وقد استفاد الحزب الديمقراطي من موقف ألنورسي، في مجال كسب الأصوات في الانتخابات، ويبدو أن اهتمام ألنورسي بالسياسة خلال هذه الفترة، جاء بسبب تفاقم المسألة الأرمنية في تركيا من جهة، وتنامي النشاط الشيوعي من جهة أخرى، وقد وثق مندريس علاقاته بالنورسيين، حتى انه كان يذيل رسائله التي يبعث بها الى أحد زعمائهم في ديار بكر بعبارة "وأقبل أيديكم[74]"

كان االتحول في سلوك النظام تجاه الاسلام بدأ منذ منتصف الاربعينات عندما ادركت مجموعة داخل حزب الشعب الجمهوري حجم الفراغ الذي لم يستطع النظام ان يملئه في المجال الديني، فأقترحت على الحكومة السماح باجراء تعليم ديني في تركيا، شريطة ان يكون تحت حكم وسيطرة الدولة، وقد اندرجت مسألة اعادة تدريس (مادة دينية) في المدارس الرسمية، ضمن جدول اعمال المجلس الوطني الكبير عام 1946 كتدبير وقائي من خطر الشيوعية، وفي تشرين الاول 1948 اعلن برنامج المواد الدينية التي ستدرس للصفين الرابع والخامس الابتدائي. وفي 15 شباط 1949، اصبحت المادة الدينية تدرس في المدارس الابتدائية بموجب قرار حكومي شرط ان تدرس خارج اوقات الدراسة الرسمية[75].

ان التحول نحو التعددية الحزبية في تركيا ادى الى تخلي حزب الشعب الجمهوري عن نظرته للاسلام، فحزب الشعب كان ينظر منذ تاسيسه الى الاسلام على انه عامل اعاقة امام التحديث، ومع التوجه نحو نظام ديمقراطي ظهرت احزاب تنتقد سياسة الحزب هذه وتطالب بتلمس مشاعر الشعب الدينية[76].

وقد سمح الانفراج الذي شهدته الحياة السياسية عقب اقرار نظام التعددية بقيام محاولات اولى لتكوين احزاب تتبنى مباشرة المشاعر والمظاهر الاسلامية فكان حزب النهضة الوطني اول حزب معارض اسس عام 1945، اسسه كل من حسين عوني اولاي وجواد رفعت اتيل خان ونوري دميرداغ، وينادي هذا الحزب في مجال السياسة الخارجية بتحقيق مشروع (الاتحاد الاسلامي)، ودافع عن قيام اتحاد شرقي يستهدف وحدة العالم الاسلامي، واقر انشاء جامعة التكنولوجيا والاخلاق لاعداد الطلاب الوافدين من الدول الاسلامية، واغلق الحزب بسبب عدم حصوله على مقعد في الانتخابات البرلمانية. كما تاسس حزب حماية الارتقاء في 26 حزيران 1946، وكانت المادة الاولى تعترف بوجود الله وامره الناس بحسن العمل،

وكان الحزب يرى ان حرية العبادة حق طبيعي للانسان، وحل الحزب نفسه في 12 اذار 1947، كما ان حزب العدالة الاجتماعي الذي تاسس عام 1946 كان مؤيداً لطرح الوحدة الاسلامية ، وحزب الفلاح الذي تمسك بفكرة حماية الاعراف المستندة على المبادئ الاسلامية، وايد فكرة انشاء كلية دينية، واعلن حزب الحفاظ على الطهارة الذي تأسس عام 1946 ضرورة المحافظة على الاسلام(77).

وفي 19 تموز 1946 قام كل من نجمي كوناش ومصطفى اوزبك ميتاسوار بتشكيل حزب حماية الاسلام، فقامت قيادة الاحكام العرفية باغلاق هذا الحزب في 12 ايلول من السنة نفسها، بحجة ان الحزب قد اتخذ من الدين اداة سياسية، وفي 8 تموز 1947 قام جواد رفعت اتيل خان المعروف بعدائه لليهود والصهيونية وهو جنرال سابق في الجيش التركي مع بعض زملائه بانشاء حزب المحافظين وذكر في لائحته انه يعتمد على الاسس الاسلامية في برنامجه فاغلقت السلطات التركية هذا الحزب قبل ان يبدأ نشاطه ثم قام المارشال فوزي جاقماق، وكان يعد احد ادوات مصطفى كمال المعتمد عليهم في السيطرة على الجيش، بانشاء حزب يميني بروح اسلامية في 30 تموز 1947 حمل اسم حزب الامة، ونصت لائحة الحزب على احترام عادات البلاد واعرافها واحترام الدين، الا ان الحكومة الغته عام 1953 بحجة انه حزب ضد النظام الجمهوري، اما الحزب الديمقراطي الاسلامي الذي اسسه جواد رفعت في اب 1951 كان يسعى لتحقيق تعليم اسلامي ليسد الفراغ الروحي ويقف ضد المد الشيوعي في تركيا واغلق بعد ستة اشهر لمخالفته المادة (71) من القانون المدني، حيث خالفت المادة الاولى والثالثة من لائحة الحزب الدستور(78).

وقد عادت الى الظهور جرائد ومجلات دينية كان الكماليون قد منعوها عند وصولهم للسلطة مثل " سبيل الرشاد " و "سلامت" و "حر ادام" .

واظهرت انتخابات عام 1946 تنامي دور الحركة الاسلامية في الحياة السياسية والاجتماعية لتركيا حيث بدأ تسابق الاحزاب لنيل اصوات الناخبيين الاسلاميين . وظهر تيار داخل حزب الشعب الجمهوري نفسه بزعامة حمد الله صبحي وتكيلي اوغلو يطالب بتوقف الدولة عن التدخل في معتقدات الناس الدينية(79).

أن هذه التنازلات من قبل حزب الشعب الجمهوري لم تكن كافية للتعويض عن سمعته بأعتباره الحزب الذي حل الدولة الاسلامية، حيث حث الشيوخ أتباعهم، وفقاً لذلك فالشيخ سعيد النورسي، مثلاً، خص اتباعه على درعم الحزب الديمقراطي في انتخابات عام 1950(80).

ويبدو واضحاً ان المؤسسة العسكرية التي تخرج منها دعاة العلمانية في اواخر الدولة العثمانية هي نفسها قد تخرج منها طليعة المنادين بردّالاعتبار لهوية المجتمع الاسلامية، من خلال محاولاتهم تاسيس احزاب ذات مرجعية اسلامية .

ولئن فشلت المشاعر الاسلامية في البداية في ان تجد مسلكاً لها في ظل حزب سياسي معترف به قانوناً، في المقابل وبسبب ضغطها قد كسبت اعترافاً من لدن زعماء (الاصلاحات الكمالية) الذين حاولوا عندها افهام الرأي العام التركي ان اصلاحاتهم ليست موجهة بصورة مباشرة ضد الاسلام، وانما الغاية من سياساتهم هي وضع نهاية لسلطة العلماء وتأثيرهم، ونتيجة لذلك اتخذت حكومة حزب الشعب الجمهوري عدة قرارات لصالح الدين(81).

فقد انفتح حزب الشعب على التيار الاسلامي وغير مفهوم العلمانية التقليدي الذي رفعه منذ عشرين عاماً، واعتبر في مؤتمره لعام 1947 ان الدين غذاء روحي للمجتمع، واقر بموجب ذلك اجراءات منها اقامة دورة لتخريج

الائمة والوعاظ حيث شعر قادة الدولة بالحاجة الى رجال دين مثقفين يقومون بادوار هامة في تحقيق التجانس مع الشعب وحماية القيم المعنوية ومواجهة التيارات اليسارية، كما أمرّ فتح كلية الالهيات في جامعة انقرة، وادخال الدين كمادة اختيارية في المدارس وسمح بالذهاب الى الحج والغاء القيود المالية المفروضة على الحجاج وتحديد العملة الصعبة التي يحق لهم حملها[82].

ويضاف الى الاسباب السابقة التي دفعت حزب الشعب الى هذا الاتجاه والى هذه التنازلات النسبية هو الانعكاسات القاسية للحرب العالمية الثانية على الواقع التركي، فقد عصفت بالبلاد أزمة اقتصادية عنيفة حتى بات المواطن لا يجد الخبز الا بالوثيقة وكانت حرية التعبير شبه معدومة، كما ان الشعب التركي لم يتمكن من أداء الشعائر الدينية بحرية، وهذا ساعد على تشكيل جبهة معارضة ضد حزب الشعب الجمهوري الحاكم، كما ان البلاد كانت بحاجة الى تغيير مع تغير القوى في التوازن الدولي بعد الحرب العالمية الثانية، ولا ننسى مطلب التأثير في الناخبين وعملية الحصول على الاصوات جعلهم يتوجهون الى اتباع التيار الإسلامي[83].

وفي اول انتخابات جرت في 21 تموز 1946 دخلت تركيا الحياة الديمقراطية، وان لم يخل ذلك من معوقات حيث لم تكن عملية الادلاء بالاصوات سرية، في حين كانت عملية الفرز غاية في السرية، ولم يتمكن الحزب الديمقراطي من المشاركة الا في (16) محافظة فحصل على (62) نائباً، في حين فاز حزب الشعب الجمهوري بـ 396 مقعداً[84].

واثناء تولي شمس الدين جون الطاي رئاسة الوزراء في 14 كانون الثاني 1949 وبرغم منحه بعض الحريات الدينية للشعب الا انه تم اضافة مادة الى قانون العقوبات التركي برقم 163 اكدت على فرض عقوبة السجن من

عامين الى سبعة اعوام على من يقوم بتاسيس او تشكيل او تنظيم جمعية بهدف ديني او عقائدي تخالف علمانية الدولة[85].

شكلت انتخابات عام 1950 منعطفاً تاريخياً هاماً في مسيرة تركيا الديمقراطية، حيث انتصر الحزب الديمقراطي على حزب الشعب الجمهوري باغلبية ساحقة، وليفقد الحزب الحاكم السلطة التي تولاها مدة (27) عاماً، فقد حصل الحزب الديمقراطي على نسبة 52.68% من الاصوات وفاز بـ397 مقعداً من مجموع 487 مقعداً في البرلمان، وتفرد بالسلطة، وتولى عدنان مندريس منصب رئيس الوزراء اما جلال بايار فانتخب رئيساً للجمهورية بعدما استطاع الحزب ان يوصل الى اذهان الناخبين الاتراك، ان الحزب الديمقراطي سيمنح حريات اكثر بشأن القضايا الدينية[86].

واستجاب مندريس لبعض طموحات الشعب واتاح لهم فرصة العيش طبقاً لتعاليم الاسلام، واظهر تسامح مع القضايا الاسلامية باشكال شتى وصور مختلفة منها ان الاذان الذي كان يقام باللغة التركية اخذ يقام باللغة العربية مرة اخرى والذي عبرت عنه الصحف الاسلامية ووصفته (بانهيار عهد الاصنام)، وذكر مندريس في 4 حزيران 1954 (ان الاجبار على تلاوة الاذان باللغة التركية امر غير مقبول الان وتمارس الشعائر باللغة العربية)[87].

وخرج مئات الالاف من الاتراك من مختلف المدن التركية الى مدينة بورصة لارتباطها بالخلافة قبل يومين من الموعد المحدد لاعلان الاذان باللغة العربية يحملون طعامهم وشرابهم ليشهدوا صراخ الناس رجالاً ونساءاً واطفالاً يجهشون بالبكاء عند سماع نداء الله اكبر بعد ان حرموا من سماعه منذ عام 1923[88].

وتحولت دروس تدريب الامام الخطيب الى مدارس منظمة لتخريج الائمة والخطباء، وعادت الى الظهور المؤسسات الدينية التي ساهمت في انتصار الحزب الديمقراطي، حيث جرى تاسيس جمعيات هدفها بناء المساجد وتشكيل دروس القران من قبل افراد متطوعين في معظم قرى الاناضول، وقد اعرب الشعب عن ارتياحه لعودة هذه المؤسسات والجمعيات والطرق الصوفية الى الساحة، وكذلك فتح المزارات امام الزائرين من جديد، وفي عهد مندريس تم بناء (1500 جامع)، وتم بث البرامج الدينية في الاذاعة والتلفزيون وفتح اول معهد عالي الى جانب مراكز لتعليم القران الكريم[89].

ان هذا الامر يعد تحولاً وتطوراً مهماً جداً، خاصة انه يقع في دولة قطعت فترة من الركود الديني، ولكن مع هذه التطورات لم تفصل الدولة عن العلمانية .

ان هذه التغييرات التي ظهرت في بداية الخمسينيات جعلت الكثير من الطرق الصوفية تخرج من سريتها لتمارس نشاطها بشكل علني شيئاً فشيئاً، وساعدها على ذلك تنافس الزعماء السياسيين على كسب اصوات اتباعها عند اقتراب الاستحقاقات الانتخابية، وفي هذه الفترة انقسمت النقشبندية الى ثلاثة تيارات يتزعم كل واحدة شيخ نقشبندي وهي[90]:

1/ التيار الاول : وضم فئة الحرفيين والتجار الصغار من الطبقة الوسطى .

2/ التيار الثاني: وضم مجموعة من المثقفين واساتذة الجامعات ورجال الاعمال وزعماء بعض الاحزاب السياسية .

3/ التيار الثالث : وضم الطبقة البسيطة من الناس من اهل المدن والقرى والارياف .

ومن ابرز رجال الحركة في هذه الفترة اسعد جوشان الاستاذ في كلية الالهيات في جامعة انقرة الذي خلف محمد زاهر افندي وكذلك الشيخ حلمي ايشيق والشيخ محمد اسطا عثمان والشيخ اسماعيل اغا، وازدهرت النقشبندية في النصف الاول من الخمسينيات، حيث رفدت الطريقة نشاطها بشبكة اعلامية على الساحة اهمها صحيفة (تركيا) والقناة التلفزيونية (شزاس) فضلاً عن مئات المدارس والمعاهد الدينية(91).

وعلى الرغم من توجيه عدنان مندريس وسائر مسؤولي الحزب الديمقراطي انتقادات الى الفكر العلماني الكمالي، الا ان الحكومة لم تلغ الاليات القانونية والادارية في سيطرة الدولة على المؤسسات الدينية، وجرى وصف الاسلام في الكتب الدينية المدرسية على انه دين لا يعارض التقدم، وعندما اخذ اعضاء الطريقة التيجانية يهاجمون باستمرار تماثيل اتاتورك كانوا يعتقلون ويقدمون الى المحاكمة، كما تمت محاكمة النورسي ومفكرين اخرين . وفي عام 1953 اصدر البرلمان الذي كان يهيمن عليه الحزب الديمقراطي قانوناً منع بموجبه استخدام الدين لاغراض دعائية سياسية، وكان هذا الاجراء الذي يستهدف الاسلاميين الاصوليين يستمد قوته من جذور قيادة الحزب الديمقراطي وبنيته الاجتماعية لان معظم هذه القيادة كانوا من النخبة الكمالية، وكان موقف الحزب الديمقراطي من الاسلام متاثراً الى حد ما بالقوى العلمانية(92).

ويضاف الى ذلك ان الحزب الديمقراطي رفض ظهور أي حزب ذي مرجعية اسلامية خوفاً من ان يسحب منه القطاع الاسلامي العريض الذي كانت تتشكل منه القاعدة العريضة لحزبه، وكان حريصاً على التوازن بين النزعتين الاسلامية والعلمانية، ففي الوقت الذي حقق بعض الحريات الدينية لم يمس او يغير المبادئ الكمالية(93).

لقد اثارت شعبية مندريس وانجازاته وتوسيعه لدائرة الحريات الدينية حفيظة بعض الاوساط المعادية للاسلام والتي تعتمد القوة في حل مشاكلها، فشهدت تركيا حركة معارضة لسياسات الحكومة داخل شباب الجيش

وطلاب الجامعات، وتفجرت احداث شغب ومواجهات في الجامعات، وانهمرت امواج الطلبة في مظاهرات كبيرة في شوارع اسطنبول وانقرة في 18 نيسان 1960، وقام طلبة مدرسة القوات البرية بمسيرة صامته الى مجلس الشعب في انقرة احتجاجاً على سياسات مندريس، وكان المتظاهرون يدّعون ان مندريس يعتزم قلب النظام العلماني واقامة دولة دينية[94].

ومما يعطي لهذه التوجهات دعماً واضحاً ان مجلس الامن القومي ذو القاعدة الثقافية والاقتصادية العلمانية هو المهيمن على الحياة السياسية التركية، حتى الحزب ذو الاغلبية في البرلمان ليس له قوة اكبر من جيش يحكم نفسه بنفسه، ولا يخضع لسلطة رئيس الوزراء، وليس لرئيس الوزراء الا ان يوقع على قرارات المجلس ان قرر[95].

كل هذا دفع الجيش وهو المفوض دستورياً بالتدخل للقيام بانقلاب في 27 ايار 1960 حيث كان نهج الحزب الديمقراطي سبباً في غضب المؤسسة العسكرية التي قيمت الوضع على انه انحراف عن الاسس العامة للجمهورية التركية، ويرى بعض الكتاب ان الدعم الذي كان يلقاه سعيد النورسي وطلابه في فترة حكم الحزب الديمقراطي كانت من اهم الاسباب التي حركت الجيش للقيام بانقلابه[96].

ويبدو واضحاً ان المؤسسة العسكرية كانت غاضبة على عدنان مندريس وحكومته لتقربها للاسلاميين، ولعملها على تقليل ضغط العلمانية على المجتمع التركي، وكانت نهاية حكومة الحزب الديمقرطي مأساوية فقد اعدم او سجن معظم الجهاز الحكومي وفي مقدمتهم جلال بايار وعدنان مندريس ورفيق كورلتان وجميع الوزراء .

الخاتمة

نتيجة لتدهور الدولة العثمانية ونهايتها، وللضربات القوية التي وجهها مصطفى كمال للأسلاميين في الطرق الصوفية – ومنهم النورسيين - والاندية والجمعيات والصحافة، اضمحل النشاط الاسلامي في تركيا واصبح نشاطه محدوداً وسرياً للغاية ، لكنه لم يمت كما أراد أتاتورك .

ان الظروف القاسية التي مرت بها تركيا اثناء الحرب العالمية الثانية رغم عدم مشاركتها فيها، ولاسيما الجانب الاقتصادي، جعلت الحكومة التركية تغير من سياسة البطش والقوة تجاه كل تحرك سياسي او ديني مناهض للعلمانية ولحزب الشعب، وهذا ماحصل بعد نهاية الحرب مباشرة وليكسب النورسيون بصورة خاصة ، والاسلاميون بصورة عامة ، جزء يسير من حقوقهم ، بل ان التعددية الحزبية التي اصبحت سياسة تركيا مابعد الحرب جعلت كل حزب يحاول كسب الاسلاميين مضمناً جزء من اهدافهم في برنامجه الانتخابي، وهذا مافعله الحزب الديمقراطي ، وكذلك حزب الشعب الجمهوري ، حزب أتاتورك.

ان هذا الانفراج النسبي في السياسة التركية لصالح الاسلاميين ادى الى تغييرات جديدة لصالحهم، فانشأت دور العبادة وافتتحت المدارس الدينية، ودرست المواد الاسلامية في المدارس التركية، كما نشطت الجمعيات والاندية الاسلامية، وعادت الصحافة الاسلامية للصدور.

ويبدو واضحاً ان سياسة الضغط والاكراه لايمكن ان تستمر دائماً، فبموت اتاتورك بدأ التغير واضحاً، خاصة ان المجتمع التركي مجتمع اسلامي في تقاليده ومبادئه لايمكن ان يتنازل عنها بسهولة. وكذلك تركيا دولة شرقية ومجتمعها شرقي ليس بالسهولة ان تصبح دولة غربية بالكامل لمجرد رغبة وعمل الحكومة التركية.

ان هذه التطورات على الحركة النورسية والتيار الاسلامي في تركيا قبل عام 1960 تلتها تطورات لاحقة اكثر تنظيماً ودقة في العمل السياسي. فرغم تمسك الحكومة التركية بالعلمانية كشرط اساسي لكل توجه سياسي،

الا ان العلمانية اضحت مرنة في تركيا بحيث تحاول كسب كل التوجهات السياسية، وبالذات الاسلامية.

وبهذا فان الصراع بين الاسلاميين والعلمانيين سيستمر ، والراجح ان الاسلاميين لهم قاعدة أعمق في المجتمع التركي، ولولا تدخل المؤسسة العسكرية التي ترعى النظام العلماني لما كان بامكان هذا النظام الاستمرار الى وقتنا الحالي.

الهوامش

1- جراهام فولر، الحركة الاسلامية في تركيا، ترجمة محمود عبد الكريم، مؤسسة رافد للدراسات، 2000، ص5.

2- محمود الثاني: تولى السلطنة بين عامي 1808 و1839، وهو من السلاطين المصلحين، فاضافة الى انشاء جيش جديد وانهاء جيش الانكشارية عام 1826، قام بعدة اجراءات منها افتتاح مدارس حديثة ابتدائية وثانوية، ومدرسة للطب واخرى للحقوق يديرها مدرسون فرنسيون، وظهرت الجريدة الرسمية (تقويم وقائع) عام 1831، واسس دائرة للترجمة، واهتم بالقضاء والاراضي. يراجع: وديع أبو زيدون، تاريخ الامبراطورية العثمانية من التأسيس الى السقوط، عمّان، المكتبة الاهلية، 2003، ص ص224-225.

3- Bernard Lewis, The Emeregnce of Modern Turkey, London, 1968, P.419

4- الانكشارية: فرقة كان لها مركز ممتاز بين فرق الجيش العثماني . كانوا يختارون من الشبان المسيحين الذين ترسلهم سنوياً المدن المسيحية

الخاضعة للعثمانيين لخدمة السلطان، كانوا ينشأون على الولاء للسلطان. ومدربون عسكرياً. حصلت فرق الانكشارية اثناء القرنين السابع عشر والثامن عشر على سلطة كبيرة فكانت تنصب السلطان وتخلعه. قضى السلطان محمود الثاني على فرق الانكشارية عام 1826. يراجع: علاء موسى نورس، مدى مسؤولية الانكشارية في تدهور الدولة العثمانية، المجلة المغربية، 1992.

5- احمد نوري النعيمي، تركيا وحلف شمال الاطلسي، عمان، المطبعة الوطنية، 1981، ص24.

6- Geoffery Lewis, Modern turkey, London , 1974, P.44

7- جراهام فولر، المصدر السابق، ص6.

8- احمد عبد الرحيم مصطفى ، اصول التاريخ العثماني ، بيروت ، 1982 ، ص247 ؛ محمد مصطفى الهلالي ، السلطان عبد الحميد الثاني بين الانصاف والجحود ن دمشق ، دار الفكر ، 2004ص43 ؛ Geoffery lewis –op-cit-pp-52-53

9- هيم كامل أوكي، السلطان عبد الحميد الثاني بين الصهيونية العالمية والمشكلة الفلسطينية، القاهرة، الزهراء للاعلام العربي، 1992، ص62

10- willtam miller-the ottoman Empire and it is successore – cambirdge -1939-p-467

11- ابراهيم خليل العلاف ،ولاية الموصل : دراسة في تطوراتها السياسية ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الاداب ، جامعة بغداد ،1975 ، ص 48 .

12- محمود شوكت باشا ، اسباب استعفاي ، اسطنبول ، 1330هج ، ص ص 3-4 .

13-فؤاد طلعت ، 31 مارت ارتجاع ، اسطنبول 1337 ، ص ص 2-3 .

14-فيروز احمد ، صنع تركيا الحديثة ، ترجمة سلمان داود الواسطي وحمدي الدوري ، بغداد ، بيت الحكمة ، 2000 ، ص 88 .

15-المصدر نفسه ،ص 95 .

16-مجلة المنار، باريس، العدد 59 تشرين الاول، 1989، ص170.

17- ابراهيم خليل احمد وخليل علي مراد ، ايران وتركيا دراسة في التاريخ الحديث والمعاصر ، الموصل ، 1992 ، ص ص 243 ، 247 .

18- مصطفى الزين ، اتاتورك وخلفائه ، بيروت ، 1982 ، ص ص 279-280 .

19- فيروز احمد ، المصدر السابق ، ص 123 ؛

James P. Piscatori, Islam in The Political Process, Cambridge University Press, 1983, P. 140

20- عبد الجبار قادر غفور ، الديانة والطرائق الصوفية في تركيا في ابراهيم خليل احمد العلاف واخرون ، تركيا المعاصرة ، الموصل ، 1987 ، ص93 .

21- abdulbaki golpinarli100, soruda tarikatler , istanbul – 1969 ,p – 226

22- محسن عبد الحميد ، النورسي الرائد الاسلامي الكبير ، بغداد ، 1987 ، ص 13 .

23- المصدر نفسه ، ص 12 .

24- abdulbaki golpinarli ,op- cit , 229

25- abdulbaki golpinarli ,op- cit , 226

26- necip Fazil , Kisakurekkk , son devrin din mazlumlar , istanbul ,1969,p – 69

27- محمد سعيد رمضان البوطي ، في الفكر والقلب ، دمشق ، 1969 ، ص 269 .

28- المصدر نفسه ، ص 272 .

29- عبد الجبار قادر غفور ، اضواء جديدة على جريدة كورد ترجمة ياسين خضر رشيد ، مجلة كاروان ، العدد 72 ، 1989 ، ص ص 174 – 175 .

30- يذكر البعض ان النورسي هو الذي اسس الجمعية ، انظر : محمد سعيد رمضان البوطي ، المصدر السابق ، ص 272 .

31- انظر نص دفاعه في : محمد سعيد رمضان البوطي ن المصدر نفسه ، ص ص 273 – 279 .

32- بديع الزمان سعيد النورسي ، الخطبة الشامية ، تعريب محمد سعيد رمضان البوطي ، دمشق ، د . ت .

33- محسن عبد الحميد ، المصدر السابق ، ص ص 20 .

34- طالب الب ، بديع الزمان والحركة النورسية ، بحث القي بالانكليزية في ندوة اتجاهات الفكر الاسلامي المعاصر المنعقدة في البحرين للفترة من 22 – 25 شباط 1985 ، ترجمة كمال توفيق الهلباوي ، ص 413 .

35- محسن عبد الحميد ، المصدر السابق ، ص ص 23 – 24 .

36- طالب الب ، المصدر السابق ، ص 414 .

37- أدريس يووانو، مكونات التيار الاسلامي في تركيا، ص1 نقلاً عن:

www.arabgate.Com

38- طارق عبد الجليل، الحركات الاسلامية في تركيا المعاصرة ، القاهرة , 2001، ص50.

39- أندرو فنكل ونوكهت سيرمان، تركيا المجتمع والدولة ، ترجمة حمدي حميد الدوري وعدنان ياسين مصطفى، بغداد، بيت الحكمة، 2002، ص338.

40– مصطفى الزين ، اتاتورك وخلفاؤه ، بيروت ، 1982 ، ص279 .

41 – احمد السيد سليمان ، التيارات القومية والدينية في تركيا المعاصرة ، القاهرة ، د . ت ، 64 .

42– ابراهيم خليل العلاف ، الحركة النورسية ، مركز الدراسات الاقليمية ، جامعة الموصل ، ص 9 .

43- عبد الجبار قادر غفور ، الديانة والطرق الصوفية في ابراهيم خليل العلاف واخرون ، تركيا المعاصرة ، الموصل ، 1987 ، ص90 .

44- ديفيد مكدول، تاريخ الاكراد الحديث، ترجمة راج ال محمد، بيروت، دار الفارابي، 2004، ص ص304-306.

45 – عبد الجبار قادر غفور ، المصدر السابق ، ص93 .

46 – للمزيد من التفاصيل عن الحلف البلقاني يراجع : صبحي ناظم توفيق ، الميثاق البلقاني ومعاهدة مونترو في وثائق الممثليات العراقية في تركيا ، بغداد بيت الحكمة ، 2002 ، ص5 والصفحات التالية .

47- AQLAM ONLINE – COM

48 – ادريس يووانو ، المصدر السابق ، ص 1

49 – طارق عبد الجليل السيد ، المصدر السابق ، ص 50 .

50 – اندرو فنكل ونوكهت سيرمان ، المصدر السابق ، ص 338 .

51 – محمد الفاتح ، مدخل الى فهم الحركة الاسلامية في تركيا ، ص3 نقلا عن :

WWW . ALAZRAR . NET

52 – ديفيد مكدول ، المصدر السابق ، ص ص 304 – 306 .

53 – محمد الفاتح ، المصدر السابق ، ص3

54 – ديفيد مكدول ، المصدر السابق ، ص307

55 – المصدر نفسه ، ص 308

56 – الطريقة النقشبندية : تأسست في بخاربعلى يد محمد بهاء الدين النقشبندي 1317 – 1389 هج وحمل الطريقة عنه الى الاناضول احد اتباعه وهو عبد الله السماوي في اواخر القرن الخامس عشر الميلادي لتنتشر في انحاء تركيا ، الا انها ارتبطت في تركيا بأسم الشيخ محمد اسعد الاردبيلي . يراجع : ابراهيم خليل احمد واخرون ، المصدر السلبق ، ص 91

57- فيروز احمد ، المصدر السابق ، ص139

58- بديع الزمان سعيد النورسي ، ولد بقرية نورس التابعة لناحية اسبارط قضاء هيزان شرق تركيا عام 1876 وتوفي عام 1960 ، وكان من مؤيدي حركة الاتحاد والترقي ، كما ايد المقاومة التي قادها مصطفى كمال ، وقد ابعد الى اسبارط عام 1909 وسجن عام 1925 . ويعد النورسي رجل فكر وحركة ، امن بالجامعة الاسلامية . لاقى تعاونا من الحزب الديمقراطي . يراجع : سعيد النورسي ، سيرة ذاتية ، ترجمة احسان قاسم الصالحي ، القاهرة ، دار سوزلر للنشر ، 1998 ، ص 60

59- المصدر نفسه ، ص 62

60- حنا عزو بهنان ، التطورات السياسية في تركيا 1919 – 1923 ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الاداب ، جامعة بغداد ، 1989 ، ص ص 65 – 66

61- اورخان محمد علي ، سعيد النورسي رجل القدر في حياة امة ، اسطنبول ، دار شل للطباعة ، 1995 ، ص 44

62- بديع الزمان سعيد النورسي ، الملاحق ، ترجمة احسان قاسم الصالحي ، القاهرة ، دار سوزلرللنشر ، 1992 ، ص ص 7 – 8

63- خورشيد دلي ، الاحزاب الاسلامية في تركيا ، ص1 ، نقلا عن :

www . al-eman- com

64- ديفيد مكدول ، المصدر السابق ، ص 330

65- المصدر نفسه ، ص 592

66- الصفصافي احمد المرسي ، الدين والسياسة في تركيا الحديثة والمعاصرة ، كلية الاداب ، جامعة عين شمس ، 1987 ، ص 205 .

67- طارق عبد الجليل السيد ، المصدر السابق ، ص ص 51 ، 52

68 – عبد الجبار قادر غفور ، الديانة والطرق الصوفية ، ص 93

69- المصدر نفسه ، ص 95

70- Necip Fazil, kisakurekkk, Son Devrin Din Mazlumlar: (Istanbul -1969)p.211

71- أطلق سراح جماعة النور بعد وصول الحزب الديمقراطي إلى السلطة سنة 1950 ومنهم النورسي الذي اصبح يتجول في سيارة أعطيت له من الحكومة . ينظر:

Golpinarli .op.cit .p .228:

72- Ibid.p.147

73- سليمان ،المصدر السابق ، ص ص83 - 67

74- جورج لنشو فسكي ، الشرق الأوسط في الشؤون العالمية ، ترجمة جعفر خياط ، بغداد ، 1964 ، ص210

75- Binnez Toprak, Islam and Political Development in Turky , .Leiden, 1981, P.79

76- خليل علي حيدر، الاسلاميون في تركيا، ص2، نقلاً عن:

Islam Onlin.net

77- أدريس بووانو، المصدر السابق، ص9.

78- ابراهيم الداقوقي، فلسطين والصهيونية في وسائل الاعلام التركية، بغداد، 1987، ص78.

79- أبراهيم خليل احمد وآخرون، المصدر السابق، ص93.

80- ديفيد مكدويل، المصدر السابق، ص592.

81- ادريس بووانو، المصدر السابق، ص9.

82- محسن حمزة حسن العبيدي، التطورات السياسية الداخلية في تركيا 1946-1960، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الاداب، جامعة الموصل، 1989، ص85.

83- مركز المعلومات، الانتخابات التركية تحول تأريخي، العدد 600، 15 تشرين الثاني، 2002.

84- مصطفى الزين، أتاتورك وخلفاؤه، بيروت، 1982، ص266.

85- نوزات صواش، المعرفة ، 2004/10/3، www.aljazeera.net.

86- محسن حمزة العبيدي، المصدر السابق، ص92.

87- كريم محمد حمزة ودهام محمد الجبوري، المصدر السابق، ص39.

88- طارق عبد الجليل، المصدر السابق، ص70.

89- نوزات صواش، المصدر السابق، ص2.

90- ادريس يووانو، المصدر السابق، ص4.

91- خورشيد دلي، المصدر السابق، ص3.

92- جراهام فولر، المصدر السابق، ص9.

93- فيروز احمد، المصدر السابق، ص247.

94- احمد نوري النعيمي، ظاهرة التعدد الحزبي في تركيا، 1945-1980، بغداد، 1989، ص122.

95- المركز السياسي للدراسات والاستشارات، تركيا الهوية وصراع الخيارات ، لندن، 10 آب ،2002، ص2.

96- سيار كوكب.الجميل ، العرب والاتراك الانبعاث والتحديث من العثمنة الى العلمنة، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية ، 1997، ص198.

المبحث الخامس :

معاهدة

لوزان

في الميزان

المقدمة

تعد معاهدة لوزان لعام 1923 من اهم المعاهدات في التاريخ التركي المعاصر ، وفي الاهمية نفسها للدول الكبرى في ذلك الوقت .

تلك المعاهدة تعد الوثيقة الاولى في الاعتراف الدولي بحكومة انقرة (حركة التحرير الوطنية التركية او حكومة مصطفى كمال) ، وهذا بحد ذاته انتصار كبير لمصطفى كمال ومجموعته ، وانهيار كامل لحكومة استانبول العثمانية او حكومة الخلافة .

هذه المعاهدة ، بعد تحرير التراب التركي من قوى الاحتلال الاجنبي ، هي الانطلاقة الكبيرة للدولة التركية الجديدة تجاه العالم ، لاسيما العالم الغربي ، فمن خلال هذه المعاهدة تم تسوية المسائل العالقة بين تركيا وريثة الدولة العثمانية ، والدول الغربية وروسيا حول نظام المرور في المضائق ، والديون العثمانية ، ونظام الامتيازات العثمانية . وبذلك كانت الدول الغربية التي تركت الدولة العثمانية تسقط ، غيرت ولائها للدولة الجديدة وفق مصالحها الستراتيجية في منطقة الشرق الاوسط .

ركزت في الصفحات التالية على مسألة المضائق من خلال معاهدة لوزان لأنها كانت المسألة المحورية في المعاهدة ، لأهمية المضائق (البسفور والدردنيل) في السياسة الدولية .

تاريخ المضائق التركية طويل ، وعليه دراسات اكاديمية متعددة ، ونحن درسنا الموضوع من خلال المعاهدة فقط لأهمية المضائق والمعاهدة معا ، وهي معلومات عن نقاشات واراء داخل اروقة المؤتمر ، والنتائج التي تمخضت عنه .

اعتمدنا على مصادر متعددة مثبتة في الهوامش ، ونعتقد ان المعاهدة تستحق دراسات اكاديمية تسلط الاضواء على اهداف ورؤى الدول المشاركة فيه في وقت كان العالم يعيش اجواء حساسة بعد نهاية الحرب العالمية الاولى .

نرجو ان نكون قد اضفنا للمكتبة العربية ما يفيد الباحثين عن حقائق تاريخية ، والله من وراء القصد .

مدخل

كانت الانتصارات المتسارعة التي حققتها القوات التركية بقيادة مصطفى كمال ، وتراجع الوجود اليوناني في تركيا ، وتقارب بريطانيا وحكومة انقرة من خلال معاهدة مودانيا ، افرز وضعاً جديداً في المنطقة، ودفع هذا الوضع دول الحلفاء إلى التشاور والترتيب لعقد مؤتمر جديد لبحث المسألة الشرقية[1] بكل تعقيداتها ، ليس لمجرد إيجاد حلول أو تسوية للحرب اليونانية التركية[2] ، بل لنشر السلام في المناطق غير التركية التي شكلت سابقاً الدولة العثمانية ، وإقامة نظام جديد لإدارة المضائق فضلاً عن اعادة النظر في نظام الامتيازات. وهذا يعني بان المؤتمر عد اجتماعاً من اجل اعادة صياغة معاهدة سيفر التي مزقها الوطنيون الأتراك[3] .

بدأ اللورد كيرزون جل اهتمامه في بناء جبهة غربية وموحدة لمواجهة متطلبات المرحلة الجديدة لسياسة دول الحلفاء . تكون بريطانيا الاساس فيه ،وكانت الاستعدادات البريطانية لعقد المؤتمر مبكرة ، واقترح على إيطاليا وفرنسا عقد ذلك المؤتمر في مدينة لوزان بسويسرا. وجاء اختيار لوزان كونها محايدة ، وتتمتع بوسائل مواصلات جيدة مع استانبول، ورغم أن الأتراك أرادوا عقد المؤتمر في مدينة أزمير التركية لاستقلالها كورقة ضغط إضافية للتأثير على موقف بريطانيا، إلا أن الإقتراح التركي جوبه بالرفض الشديد من كيرزون[4] إذ كانت دول الحلفاء تسعى بكل جهدها لعقد هذا المؤتمر وفي مقدمتها بريطانيا التي دفعتها عدة عوامل لذلك ، أهمها ، تكبدها خسائر كبرى في سياساتها تجاه تركيا التي صاغها لويد جورج ، الذي اضطر إلى ترك المسرح السياسي وإلى الأبد في هذه الآونة ، وقد كتب معلقاً على الوضع بقوله ((من سيفر إلى مودانيا كان تراجعاً ومن مودانيا إلى لوزان كان هدنة)) كما أن حلفاء بريطانيا، لم يكونوا في حال افضل منها ففرنسا كانت منهمكة بالشؤون الألمانية[5]. وإيطاليا لم تكن خصما للأتراك ، بل كانت تشكو أزمة سياسة داخلية حادة بسبب استيلاء الفاشيين على مقاليد السلطة في البلاد، فضلاً عن تزايد للضغط الشعبي

داخل بريطانيا نفسها والمطالبة بضرورة عودة الجنود البريطانيين إلى ديارهم[6].

كان الاتراك يدركون صعوبة ظروفهم رغم ثقتهم بأنفسهم . لأن تركيا كانت تشكو من نتائج الحروب المستمرة منذ عام 1911 , التي خلقت تخلفاً كبيراً في النواحي الاجتماعية والسياسية والاقتصادية ، لهذا توجب على الأتراك توطيد مركز قرارهم ، ذلك لتقوية موقفهم تجاه دول الحلفاء ، فقد كانت هناك حكومتان . إحداهما في أنقره والأخرى في استانبول ، لهذا اصر كيرزون على دعوة كل من حكومتي أنقره واستانبول إلى المؤتمر، وأيدته في ذلك فرنسا وكان هدفها واضحاً من وراء ذلك هو اضعاف موقف الوفد التركي في المفاوضات ، وفعلاً وجهت الدعوة رسمياً إلى حكومتي استانبول الشرعية، وانقرة الوطنية ، ولهذا اتخذ مصطفى كمال قرار بفصل السلطة عن الخلافة[7]. وبهذا نجد أن مؤتمر الصلح الذي انعقد في لوزان ما بين كل من دول الحلفاء وتركيا لم يمثل الأخيرة إلا وفد حكومة انقرة الوطنية، وكان عصمت اينونو[8] على رأس هذا الوفد الذي تمسك بمبادئ الميثاق الوطني بالرغم من المناورات البريطانية أثناء جلسات المؤتمر[9].

مناقشات مؤتمر لوزان

أرسلت دعوات إلى كل من تركيا ودول الحلفاء للحضور إلى مؤتمر لوزان في 17 تشرين الاول عام 1922 [10] فرأس الوفد التركي عصمت اينونو كما ذكر سابقاً ، أما دول الحلفاء فقد مثلتهم وفود من بريطانيا وفرنسا وإيطاليا واليابان ورومانيا ويوغسلافيا ، وقد حضرت الولايات المتحدة الأمريكية المؤتمر بصفة مراقب لأنها لم تكن في حالة حرب مع تركيا، في حين دُعيت كل من بلغاريا والإتحاد السوفيتي للمشاركة في مناقشة قضية المضائق فقط[11]. قسمت أعمال المؤتمر على ثلاث لجان، اختصت اللجنة الأولى بالقضايا العسكرية والحدود والاقليات والمضائق[12]. وترأس هذه

اللجنة اللورد كيرزون ، أما اللجنة الثانية فبحثت القضايا المالية والاقتصادية والامتيازات الأجنبية وترأس هذه اللجنة كاميل باريبه (Camille Barrere) أحد كبار موظفي الخارجية الفرنسية ورئيس وفد بلاده في المؤتمر، واللجنة الثالثة بحثت وضع الأجانب في تركيا فأعطيت مسؤوليتها إلى كاميلو غاروني (Camillo Garroni) مستشار وزارة الخارجية الايطالية ورئيس الوفد الايطالي[13].

مسألة المضائق كانت ابرز مسألة دولية عرضت في مؤتمر لوزان بسبب سيطرة دول الحلفاء على تلك المنطقة الهامة والحساسة في العلاقات الدولية على أثر اندحار الدولة العثمانية في الحرب العالمية الاولى ، وتطلعت بريطانيا بعد انهيار روسيا القيصرية إلى الهيمنة عليها، الا ان انبعاث تركيا الجديدة عام 1922 وعودة روسيا السوفيتية إلى مسرح الاحداث من جديد اعاد الصراع القديم بين الروس والبريطانيين حول المضائق[14].

المساومة البريطانية ـ السوفيتية ـ التركية بشأن المضائق في مؤتمر لوزان

دعي إلى مؤتمر لوزان اكثر من عشرة دول[15] إلا أن مسألة المضائق كانت محصورة بين ثلاثة دول وهي بريطانيا، الإتحاد السوفيتي وتركيا بوصفها صاحبة الشأن، لأن الإتحاد السوفيتي أراد جعل البحر الأسود بحيرة مغلقة وتركيا أرادت استعادة سيطرتها على المضائق، اما بالنسبة لبريطانيا أرادت السيطرة على المضائق من ناحية وعدم تمكين الإتحاد السوفيتي من المضائق من ناحية أخرى، فدارت المباحثات على هذا الأساس. وبالنسبة لباقي دول الحلفاء فكانت آراؤهم مشابهة لآراء بريطانيا المتمثلة في تزعم بريطانيا الموقف من خلال وضع اسس جديدة للمرور عبر المضائق. وقد عرضت في المؤتمر ثلاث مقترحات تتعلق بالمضائق وهي:

المقترح البريطاني القاضي بأبقاء المضائق تحت إدارة دولية تعطي موقع الصدارة للأسطول البريطاني في المنطقة.

المقترح السوفيتي الذي أكد على السيادة التركية بأغلاق المضائق أمام السفن الحربية[16].

المقترح التركي طرحه عصمت اينونو بعد وصول الوفد السوفيتي إلى لوزان برئاسة تشيتيرن وزير الخارجية ومعه الوفد من أوكرانيا وجورجيا، إذ أكد عصمت في مقترحه على ضرورة تقييد فتح المضائق. واقتراح هذا الوفد تم تطابق الاراء التركية والسوفيتية بشأن المضائق لأجل ضمان أمن البحر الأسود والإتحاد السوفيتي. أما بالنسبة لرغبة بريطانيا في السيطرة على المضائق فأوضح عصمت اينونو أنه سيقوم بإحباط حسابات بريطانيا بهذا الخصوص معززاً الحكم التركي المطلق في المضائق[17].

أصبح موضوع المضائق مفتاح المباحثات عند افتتاح المؤتمر في 20 تشرين الثاني عام 1922 . وبهذا فإن نظام المضائق خلق خصومة بين الإتحاد السوفيتي وبريطانيا أكثر من تركيا. وقد أصبحت المباحثات مملة بحساب المنافع بين بريطانيا والإتحاد السوفيتي في المباحثات المتعلقة بالمضائق. اما الوفد التركي فقد استثمر الصراع السوفيتي البريطاني حول المضائق لصالحه من خلال استخدام السوفيت ورقة ضغط على بريطانيا، وحينئذ اشار عصمت اينونو إلى ان بلاده مستعدة للموافقة على أي قرار تتضمنه اتفاقيات عامة لضمان بقاء المضائق مفتوحة امام الملاحة والتجارة الدولية[18].

وفي 4 كانون الأول للعام نفسه بدأت المباحثات الاولى في مسألة المضائق. إذ أوضح لينين[19] بحديثه لمراسلي جريدتي (Manchester Guardian) مانشستر كورداين و(Obseruer) أوبسيرفر البريطانيتين

بشأن قضية المضائق التركية قائلاً: (إن الأسس التي اعتمدناها المرتبطة بالمضائق هي:

أولاً: تحقيق الرغبات الشعبية التركية.

ثانياً: إن نظامنا يعتمد على أساس أن تكون المضائق مغلقة بوجه جميع السفن الحربية في السلم والحرب. ولكن هذا ليس للدول التي تكون أراضيها ملتصقة بالمضائق والدول التي تكون مصالحها قريبة ومباشرة منها.

ثالثاً: ان نظامنا المرتبط بالمضائق يمنح حرية تامة للأساطيل البحرية التجارية، كأسطول بريطانيا القوي في البحر الأسود)[20].

وقد أجرى عصمت اينونو توضيحاً متعلقاً بمسألة المضائق على النحو التالي: ((يجب أن يسود الأمان في منطقة بحر مرمره واستانبول بوصفها عاصمة تركيا، وحمايتها من أي نوع من التجاوزات. وبعد قبول هذا الأساس فإن الحكومة التركية جاهزة للتجارة العالمية عبر المضائق بين تركيا من طرف وباقي الدول ذات العلاقة من طرف آخر، وقبول أي نوع من التجارة سيتحقق بشكل مشترك بخصوص تأمين فتح التواصل الدولي)). وبعد هذا التوضيح وحول سؤال كيرزون الملح عن أفكار الوفد التركي حول حركة السفن الحربية في المضائق، أكد عصمت اينونو أن افكار السوفيت حول الموضوع مبكرة جداً ولا يمكن اتخإذ قرار حولها[21].

ولأجل قبول الأفكار التركية حول المضائق في مؤتمر لوزان، أصبح الاتفاق مع السوفيت أمراً لا بد منه، إذ رفض كل من الأتراك والسوفيت في وقت واحد سياسة الدول الغربية التي تقضي بتدويل المضائق وتجريد المنطقة من القوة العسكرية وقد خشي السوفيت من أن ذلك قد يؤدي إلى تكرار أحداث عام 1918 وعام 1920 عندما قصفت قوات التحالف موانئ البحر الأسود بالقذائف وكذلك فقد توقعوا من أن فتح المضائق سيتضمن اتخإذ احتياطات عسكرية وبحرية باهضة الثمن في البحر الأسود. أما عصمت اينونو وبعثته فقد كانت لهم مصالح أكثر آنية ولم يرغبوا في دفع المسألة إلى أكثر من ذلك[22]، وأثناء جلسات المؤتمر التي كرست لمسألة

المضائق أكد تشيشرن على ضرورة منع مرور السفن الحربية في المضائق وبعد ذلك طلب استعادة كاملة للسيادة التركية على البوسفور والدردنيل وحق غير مقيد لتحصين شواطئها[23].

إن بسط تركيا لنفوذها بالمعنى التام على المضائق كان الغرض الأكبر للوفد التركي ولكن بريطانيا التي وضعت أسس المؤتمر لم تقبل بذلك، وسعت من أجل تعطيل مساعي السلام وعرقلتها إذ بداية كان عليها أن لا تقدم تنازلات في موضوع المضائق والموصل، لأن في حرية المرور في المضائق بشكل تام مفيد بشكل كبير لبريطانيا كونها صاحبة أحد أقوى الأساطيل في ذلك الوقت وسيأمن مرور الأساطيل البريطانية من المضائق بحرية تامة وتكثيف قوتها في الشرق الأوسط وبالنتيجة سيعزز قوتها الكبرى في البحر الأسود. وفي نهاية المؤتمر استطاعت بريطانيا أن تحقق مبتغاها الذي سعت إليه مقابل الإتحاد السوفيتي الذي انضم للمباحثات بعد محاولات طويلة مع الوفد التركي , التي لا تعد صاحبة تجربة كاملة في المجال الدبلوماسي. وأوضح الدكتور رضا نور[24] أحد أعضاء الوفد التركي ((إذ بذل السوفيت الجهود مع تركيا لأجل منافعها الذاتية بدلاً من بذل الجهود مع بريطانيا لأجل تأمين منافع تركيا)). وعندما ذكر بقاء السوفيت عاجزين بمقابل قوة بريطانيا في مذكرات الدكتور رضا نور شكك بقدرات المبعوث السوفيتي تشيشرين الدبلوماسية[25] وكان سبب موافقة عصمت اينونو على انضمام السوفيت إلى جانبهم في المباحثات لأنه أراد انضمام دولة عظمى إلى جانب تركيا في مباحثات المضائق لديها ثقلها أمام الدول الاخرى التي دعيت إلى مؤتمر لوزان فما بين مؤيد ومعارض من الوفد التركي لانضمام السوفيت إلى جانب تركيا في مباحثات المضائق استمرت التشاحنات السياسية. والدليل على هذا ان عصمت اينونو رفض دعوة كيرزون الملحة بالتحدث أولاً في جلسة اللجنة الأولى من لجان المؤتمر التي افتتحت اعمالها في 4 كانون الاول عام 1922 الخاصة بمناقشة قضية المضائق، لذا كان البيان الافتتاحي من نصيب تشيشرين الذي قدم مطالب الحكومة السوفيتية في المؤتمر التي تمثلت بالاتي:

أولاً: مسألة الدعوة لمؤتمر لوزان التي أثارت انتقاد السوفيت. إذ أوضح تشيشرين عدم استحقاق السوفيت لهذه المعاملة , الذي يأتي مخالفاً لمبدأ المساواة.

ثانياً: قضية نظام المرور في المضائق وتحدث عن ضرورة المرور بحرية تامة من المضائق لأهداف سلمية وعدم مرور السفن الحربية من المضائق فقط تستثنى من ذلك السفن الحربية التركية.

ثالثاً: الموضوع المتعلق بحدوث المشاكل التي ستظهر عند مرور السفن الحربية من المضائق بحرية تامة. وبخصوص هذا الموضوع لمح تشيشرين الذي تحدث عن بقاء تركيا تحت شروط صارمة جداً عن اخطاء نزع السلاح في المضائق من قبل تركيا.

رابعاً: تتعلق هذه النقطة بتأثيرات الدول المطلة على المضائق التركية.

خامساً: مكانة المضائق في الاقتصاد السوفيتي(26).

إن تصرف تشيشرن هذا اثار ارتياح عصمت للافكار السوفيتية، هذا الارتياح الذي اثار غضب كيرزون حتى انه عبر عن ردة فعله قائلاً: (انا لحد الآن لم التق بكم إلا على الورق. وأنا اقترح أن نلتقي فعلياً. وأنه لشيء محير رؤية المبعوثين الروسي وأوكرانيا وجورجيا وكذلك المبعوث التركي مدافعين عن تركيا)(27).

سرعان ما تحولت جلسات المؤتمر إلى سجال في الكلام بين تشيشرين واللورد كيرزون الذي كان مصراً على فتح الممرات المائية التركية امام الملاحة الدولية بما في ذلك الحربية منها، وازالة تحصيناتها. وكان تشيشرين شديداً في مواجهة اللورد كيرزون وعارفاً مإذا تعني حرية الملاحة في المضائق وعن الحرب الأهلية 1918-1920 عندما قدمت بريطانيا من خلال المضائق التركية المساندة للروس السوفيت قائلاً: (نحن لا نريد أن تبقى مدننا على البحر الأسود عرضه لتهديد القنابل البحرية البريطانية)(28). وأدرك تشيشرين أن تجريد سلاح المضائق لا يضر

بالمصالح التركية فحسب بل بمصالح جميع الدول المطلة على البحر الأسود وأضاف قائلاً: ((إن البحر الأسود بحر داخلي مغلق وليس طريقاً للمرور))، وأضاف: ((لماذا كانت القوى العظمى التي أمطرت المدن الروسية غير المحصنة بالقنابل، والتي ساعدت اليونانيين في اجتياح الجزء الآسيوي من تركيا تواقة إلى عدم منع مرور سفنها إلى هذا الممر المائي الداخلي ؟ أكان هنالك أمل في إنعاش حوادث القرصنة المشؤومة ضد الأرض الروسية في ظروف أكثر ملائمة))[29]، ثم خاطب عصمت أينونو محذراً إياه: ((إن السماح للسفن الحربية بالمرور من خلال المضائق هو عمل معاد لروسيا السوفيتية ، وإن دول الحلفاء تجرد تركيا من ثمار انتصارها)). وإن دفاع تشيشرين المستميت عن المضائق التركية دفع كيرزون إلى القول: ((ان تشيشرين أخطأ دوره فلبس قلباخ عصمت باشا))[30]. إلا أن عصمت أينونو قد انتبه إلى أن الدور الرئيسي في هذا المؤتمر لكيرزون رغم مساندة السوفيت له فتنبه اينونو إلى أن مصلحة تركيا في هذه المدة تندرج ضمن نطاق السياسة البريطانية، لهذا عمل على التقرب من اللورد كيرزون في المؤتمر من خلال الاراء ، من أجل الحصول على أكبر مكاسب لتحقيق سيادة تركيا واستقلال مضائقها وكان موقف كيرزون انه انتبه لتصرف اينونو فوجه له سؤالاً ما إذا كانت وجهة نظره مطابقة لآراء المندوب السوفيتي. فكانت إجابة اينونو التي تدل على حكمة سياسية بـ أنه لن يعطي إجابة واضحة لأنه أراد سماع وجهات النظر الأخرى في المؤتمر وبهذا استطاع كيرزون أن يزلزل الثقة التي بنيت ما بين الأتراك والسوفيت وأن يحرك أحدهما ضد الآخر، ولم يكتفِ كيرزون بذلك بل أشار إلى عصمت محذراً إياه ويعده في الوقت نفسه بأن مستقبل تركيا سيكون مع الغرب وليس إلى جانب البلاشفة الروس[31]. ونجح اينونو في استثمار التناقض البريطاني السوفيتي لصالح قضية بلاده ، لذا التزم الصمت في السجال الذي وقع في جلسة يوم 6 كانون الاول عام 1922 بين كيرزون وتشيشرين وطلب اينونو تأجيل كلامه إلى جلسة أخرى وأدرك عصمت ان التزمت الذي رافق مواقف المندوب البريطاني كان موجهاً ضد

المصالح السوفيتية في المقام الأول وليس ضد المصالح التركية . وذلك ان الحرب العالمية الاولى في روسيا وما أعقبها من أحداث ثورة عام 1917 قلبت استراتيجية القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين البريطانية الرامية إلى عدم السماح للأسطول الروسي من الخروج من البحر الأسود عبر الممرات المائية التركية، لذا فإن السماح لمرور السفن الحربية من خلالها إلى البحر الأسود يعني توفير الملاذ الآمن للأسطول السوفيتي حتى ينهض من ثورة عام 1917 وتحويل البحر الأسود إلى بحيرة سوفيتية وإعطاء تركيا دور حراسة بوابته[32].

بعد هذا التقييم أوضح كيرزون خطة دول الحلفاء المتعلقة بالمضائق وفي هذه الخطة التي تحدث فيها عن المرور بحرية تامة وتحت أي ظرف أعطي الحق للجانب التركي في حالة كونه طرفاً محايداً إمكانية تحديد المرور في المضائق ، وفي 8 كانون الاول عام 1922 اوضح الوفد التركي رأيه المتعلق بالمضائق. وبدوره تحدث الأتراك عن امكانية قبول قانون يناسب اراء دول الحلفاء في حال زوال العقبات المتعلقة بتأمين المناطق المجاورة للمضائق والتكفل من الناحية الامنية[33]. وإن رفض كيرزون للمشروع السوفيتي المقدم من قبل تشيشرين في جلسة 18 كانون الأول عام 1922 الهادف إلى تأمين المبادئ التالية: أولها المساواة في حقوق الاشتراك في مناقشة المشاكل وتسويتها لكل أصدقاء الإتحاد السوفيتي، وثانيها تأمين سلامة الأرض السوفيتية وحلفائها وحرية علاقاتها الدبلوماسية مع الدول الاخرى ، والمبدأ الاخر الاعتراف بان البحر الأسود بحراً داخلياً مغلقاً تخص شؤونه فقط الدول المطلة عليه، دفع تشيشرين في 30 من الشهر ذاته إلى شجب معاهدة سيفر مع الدولة العثمانية، وسياسة دول الحلفاء أزاء تركيا في بلاغ مطول عن السياسة السوفيتية ونظرتها للمسألة الشرقية قائلاً: ((ان عقد الصلح مع تركيا يمكن ان يكون حقيقة واقعه في اقرب وقت، لو تخلى الوفاق الودي عن فكرة أن الشعب التركي

غير مؤهل لأن يحكم نفسه وهو ملزم لان يخضع لوصاية الدول الامبريالية)). وطلب في بلاغة من المؤتمرين أن يعترفوا بحقوق تركيا في التصرف بمؤسساتها الاقتصادية والقضائية والمالية واحتج ضد الحل الوحيد الجانب لمسألة المضائق[34].

وبذلك أرسل تشيشرين آخر حجة لديه في دفاعه عن قضية حاسمة إلا وهي استمرار الصداقة السوفيتية- التركية الواهية الجذور قبل أن يقفل راجعاً إلى بلاده خالي الوفاض بعد خذلان عصمت له في عدم اعتراضه على المشروع البريطاني الخاص بالمضائق قبل تحويله إلى لجنة الخبراء التي لا يحق لتشيشرين حضور جلساتها. وعبر الدكتور رضا نور عن ان توصل الوفد التركي إلى اتفاق مع البريطانيين كان سببه السوفيت وقد قدم بأمثلة ملفته للنظر تتعلق بمدى تقلب سلوك الوفد التركي في مؤتمر لوزان ، وخلال المباحثات المتعلقة بقضية الموصل اوضح رضا نور وخاصة لكيرزون بأن تكون السياسة البريطانية على اساس صداقتهم مع السوفيت ، وبأن السوفيت في الحقيقة هم عدو الأتراك الطبيعيين وأيضاً ضرورة ديمومة صداقة الأتراك مع البريطانيين في كل زمن[35]. أما بالنسبة لعصمت اينونو أوضح السبب التالي جاعلاً إياه السبب في تقلب سياسة تركيا في لوزان ((في البدء ووصولاً لاتفاق معقول في المؤتمر وبحل جميع مسائل الوفاق الودي وبحيادية عنهم، أنا أعقب حول سياسة الصراع مع البريطانيين فقط . لأنه خلال فترة المؤتمر كان الوفاق الودي عدا بريطانيا يريدون الاستفادة من خلال صلتهم بي لأجل جعل تركيا تقبل دعواتهم الذاتية وحسب الانطباع الذي تكون لدي فإن إعطاء كل تركيا مرة واحدة لأجل التصرف بشكل مناسب مع احدى هذه الدول ولإرضاء الكل كلاً على حده لن يكون كافياً. وبعد الوصول إلى هذه القناعة بدأت التفكير بطبيعة المهمة بشكل آخر. وفي النهاية صممت على اتباع سياسة جديدة[36].
والذي رايته من أجل الصلح يجب التفاهم مع البريطانيين أولاً إذ إن العامل المهم في دعم الوفد التركي لشروط الحل البريطاني هو قوة السوفيت التي اشتدت بسرعة وفي الوقت نفسه قدم البريطانيين ضمان تأمين الأتراك

مقابل القوة السوفيتية لأن تركيا شعرت بالقلق من احتمالية أن تجد نفسها وجهاً لوجه مع الأسطول السوفيتي في البحر الأسود في حالة منع الأتراك دخول السفن الحربية التابعة للدول الأخرى للمضائق إذ إن البحر الأسود إذا أصبح بحيرة سوفيتية فان الأسطول السوفيتي سيتمكن من جعل المضائق تحت سيطرته لهذا فكرت الحكومة التركية بإمكانية صنع هذا الوضع بدولة أوربية قوية ستحافظ على توازن القوى في البحر الأسود[37]. فكانت ردة فعل السوفيت أن أصبحوا قلقين امام هذا التقارب التركي البريطاني وأسرع الإتحاد السوفيتي إلى المحادثة مع الدبلوماسيين الأتراك إذ قدم الوفد التركي مختلف المشاريع التي تتجه لجعل المضائق مغلقة أمام السفن الحربية، ودارت مناقشات بين اينونو وتشيشرين بخصوص هذا الموضوع فتحدث عصمت اينونو لتشيشرين حول عقد مؤتمر لوزان وسبب سياسة تركيا فيه قائلاً: ((نحن جئنا إلى هنا بالحرب في هذا الوقت، وجيشنا في صراع مع الجيش البريطاني في الحدود، إذ تقرر في هدنة مودانيا تواجد الجيش وجهاً لوجه وعدم التحرك في أول المؤتمر، وسيتحركون بعد انتهاء المؤتمر، غداً انا سأرفض كل الذي قلته في المؤتمر بخصوص المضائق وفي اليوم التالي تبدأ الحرب هل أنت جاهز لذلك؟ وفي الحال اجاب تشيشرين عليه قائلاً: أنت تأتي إلى موسكو وسوف نسوي الأمر)). فكان رد عصمت اينونو : سيد تشيشرين اسمعني أنا سأفجر الحرب بعدها سنلتقي في موسكو. فأجاب تشيشرين الآن نحن نلتقي[38] فعمل عصمت اينونو على توضيح الوضع لتشيشرين بصراحة إذا ما قامت الحرب قائلاً: أنا سأفجر الحرب ثم سنلتقي وهذا غير ممكن، لأنكم غير جاهزين انتم اخذتم كل شيء بعين الاعتبار لأجل القيام بالصلح ونحن أيضاً قررنا القيام بالصلح أما بالنسبة لمسألة المضائق فنحن ليست لدينا اليوم نية في خوض الحرب لأجل قضية ستحل مع الزمن. ولهذا أنا لا اقوم بالانتقاء في مسألة المضائق. وأنهى عصمت حديثه بقوله ((نحن سنبقى اصدقاء ولكون الصلة بيننا جيدة ومطمئنة فإذا كانت المضائق مفتوحة فليس من الممكن ان يتركونا خلفهم ويقوموا بإجراء عسكري ضد روسيا السوفيتية فالمسألة مرتبطة بأمن واستمرار العلاقة بيننا. وهذه قناعتي ونحن سنتبع هذه السياسة وسنطبقها))[39].

فبهذا أوضح عصمت اينونو عدم امكانية تركيا بالاطمئنان لسياسة السوفيت إذ إن التأييد الذي منحه الإتحاد السوفيتي لتركيا في مؤتمر لوزان، كلام فقط، والجانب التركي يرغب بتأييد واقعي والمسؤولون السوفيت لم يقبلوا بذلك.

وخلال هذه المناقشات التي دارت حول المضائق يمكن للمراقب لهذه أن يرى بوضوح التطور والتبدل الجذري في مواقف كل من الإتحاد السوفيتي وبريطانيا من هذه القضية ، لأن الإتحاد السوفيتي الذي كانت سيادته طوال القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين ترمي إلى فتح المضائق واطلاق حرية الملاحة فيها، نراه في مؤتمر لوزان يدعو إلى اغلاق المضائق والعودة إلى نظام عام 1841 ، أما بريطانيا التي كانت سياستها طوال القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين ترمي إلى إغلاق المضائق والتمسك بنظام عام 1841، فأنها في مؤتمر لوزان اخذت تدعو إلى اطلاق حرية المرور في المضائق[40].

حدوث هذا التطور في الأحداث سببه السياسة السوفيتية في اسيا حيث ان معاهدات الصداقة التي عقدها الإتحاد السوفيتي مع تركيا وإيران وأفغانستان[41] أقلقت الساسة البريطانيين مما دفع بهم إلى انتهاج سياستهم الجديدة حيال المضائق للضغط على الإتحاد السوفيتي من أجل تغيير سياسته في آسيا. والسؤال الذي يطرح نفسه، ما هو موقف دول الحلفاء من وجهتي النظر البريطانية والسوفيتية ؟ والجواب: لقد ساندت كل من إيطاليا وفرنسا بريطانيا، لذلك رجحت وجهة النظر البريطانية وأقر المؤتمرون مبدأ إعلان حرية الملاحة في المضائق[42].

وفي 31 كانون الثاني عام 1923 قدمت لجنة الخبراء التي ألفها كيرزون لدراسة أوضاع المضائق والتي لم يكن للسوفيت أية مشاركة فيها، مشروع ميثاق المضائق على وفق الخطوط التي وضعها وهي ملائمة لأهداف الدول الغربية، حتى أن التوصيات السياسية المقدمة من قبل الهيئة العامة

للبحرية الأمريكية في 10 تشرين الثاني لعام 1922، لا تختلف كثيراً عن مشروع كيرزون[43]، ووافق عليه عصمت اينونو في اليوم التالي أي في الأول من شباط عام 1923. ولما قدم إلى تشيشرين أصر أن يكون التفاوض بشأنه نقطة نقطة[44]. ولما رفض كيرزون وجهة نظره رفض تشيشرين ان يكون طرفاً فيه معرباً عن رأيه بأن مشروع ميثاق المضائق هذا يعد تهديداً لأمن الإتحاد السوفيتي وسيكون من المستحيل معه تأمين وضع سلمي مستقر في الشرق الأوسط والبحر الأسود وسيؤدي الضغط على السوفيت إلى سباق تسلح يكون عائقاً أمام سلام دائم، وإذا تم الإتفاق بدون موافقة الوفد السوفيتي ستبقى مشكلة المضائق مفتوحة[45]. لاسيما بعد أن أبدى عصمت اينونو تصلباً أمام المطالب الاقتصادية الفرنسية وموضوع الإمتيازات الأجنبية[46] ومسألة الموصل[47] ولم يستجب لتهديدات كيرزون وإنهارت أعمال المؤتمر وعادت الوفود إلى بلدانها في الرابع من شهر شباط لإلتقاط الأنفاس والتهيؤ لجولة قادمة من المباحثات[48].

ميثاق المضائق

ميثاق المضائق الذي تألف من ثمان عشر نقطة يعد من اهم انجازات معاهدة لوزان، نصت المادة الأولى من الميثاق على أن الدول تعلن وتعترف بمبدأ حرية الملاحة والمرور في البحر والجو في مضيقي البوسفور والدردنيل وبحر مرمره[49]. لسفن جميع الدول في وقت السلم والحرب إذا كانت تركيا على الحياد ، أما إذا كانت تركيا طرفاً في الحرب فيحق لها منع السفن الحربية العائدة للدول المعادية. أما بقصفها بالمدافع او بزرع الألغام في المضائق ، وأما طائراتها فإنها تتمتع بحق التحليق على المضائق على مسؤوليتها وعليها أن تعلن في الوقت المناسب عن هويتها كي لا تتعرض لأخطار محققة، كما أن مصلحتها تقضي بالهبوط في

المطار الذي تعينه الحكومة التركية إذا طلبت إليها ذلك[50]. ولأجل تعميق الخلاف ما بين تركيا والإتحاد السوفيتي أعطى كيرزون لتركيا في هذا المشروع تنازلات تم اختيارها بمهارة مثل أن لا يستغرق الوقت الذي تمضيه أية سفينة لاجتياز الممرات المائية التركية ، أكثر من 24 ساعة، وحق تركيا في تحصين الساحل الجنوبي لبحر مرمره وضمان انضمامها لعصبة الأمم[51]. وفرض بعض القيود البسيطة على أساطيل الدول الغربية عند وجودها في البحر الأسود، منها مثلاً ((أن لا تتعدى قوة أقوى دولة فيه إلا وهي الإتحاد السوفيتي، وبإمكان دول الحلفاء (بريطانيا- فرنسا- إيطاليا) أن تؤمن قوة قتالية تفوق قوة الإتحاد السوفيتي بثلاث اضعاف[52].

وفي المادة الثانية نظمت قواعد المرور وملاحة السفن والطائرات التجارية والبواخر والطائرات الحربية في السلم والحرب. وتناولت المواد من 4-9 المناطق التي تجرد من السلاح المحيطة بالمضائق التي تضم جزر بحر مرمرة وشواطئ البسفور والدردنيل وجزر تينيدو سوامبروس في بحر ايجه، وهدم التحصينات والمنشآت العسكرية والقواعد الجوية القائمة بإستثناء الموجودة في استانبول. ويسمح لاستانبول بالاحتفاظ باثنتي عشر الف جندي وبدار للصناعة وقاعدة بحرية. إذا يمكن لتركيا وسائر دول البحر الأسود أن تحدد عدد السفن الحربية التي يجوز لها زيارة موانئها. فضلا على أنه يتعين على الغواصات أن تظهر كاملة على سطح الماء عند عبورها المضائق. ويحضر على السفن الحربية الوقوف في المضائق إلا إذا اضطرتها لذلك حالة البحر أو حدوث خلل طارئ للسفن[53].

وفيما يخص حياد المضائق نص الميثاق على التزام تركيا الحياد عند نشوب حرب عالمية. وامتناع الدول المتحاربة عن القيام بأي عمل عدواني في المضائق. مثل مطاردة السفن او مصادرتها. ويحق لتركيا نقل جيوشها عبر المناطق المجردة من السلاح. كما يحق لطائراتها التحليق و لسفنها الرسو فيها[54] .

وتناولت المواد 10 إلى 16 بتأليف لجنة دولية في استانبول تسمى (لجنة المضائق) في 18 كانون الاول عام 1922[55]، ويرأسها مندوب تركي ومهمتها الإشراف على تطبيق هذا الميثاق[56].

وتضم هذه اللجنة عشرة دول اعضاء فيها وهي ((بريطانيا، فرنسا، إيطاليا، اليابان، اليونان، رومانيا، روسيا، يوغسلافيا، تركيا، والولايات المتحدة الأمريكية))[57]. وكانت هذه اللجنة تتخذ من إستانبول مقراً لها وتضع تقارير سنوية بالمخالفات التي ترتكبها السفن تمهيداً لرفعها إلى مجلس عصبة الأمم، والمجلس من جهته يضمن بوضعه هيئة جماعية تطبق النظام الجديد مع امكانية تدخل أعضاء اللجنة من اجل احترام احكام الاتفاقية ، وأخيراً نصت اللجنة على إنزال الجزاء بكل سفينة مخالفة للمبادئ التي تتضمنها[58].

وفي المادة الثامنة عشر من بنود ميثاق المضائق تعهدت لجنة المضائق بمساعدة الدول المنظمة للجنة المضائق تركيا إذا تعرضت للخطر في منطقة المضائق[59].

وفي السابع من آذار لعام 1923 قدمت الحكومة التركية مقترحات جديدة لمؤتمر السلام في مذكرة سلمها إلى مندوب دول الحلفاء في 19 آذار للعام نفسه في إستانبول وزير الصحة الدكتور عدنان إديوار[60]. إذ احتوت هذه المذكرة على 100 صفحة من التعديلات على مسودة المعاهدة التي قدمت في شباط . وبعد أن درس خبراء دول الحلفاء هذه المقترحات التي تمثلت في حصول تركيا على تعديل بسيط في حدود تراقيا في مقابل تخليها عن مطالبتها بتعويضات الحرب، واصرار تركيا على إلغاء الامتيازات الاجنبية وكان رد فعل دول الحلفاء على هذا أن أكدوا على ضرورة تقديم تركيا تنازلات اقتصادية وقضائية في مقابل الاعتراف بإلغاء هذه الامتيازات،

ورغم ذلك كانت خيارات الحكومة التركية في هذه المرحلة افضل من المرحلة الأولى، نتيجة لاتصالاتهم بالحكومة البريطانية وراء الكواليس في المدة الممتدة بين انهيار المرحلة الأولى واستئناف أعمال المرحلة الثانية[61].

وسبب تأزم الوضع العام في أوربا الناجم عن الاستياء الذي أحدثه احتلال القوات الفرنسية لإقليم روهر الألماني، وقيام مصطفى كمال بجولة تظاهرية استعراضية في مناطق جنوب تركيا المتاخمة للحدود السورية والتقائه بوفد سوري جاء طالباً منه وضع مناطق شمال سوريا تحت الانتداب التركي[62]. مما أدى إلى إحراج الفرنسيين الذي لم يكن وضعهم في سوريا راسخاً، فضلاً عن قيام الكماليين بمناورة بارعة لم يكن تأثيرها واضحاً على الموقف الفرنسي فحسب بل على مواقف دول الحلفاء بما فيها الموقف البريطاني، وهي منح الأمريكي آرثر جستر[63] والكندي كلايتون امتيازاً واسعاً لبناء السكك الحديدية والموانئ واستخراج معادن من باطن الأرض في 9 نيسان عام 1923.

وعلى الرغم من أن الامتيازات لم تنفذ، إلا أن نتائجها الدبلوماسية كانت كبيرة في جعل دول الحلفاء تعيد النظر في سياساتها أزاء تركيا[64]. وبالفعل استأنف المؤتمر أعماله في نيسان بلجانه السابقة نفسها ، فاستغل الأتراك الخلافات التي ظهرت بين البريطانيين العازمين هذه المرة على الوصول بالمؤتمر إلى نهايته، والفرنسيين الذين كانوا عازمين على أبعد من ذلك ، ولم تبلغ الحكومة السوفيتية بالحضور بحجة ان قضية المضائق التركية قد حسمت في المرحلة الاولى من المؤتمر[65] وفي المرحلة الثانية من المؤتمر والأخيرة جرى التركيز على مناقشة المسائل الاقتصادية والمالية والقانونية بصفة عامة[66]، ونتيجة المناقشات توصل المؤتمرون إلى توقيع معاهدة لوزان في 24 تموز عام 1923[67].

ولقد تم في هذه المعاهدة إضافة إلى تحديد وضع المضائق دولياً، تحديد حدود تركيا الاوربية، والغاء الامتيازات الاجنبية، وتوزيع الدين العثماني العام، ونصت هذه المعاهدة على مغادرة قوات الوفاق الودي من استانبول والمضائق، وبالفعل غادرتها في 4 تشرين الاول عام 1923[68].

وعرضت معاهدة لوزان أمام المجلس الوطني الكبير في تركيا في 23 آب عام 1923، والقي فيه عصمت اينونو خطاباً مطولاً تناول فيه سير المفاوضات، والصعوبات التي اكتشفها واصفاً المعاهدة بانها ((تعد من وثائق الصلح التي تبرمها الأمم على أساس التفاهم ومفاوضة الند للند)) ، وإن تركيا الجديدة من خلال هذه المعاهدة ((قد كلفت بأمر الدفاع عن المضائق وإستانبول إلى الأبد))، واستطرد مختتماً كلامه بالقول ((إننا نضع اليوم نتائج أعمالنا وجهودنا بين أيديكم لتبدوا رأيكم في هذه النتائج والجهود. الأمة والعالم بأسره في انتظار رأيكم هذا)) ، وبالفعل عرضت المعاهدة للتصويت فصوت لصالحها (213) نائباً، في حين صوت (14) نائباً ضدها[69].

وعلى الرغم من الانجازات الذي حققه الأتراك في معاهدة لوزان ، إلا أنه رغم ذلك ، فان هذه المعاهدة فرضت على تركيا الوارثة للدولة العثمانية المنهارة شروطاً وقعها الحلفاء المنتصرون، تنص على تدويل المضائق وإبقائها خارج سيطرة الدولة التركية الجديدة وذلك بحرمانها من إنشاء أية تحكيمات عسكرية او قلاع وحصون دفاعية على جانبيهما، او نشر قوات مسلحة على سواحلها، او تمركزها على المرتفعات المحيطة بها، او تواجد قطع بحرية تابعة لمنظمة الأمم المتحدة للأشراف عليها، وظلت المضائق على حالها منذ عام 1923 وحتى عام 1936[70]عندما عقدت معاهدة جديدة بشأن المضائق هي معاهدة مونترو .

لقد كانت نتيجة معاهدة لوزان بالنسبة لتركيا عظيمة التأثير، فإذا ما توجت هدنة مودانيا انتصارات الحركة الوطنية التركية في ميادين القتال، فإن

معاهدة لوزان اعتبرت انجازاً باهراً حققه الأتراك بعد مفاوضات شاقة وطويلة اثبتوا خلالها بانهم ليسوا أسياد في ميادين الحرب فحسب بل في فن الدبلوماسية أيضاً، وتكمن أهمية معاهدة لوزان في أنها لم تكن معاهدة السلام الأولى التي جرى فيها التفاوض بحرية بين المنتصر والمغلوب فحسب بل إن أغلب موادها وضعت وفق الشروط التي حددتها الحكومة التركية في الميثاق الوطني، علاوة على اعتراف الدول الكبرى بتركيا دولة مستقلة ذات سيادة أصبحت نموذجاً تسعى إليه البلدان الاخرى في منطقة الشرق الأوسط بهدف تحقيق سيادتها الوطنية والقومية[71] .

وبهذا فقد انتهى ((القانون القديم)) لنظام المضائق مع معاهدة لوزان عام 1923 على يد حكومة تركيا الجديدة ودول الحلفاء ، ففي الوقت الذي حصلت فيه بريطانيا على نصر كبير من تأمين مرور سفنها الحربية في البحر الأسود من خلال هذه المعاهدة ، فإن الإتحاد السوفيتي كان غير راض تماماً عن هذه المعاهدة بالرغم من توقيع الإتحاد السوفيتي عليها لكنه لم يصادق على هذه المعاهدة كما أن الموقف التركي في لوزان عد حجر عثره أمام الصداقة السوفيتية التركية لمدة قصيرة.

الخاتمة

الصراع البريطاني – السوفيتي اثناء نقاشات مؤتمر لوزان كان كبيرا ، فكل دولة منهما لها مصالحها الخاصة ، واهدافها التي تطمح لتحقيقها ، وبين هذا الصراع المحتدم والكبير كان الموقف التركي الصلب الذي هدف لبناء دولة جديدة واخذ الاعتراف الدولي بها ، وسيادتها على التراب والمياه التركية .

ان هذا الصراع بين دولتين كبيرتين خدم الاتراك الجدد في بناء دولتهم الجديدة ، واصبح لديهم متسع من الافكار والرؤى للأتجاه بأتجاه مصالحهم الذاتية ، وفي الوقت ذاته كان السوفيت والبريطانيون يحاولون كسب ود الاتراك وضمهم الى جانبهم . انه صراع بين ستراتيجيتين ، الشيوعية السوفيتية والليبرالية الغربية .

كانت اهمية تركيا كبيرة لدى دول العالم الكبرى لموقعها الستراتيجي في منطقة من اهم مناطق العالم (الشرق الاوسط) ، ولذلك كل من الدول الغربية والاتحاد السوفيتي اراد استمالة الاتراك الى جانبه . كان الاتراك قد قرروا التوجه نحو الغرب بعد قراءة التاريخ العثماني والمأسي التي مرت بها الدولة العثمانية من روسيا ، كما انهم اخذوا المنهج العلماني وابتعدوا عن الاسلام وكل ماهو شرقي لأنه - حسب اعتقاد القادة الاتراك هو السبب الاساسي لمأسي العثمانيين - .

استطاع الاتراك ان يحققوا انتصارا دبلوماسيا كبيرا في هذه المعاهدة ، وحققوا مايصبون اليه من اعتراف دولي بحكومة انقرة وسحب البساط من تحت حكومة استانبول العثمانية . وكان الوفد التركي في المؤتمر الذي يترأسه عصمت اينونو وفدا متخصصا استطاع ان يستغل النقاشات بين الاطراف الدولية لصالحه وتحقيق اهداف تركيا .

ومنذ معاهدة لوزان عام 1923 بدأ عهد جديد من العلاقات الستراتيجية بين الدول الغربية وتركيا في الاصعدة كافة ، ومن خلال هذه العلاقات تطورت تركيا عسكريا واقتصاديا .

الهوامش

(1) يقصد بالمسألة الشرقية ذلك النزاع الذي اشتد بين الدول الاوربية الكبرى منذ عام 1774م حول الدولة العثمانية، اي منذ توقيع معاهدة كوجك

كينارجي في الحادي والعشرون من تموز عام 1774م، إذ وفرت بنودها لروسيا امكانات واسعة للتدخل في شؤون الدولة العثمانية حول النفوذ في تلك الدولة، وشكلت المسألة الشرقية برمتها احد فصول التأريخ الاوربي الحديث الذي انتهت جميع فعاليتها عام 1923م. لمزيد من التفاصيل ينظر هاشم صالح التكريتي، المسألة الشرقية المرحلة الاولى 1774-1856، المصدر السابق، ص ص40-42.

(3) Mehmet Gönlubol. Öiaylarla Turk Dişpolitikail, Ankara, 1982, Basinşibaski, Cilt. 1. 1919 – 1973. S. 51

(3) سحر عباس خضير،سياسة الولايات المتحدة تجاه تركيا ,1917-1923 , دراسة تأريخية , رسالة ماجستير غير منشورة مقدمة إلى كلية الاداب , جامعة بغداد , 2002 , ص26.

(4) بيار مصطفى سيف الدين، السياسة البريطانية تجاه تركيا واثارها في كوردستان 1923-1926، (عمان، دار دجلة، 2007) ص97.

(5) سعت فرنسا إلى انشاء سلسلة من الضمانات العسكرية والسياسية بهدف تأمين نفسها والعالم ضد انبعاث محتمل للقوة الالمانية، وكانت تلك الضمانات على ثلاثة اشكال: تحديد المعدات الحربية الالمانية، نزع السلاح عن منطقة الراين. الاحتلال الذي يشمل الضفة اليسرى من نهر الراين ومناطق اخرى كنوع من الضمان. المزيد من التفاصيل ينظر: ج. ب. دروزيل ، التاريخ الدبلوماسي في القرن العشرين 1919-1945، ترجمة خضر خضر، (بيروت، د.م. 1985) ص ص20-23.

(6) بيار مصطفى سيف الدين، المصدر السابق، ص 98.

(7) احمد اسماعيل ياغي ، الدولة العثمانية في التاريخ الاسلامي الحديث ، ط2 (القاهرة، مكتبة العبيكان، 1998) ص. 23.

(8) عصمت اينونو: ولد في 24 ايلول 1884 من عائلة ذات مستوى متوسط تخرج من اكاديمية الاركان العامة برتبة نقيب ركن عام 1906 وخدم بشكل متميز في الحرب العالمية الاولى وبعد هزيمة الدولة العثمانية انضم إلى القوات الوطنية في الاناضول تحت لواء مصطفى كمال، خاض معركتين عام 1921 في اينونو انتصر على اليونان لذلك اتخذ الاسم لقباً لاسرته بعد اصدار قانون الالقاب عام 1932، اصبح رئيساً للوزارة (1921-1937) بعدها اصبح رئيساً للدولة (1938-1950) وبعد انقلاب عام 1960 شكل ثلاث حكومات ائتلافية 1961-1965، توفي في 25 تشرين الثاني عام 1973. نقلاً عن الاء حمزة شناوة الفتلاوي، السياسة البريطانية تجاه تركيا 1939-1945، اطروحة دكتوراه مقدمة إلى كلية الاداب، جامعة بغداد، 2009، ص5.

(9) سيار جميل، العرب والأتراك الانبعاث والتحديث من العثمنة إلى العلمنة، (بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، 1997)، ص115.

(10) فاضل حسين، محاضرات عن مؤتمر لوزان، واشارة في البلاد العربية، ط2، (القاهرة، 1958)، ص15.

(11) قاسم خلف عاصي الجميلي، تطورات واتجاهات السياسة الداخلية التركية 1923-1928، رسالة ماجستير غير منشورة مقدمة إلى كلية

الاداب، جامعة بغداد، 1985، ص56. ولمزيد من التفاصيل ينظر: المديرية العامة للصحافة والنشر والاعلام برئاسة الوزراء التركية، تركيا، انقرة، 2010، ص98.

(12) عبد الله شاكر الطائي، المصدر السابق، ص114.

(13) سحر عباس خضير، المصدر السابق، ص265.

(14) حنا عزو بهنان، التطورات السياسية في تركيا، ص ص125-126.

(15) فاضل حسين، محاضرات عن مؤتمر لوزان واشاره في البلاد العربية، ص14.

(16)H.N. Howard, The Partition of Turkey-A diplomatic History .1918-1923, New York, 1966, P. 285

(17) Oran Baskin, TürkDişpolitikasl, Cilt, 1, itelişim, Yainlari, .Istanbul, 2002, S. 215-216

(18)A-Yazaz, Lozan Baris Konferansi:Tatankliar Belgelertakim, Cilt, Kitap 1, Ankara, 1969, P P. 17-18

(19) لينين فلاديميراليتش (1870-1924) ولد في عام 1870 في سمبرسك في اواسط الفولكا، تخرج من جامعة بترسبورج بصفته طالباً خارجياً يدرس القانون. غادر روسيا عام 1900 واستقر في المانيا، وعاش بعد ذلك في بروكسل و باريس ولندن. أسس جريدته إسكرا (Eskra) وتعني الشرارة. وتزعم الديمقراطيين الاشتراكيين الروس الذين يطلق عليهم البولشفيك. ولمزيد من التفاصيل عن البولشفيك ينظر: ب. أ. ن. بونوماريوف، القاموس السياسي، ترجمة عبد الرزاق الصافي، (بغداد، 1973)، ص84. وفي عام 1903 عاد إلى روسيا واجبر على الخروج

منها بسبب تنظيمه للمقاومة ضد الحكومة. وعاد بعد ثورة عام 1917 إلى روسيا. وفي 6 تشرين الثاني عام 1917 اصبح لينين رئيساً للحكومة الجديدة التي عرفت بأسم مجلس مفوض الشعب، واجاز توقيع معاهدة برستاليتوفسك في= =عام 1918. تبنى في آذار عام 1921 سياسة اقتصادية جديدة. توفي في 21 كانون الثاني عام 1924. لمزيد من التفاصيل ينظر: الان بالمر، المصدر السابق، ج2، ص ص42-43.

(20) Aralov. S. Ivanpviç, Birsouytsouytdiplomatinin Türkiye Anilari, Çev, Hasan Ali Ediz, biregve Topumyayinvil, iteliim, .Yainlari, Istanbul, 2002, S. 215-216

(21) Ali Naci Karacan, Lozan Konferansiveismetpasa, Bilgi Yayinlari, Ankara, 1993, S. 111-1114

(22) في مذكرات عصمت اينونو يذكر مناقشاته مع المبعوث السوفيتي تشيشرون ويشير إلى ان الاخير اراد دفع تركيا إلى مواجهة مع بريطانيا بخصوص مسألة المضائق.

(23) Gürünkâmuran, Savasan Dünyave Türkiye Bilgi Yayinlar, Ankara, 1980, S. 82-102

(24) رضا نور: 1879-1942 جراح تركي وكاتب سياسي، بعد تخرجه من المدرسة الطبية العسكرية عام 1901 ذهب للعمل كجراح في مستشفى جولهان العسكري قبل ان يعود إلى المدرسة الحربية الطبية كأستاذ فيها عام 1907. عين وزيراً للتربية عام 1920 ووزير للصحة عام 1921، فضلاً عن انه كان المبعوث التركي عند عقد معاهدة موسكو عام 1921 مع الإتحاد السوفيتي كذلك تم ارسال رضا إلى لوزان كمساعد لرئيس الوفد التركي عصمت اينونو، وفي عام 1926 غادر البلاد بعد محاولة اغتيال

مصطفى كمال في أزمير. توفي عام 1942 ودفن في استانبول وكان عمره انذاك 63 عام. لمزيد من التفاصيل ينظر:

.Riza Nur, Lozan Hatiralari, Boĝazici Yayinlar, Istanbul, 1991

(25) Riza Nur , A .G.E, SS. 53-55

(26) Sehalmeray, LozanBarişKonferansi, Cilt, 1, YapiKredi Yayinlari, Istanbul, 1993, S. 134-137

(27) Riza Nur, A.G.E, S. 54

(28) Queted in W.P. and Zhukov Coast, Ahistory of Anglo Sovit .relations, London, 1988, P. 99

(29)Ibid, P. 101-102

(30)Ibid, P. 227

القلباخ: هي قبعة مخروطية الشكل يضعها الأتراك على رأسهم وهو تقليد موروث من الدولة العثمانية، وكان كيرزون في هذا التعبير كثير البلاغة.

(31) G. Lenczowski, soviet Advances in Middle East, Washington , 1974, P. 37

(32) J. C. Hurwetiz, The Middle East and North Africa in World Politics, British, Franch Supermacy 1914-1945, London, 1945, P. 317

(33) Bilâlnimir, Lozan Telgraflari 1922-1923, Cilt, 1, Türk Tarihkurumabasimevi, Ankara, 1990, S. 184-187

(34)J.C. Hurewitz, The Middle East and North Africa, P. 316-318

(35) Riza Nur, A. G. E, S. 70

(36) Ismet Inönü, Hatiralar, Cilt, 11, Bilgi Yayinlari, Ankara, 1987, S. 73

(37)Gökay Bülent, Bolevizmve Emperyalizmarasinda Türkiye 1918-1923, Tarin Vakfi Yurt Tayinlari, Istanbul, 1998, S. 192-193

(38) Gürün Kâmuran, A.G.E, S. 97

(39) Gürün Kamuran ,AGE, S . 98

(40) رياض الصمد، تطور الاحداث الدولية في القرن العشرين، ص107.

(41) المصدر نفسه، ص108.

(42) المصدر نفسه، ص109.

(43) J.C. Hurewite, The Middle East and North Africain World .Plitics, PP. 316-318

(44) H.N. Howard, Turky The Straits and U.S Policy, Bahimore, .1975, P. 119

(45) A. Toyenbee and Kirkwood, Turkey, New York, 1927, P. 375

(46) فاضل حسين، المصدر السابق، ص ص24-25.

(47) طالب الوفد التركي مطالبة ملحة بولاية الموصل التي تشمل على كل شمال العراق، نظراً لان القوات البريطانية التي احتلتها بعد اعلان الهدنة مع الدولة العثمانية، الا ان كيرزون رفض مطالب الأتراك بشكل قطعي وبقيت ولاية الموصل جزء من العراق.

(48) H.N. Howard, The Partition of Turkey. A Diplomatic History 1918-1923, P. 290

(49) عبد الله شاكر الطائي، المصدر السابق، ص114.

(50) عبد الله شاكر الطائي , المصدر السابق، ص116.

(51) Louis Fischer, The Soviet in the World Affairs: A History of Relations Between the Soviet Union and rest of the World 1917-1927، New York, 1960, PP. 300-301.

(52) A.F. Miller, Ocherki Noveishei Istorrii Trutsii, Moskova, 1948, PP. 143-144

(53) لويس الحاج، المصدر السابق، ص 36.

(54) عبد الله شاكر الطائي، المصدر السابق، ص 116.

(55) لقاء جمعه عبد الحسن جبار الطائي، العلاقات التركية الامريكية في عهد كمال اتاتورك 1923-1938، اطروحة دكتوراه مقدمة إلى كلية التربية (ابن رشد)، جامعة بغداد، 2006، ص57.

(56) عبد الله شاكر الطائي، المصدر السابق، ص115.

(57) نوري عبد البخيت السامرائي، المصدر السابق، ص66.

(58) وليد بيطار، المصدر السابق، ص315.

(59) عبد الله شاكر الطائي، المصدر السابق، ص115.

(60) عدنان اديوار (1882-1955) ولد في غاليبولي. ودرس في استانبول ثم التحق بكلية روبرت لدراسة الطب، سافر إلى برلين لاكمال دراسته العليا. شارك ضمن البعثة الطبية اثناء الحرب = =العثمانية- الايطالية والحرب العالمية الاولى. انضم إلى الحركة الوطنية منذ قيامها، عين وزيراً للصحة. على اثر اعلان الجمهورية ثم تولي رئاسة تحرير

دائرة المعارف الاسلامية. نقلاً عن: سحر عباس خضير، المصدر السابق، ص ص163-164.

(61) اريك زوركر، المصدر السابق، ص ص237-238.

(62) لمزيد من التفاصيل عن موقف مصطفى كمال من مسألة البلدان العربية التي كانت خاضعة تحت السيطرة العثمانية، ينظر: منصور عبد الحكيم، المصدر السابق، ص ص291-292.

(63) أمتياز جستر: بعد توقف اعمال مؤتمر لوزان في شباط عام 1923 اعلنت الحكومة التركية موافقتها على امتياز جستر وذلك بهدف احداث ثغرة بين الوفاق الودي (الولايات المتحدة الامريكية- بريطانيا- فرنسا) بموجب هذا الامتياز اعطت تركيا مندوب الولايات المتحدة الحق في استثمار النفط وانشاء السكك الحديدية في الموصل، ومناطق من الاناضول، الامر الذي اقلق بريطانيا وفرنسا، الا ان هذه المناورة التركية سرعان ما ابطلها تحرك بريطانيا السريع واتفاقها مع الولايات المتحدة باعطائها حصة= =من نفط الموصل وتراجع تركيا عن الامتياز اثر تحقيقها بعض المكاسب السياسية في لوزان عن هذا الامتياز ينظر:

.J.C. Hrewitz, Op. Cit., P. 178

(64) A.F. Miller, Op. Cit., P. 137

(65) ادورد هاللست كار، ثورة البلاشفة، ترجمة احمد عزه عبد الكريم، د ط، ج3، ص499.

(66) علاء طه ياسين، المصدر السابق، ص77.

(67) رياض الصمد، تطور الاحداث الدولية في القرن العشرين، ص108.

(68) حنا عزو بهنان، العلاقات البريطانية التركية 1936-1939، ص23.

(69) علاء طه ياسين، المصدر السابق، ص78.

(70) صبحي ناظم توفيق، الميثاق البلقاني ومعاهدة مونترو في وثائق الممثليات العراقية في تركيا 1930-1957، ص20.

(71) قاسم خلف عاصي الجميلي، المصدر السابق، ص ص60-61.

المبحث السادس:

قراءة في تطور
التيار الاسلامي
في تركيا

المقدمة

كان التيار الإسلامي لا يزال قوياً في المجتمع التركي عند انتهاء الحرب العالمية الأولى وانهيار الدولة العثمانية ، وكانت منطقتي الأناضول وتراقيا من المناطق الإسلامية الأصيلة في تطبيق الشريعة الإسلامية. لكن مصطفى كمال رأى إن الإسلام والتوجه نحو الشرق من مآسي تركيا ونقطة تخلفها، وكان تحليله هذا نابعاً من قراءته للتأريخ العثماني، ولهذا كان رأيه أن تتجه تركيا كلياً إلى الغرب، وأن تكون قطعة منه في كل جوانب الحياة . فأتخذ عدّة إجراءات لأجل تحقيق هدفه كان في مقدمتها إنهاء تطبيق كل شعائر الإسلام في المجتمع التركي .

حقق اتاتورك هدفه في إبعاد المجتمع التركي عن شرقيته وإسلامه من الناحية النظرية ، لكننا في الواقع نرى إن هذا المجتمع تمسك بإسلامه ولم تمس هذه التطورات سوى مدن قليلة على شواطئ البسفور، أما مدن وريف

الأناضول وشرق تركيا فبقيت على مبادئ إسلامية متوارثة رغم الضغوط التي واجهتها من الحكومة التركية .

البحث هذا يسلط الضوء على التيار الاسلامي في تركيا منذ تأسيس الجمهورية التركية عام 1923 حتى نهاية حكم الحزب الديمقراطي في تركيا عام 1960، وهذه المدة تتميز بتصاعد النشاط الاسلامي رغم الضغوط التي واجهها الاسلاميون، اصحاب الطرق الصوفية والجمعيات والاندية ، من الاجهزة الحكومية. وبسبب هذه الضغوط ، رأى الاسلاميون اتخاذ طريق مرن مع الدولة ، أي الابتعاد عن التطرف والمهادنة مع الحكومة على امل انتزاع مكسب لصالحهم ، وهذا الطريق جعلهم يظهرون على الساحة السياسة بعد الحرب العالمية الثانية، وشكلوا قاعدة شعبية مهمة في تركيا لها تأثيراتها في الانتخابات، وفي اصدار القرارات الحكومية الملائمة لتوجهاتهم .

يتكون هذا البحث من مقدمة ومدخل وثلاث نقاط أساسية وخاتمة، تناول المدخل التيار الاسلامي في المرحلة الاخيرة للدولة العثمانية ، خاصة في عهد السلطان عبد الحميد الثاني (1876-1909) حيث كان يرعى الخط الاسلامي ويدعو الى الجامعة الاسلامية .

أما النقطة الاولى فقد خصصت لموقف مصطفى كمال من التيار الاسلامي والشريعة الاسلامية، إذ كان موقفه ضد الانشطة الاسلامية، وشرع القوانين للحد من كل مظاهر الشريعة الاسلامية .

فيما تناولت النقطة الثانية النشاط السري للحركات الاسلامية في تركيا بسبب ملاحقة سلطة أتاتورك لأي نشاط اسلامي، فزاولت النورسية والنقشبندية والسليمانية وبقية الحركات والطرق نشاطاتها بصورة سرية طيلة عهد أتاتورك، فيما أعلنت عن مطالبها بعد وفاته .

وأختصت النقطة الثالثة بالنشاط الاسلامي بعد الحرب العالمية الثانية، إذ أصبح نشاطاً علنياً ودخل في أتجاهات متعددة سياسية وثقافية ودينية وأجتماعية . وسمحت الحرية التي حصل عليها الاسلاميين ، بعد وفاة

أتاتورك ، بزيادة نشاطهم وأتساع رقعة عملهم ، بحيث اصبح الاسلاميون ذي اثر كبير على السياسيين وخاصة على قادة الحزب الديمقراطي الذين أستمروا في حكم تركيا زهاء عشر سنوات (1950-1960)، كما ان هذا التأثير كان سبباً في انقلاب 27/ مايس 1960 ضد الديمقراطيين وأعدام عدد من قادته .

أعتمد الباحث على مجموعة من المصادر كان من أهمها كتاب (الحركة الاسلامية في تركيا) لـ جراهام فولر الذي حوى معلومات قيمة عن نشاط الاسلاميين في تركيا، وكتاب (الحركات الاسلامية في تركيا المعاصرة) لـ طارق عبد الجليل الذي افاد البحث في جوانب متعددة منه ، كما ان كتب سعيد النورسي كان لها اهمية في معرفة افكار الاسلاميين في تركيا ، ودخلت البحث في عدة مواقع . وأكتسب كتاب (تاريخ الاكراد الحديث) لـ ديفيد مكدول اهمية خاصة لأحتوائه على معلومات ذات قيمة للبحث .

وفي الختام نرجو ان تكون قد وفقت في هذا البحث خدمة للباحثين والمكتبة العراقية .

مدخل

مثل الاسلام المحور الاساسي لنظرية الحكم في الدولة العثمانية طيلة ستة قرون، ومع ان الاسلام كان أساس المشروعية للسلاطين في الحكم الا انهم سيطروا على المؤسسة الدينية[1].

وبسبب تطور الدول الاوربية في مؤسساتها العسكرية والمدنية، وانتصاراتها المتكررة على الدولة العثمانية، رأى بعض السلاطين العثمانيين ان سر هزائمهم هو تمسكهم بالنظام الاسلامي التقليدي، ففكروا بأتباع منهج الاوربيين ليطوروا الجيش وانظمة الادارة والتعليم، فكان محمود الثاني[2] اول من أدخل النظام العلماني في الدولة ، بدأً بالمدارس

التي كانت تعرف "بالمدارس الرشدية" واختصت بالتعليم الابتدائي والثانوي، كما وجدت مدارس من نوع آخر تحددت وظيفتها على تدريب الجهاز الاداري والحكومي، والقيام بترجمة الكتب الاوربية الى العثمانية . ان ظهور المدارس العلمانية وانتشار الطباعة والترجمة ، قد ساهم كثيراً في بروز طبقة جديدة تضم في عضويتها مجموعة من المفكرين والصحفيين ورجال القانون[3].

ظهر في النصف الأول من القرن التاسع عشر ضباط الجيش العثماني كطبقة تضم في عضويتها مجموعة من المثقفين على النمط الغربي الحديث بعد ان ركز محمود الثاني على الجانب العسكري ، وكان النجاح حليفه عندما استطاع عام 1826 إلغاء التنظيم العسكري الذي أصبح بالياً وذلك عند قيامه بإلغاء الوحدات العسكرية المعروفة بوحدات الانكشارية[4]، بالإضافة إلى بروز رجال الفكر والأدب ورجال الصحافة والقانون، كما إن حركة الطباعة والترجمة في هذه الفترة، قد شجعت كثيراً على اضمحلال دور الدين، وبالتالي ظهور فكرة العلمانية في الدولة العثمانية[5].

كانت أهم الثورات التي جابهت العثمانيين في القرن التاسع عشر ثورة الامير الكردي بدرخان في ارض الجزيرة التي انطلقت عام 1821 ولم تنتهي إلا في عام 1847، وهي ذات طابع قومي واسلامي[6].

اخذت الاصلاحات في الدولة العثمانية تشق طريقها في عهد السلطان عبد المجيد 1839-1860 من خلال تنظيمات كولخانة عام 1839، وخط همايون عام 1856[7]، وبسبب هذه الاصلاحات شهد المجتمع العثماني نقاشات حادة بين طبقة المثقفين المسلمين وبين مسؤولي الدولة الذين كانوا يدافعون عن سياسة التغريب للحيلولة دون تأخر الامبراطورية العثمانية، ودون ان تبسط القوى الغربية سيطرتها عليها، اما المثقفون المسلمون فانهم كانوا يعتقدون ان التطبيق الصارم للنظام الاسلامي التقليدي هو الكفيل

بانقاذ الدولة العثمانية[8]. وننوه هنا الى ان الاصلاحات العثمانية لاتعني الوقوف ضد الاسلام ، وانما هي تغير في الانظمة الادارية والتعليمية والعسكرية مجاراة للتطور الحاصل في اوربا.

وتمسك السلطان عبد الحميد الثاني 1876-1909 بفكرة الجامعة الإسلامية كطوق نجاة للدولة العثمانية، وأرسل رسله إلى انحاء العالم الإسلامي واتصل بشعوبها، وقام بأنشاء خط السكك الحديد الممتد من اسطنبول إلى الشام والى المدينة المنورة، لكنه بعد فات الاوان، فقد استولى الموالين للغرب على الجيش والمواقع الحساسة في هرم الدولة، واتحدت القوى المضادة للطرح الإسلامي من الداخل والخارج ولم تفلح هذه المحاولة الاخيرة للعودة إلى الذات واسترجاع الماضي. ونتيجة للاحداث التي تسمى بحادثة 31 آذار[9] امسكت جمعية الاتحاد والترقي بالحكم في البلاد وخلعت السلطان عبد الحميد الثاني[10].

وكانت سياسة عبد الحميد الثاني عن عالمية الاسلام محاولة ناجحة من جانب السلطان الخليفة لتقوية سلطته كرأس للدولة العثمانية بأستعراض اكثر لحقوقه الخاصة كخليفة للمسلمين وأستخدم السلطان عالمية الاسلام كأداة للاندماج الاجتماعي[11].

لم تكن تلك المرة الاخيرة التي استخدم الإسلام فيها لغايات سياسية. لكن الشعب اخذ يدرك الحاجة إلى إبعاد الدين عن السياسة واصبحت "حادثة 31 آذار عام 1909" تذكاراً مقنعاً للكيفية التي يمكن بها استغلال الإسلام لغايات سياسية. لقد كان أعداء الاتحاديين مصممين على اقصاء جمعية الاتحاد والترقي عن الحكم إلى الحد الذي دفعهم حتى إلى تنظيم مذبحة الارمن في مدينة ادنة في جنوب شرق الأناضول، وكان هدفهم من ذلك التحريض على تدخل بحري انكلو-فرنسي نيابة عن المسيحيين مما سيؤدي إلى الاطاحة بالجمعية[12].

كان معظم الاتراك لايزالون ينظرون إلى انفسهم بوصفهم مسلمين بالدرجة الاساس، وكانوا يرتبطون بوشائج قوية مع السلالة العثمانية الحاكمة التي جعلتهم ينظرون إلى السلطان نظرة علمانية بوصفه "السلطان" ونظرة دينية بوصفه " الخليفة". وكان هذا الموقف ينطبق على العرب والكرد، يضاف إلى ذلك، إن الخلافة العثمانية كانت لاتزال تتمتع بجاذبية كبيرة في العالم الإسلامي كله خاصة في مصر والهند، لهذا كان الإسلام عاملاً مهماً في السياسة الخارجية العثمانية، خاصة وان الحرب العالمية اخذت تقترب[13]. شكلت الحرب نقطة تحول مهمة في تاريخ الدولة العثمانية، فان انهيارها امام دول الحلفاء دفع الحركة الوطنية بقيادة مصطفى كمال الى سحق القوى الاسلامية وانهاء الخلافة [14].

اولاً: مصطفى كمال والشريعة الإسلامية

لقد اسس مصطفى كمال الجمهورية التركية الحديثة على انقاض الدولة العثمانية، وقام النظام البديل على اساس حكم مناهض للدين وسوق المجتمع التركي المسلم نحو الغرب، والغاء ثقافته الإسلامية الأصلية، أو بألأحرى نقله من مكان الصدارة في الشرق وموقع القيادة في العالم الإسلامي إلى مؤخرة العالم الغربي، ويمكن القول إن وصول مصطفى كمال إلى السلطة والزعامة ومن ثم إلغاء الخلافة الإسلامية شكل نقطة تحول كبيرة في السياسة التي كان يخطط لها الغرب منذ مدة طويلة تجاه تركيا سبقت الحرب العالمية الأولى ليس لأنتزاعها من موقعها القيادي في العالم الإسلامي وحسب، وانما لشطب انتمائها الإسلامي[15].

وبالغاء الخلافة الإسلامية عام 1924 في تركيا انتهت زعامتها للعالم الإسلامي واصبحت اول دولة اسلامية فصلت الدين عن السياسة، واعتبر مصطفى كمال الإسلام المنظم وعلماء الدين اكبر خطر يهدد السلطة وسيادة

الحكم، لذلك سارع إلى تشكيل اجهزة قانونية لضرب المؤسسات الإسلامية والحد من نشاطاتها[16].

كانت إجراءات مصطفى كمال تجاه الشريعة الإسلامية متطرفة، تمثلت في عدة قرارات اولها إلغاء الخلافة في 3 آذار 1924، والغاء المحاكم الدينية في 8 نيسان 1924 واحيل قضاتها إلى التقاعد، وتم إلغاء منصب شيخ الإسلام ووزارة الاوقاف وتأسست بدلاً عنها ادارة الشؤون الدينية وادارة الاوقاف وهما تابعتان لرئاسة الوزراء، وكذلك حذفت عبارة "الإسلام هو دين الدولة" من الدستور، بالاضافة إلى إلغاء نظام التعليم الديني واغلاق كل مدرسة او هيئة تعليمية تقوم بتدريس العلوم الشرعية[17].

ومن خطب مصطفى كمال التي تدلل على اصراره تطبيق العلمانية الخطاب الذي القاه بتاريخ 30 آب 1925 في محافظة "قسطموني" حيث تنتشر الطرق الصوفية فيها قال فيه: "يجب إن تعلموا ايها السادة انتم وافراد اسركم والامة التركية باسرها أن الجمهورية التركية العلمانية لايمكن إن تكون بعد اليوم ارضاً خصبة للمشايخ والدراويش وأتباعهم من اصحاب الطريقة، وإذا كان هنالك من طريقة حقيقية فهي طريقة الحضارة المبنية على العلم، وعلى مشايخ الطرق أن يفهموا الكلام بوضوح وبالتالي يغلقوا زواياهم وتكاياهم عن طيب خاطر والى الابد قبل إن أدمرها فوق رؤوسهم"[18].

إن نظرة متفحصة لثنايا هذا الخطاب تدلنا على إن السياسة العلمانية التي اتبعها مصطفى كمال اخذت خطاً متصاعداً وسلوكاً متشدداً سواء من خلال اللغة المستخدمة او الوسائل المتبعة لتنفيذ هذه السياسة.

وفي سبيل تغيير النمط الثقافي والاجتماعي للشعب التركي قرر استخدام القلنسوة للرجال ومنع أرتداء العباءة او الرداء من قبل النساء، وكذلك استعمال الحروف اللاتينية بدل العربية في الكتابة، كما ألغي استخدام

التقويم الهجري المعمول به لدى المسلمين واحلال التقويم الميلادي المعمول به لدى الغرب، وأحل القانون المدني السويسري في تركيا بدل القوانين الإسلامية. وبدأت خطوات من أجل حذف الكلمات ذات الجذور الفارسية والعربية من اللغة التركية، وقرر إن يكون يوم الاحد يوم العطلة الاسبوعية بدل يوم الجمعة الذي يعد يوم المسلمين المبارك[19].

إن هذه التغييرات تركت اثاراً مهمة في الحياة السياسية والاجتماعية للشعب التركي ومن بينها:

1. سيطرة أكبر للدولة على الدين:

لم تكن اجراءات مصطفى كمال مجرد فصل الدين عن السياسة وحسب، وأنما الهدف منها زيادة سلطة الدولة على الدين، فعلى خلاف الدول العلمانية الاخرى التي لاتتدخل فيها الحكومات في شؤون الدين، فأن العلمانية الاتاتوركية تتمتع بآليات يمكن على أساسها إن تتدخل مباشرة في شؤون المؤسسات الدينية، إذ أن (مؤسسة الشؤون الدينية) التابعة للدولة هي التي تتكفل بتأمين الموارد المالية للمؤسسات الإسلامية والسيطرة على ائمة المساجد والشخصيات الدينية والخطباء والمفتين[20].

كما ان جميع الشخصيات الدينية والخطباء والمفتين يعدّون موظفين جرىتعيينهم من قبل الحكومة وتقاضوا مرتباتهم منها، أما المساجد والمؤسسات الدينية الاخرى، فأنها هي الاخرى تابعة لجهاز حكومي تحت عنوان (رئاسة الشؤون الدينية) وخاضعة للحكومة، وقد بسطت الجمهورية الكمالية نفوذها على مؤسسة الاوقاف ايضاً، حيث اصبحت الاوقاف تابعة لجهاز حكومي (مديرية الاوقاف العامة) ، وان الكتب المدرسية التي اخذت رئاسة الشؤون الدينية توزعها على المدارس تصف المسلم الجيد بالوصف التالي: "يجب على المسلم الجيد إن يحب وطنه ويطيع قوانين الجمهورية وان يكون خاضعاً امام القيادة التقدمية ومسؤولي البلاد ولا يدخر جهداً في تعلم التكنولوجيا الحديثة""[21].

2. اتساع العلمانية

أعتباراً من أوائل العشرينات وحتى اواخر الاربعينات من القرن الماضي كانت العلمانية المتطرفة هي الايدلوجية السائدة بين مجتمعات المدن التركية والطبقات المثقفة، فالكماليون كانوا يؤمنون بالعلمانية المتطرفة وخاصة السيطرة الشديدة للدولة على الدين، وكانوا هؤلاء يتشكلون من الموظفين والضباط والمدرسين والكتاب واصحاب المهن الحرة، حيث تجمعوا تحت مظلة حزب الشعب الجمهوري والذي أسسه مصطفى كمال في عام 1923 ليشكل المنظمة السياسية الرسمية للدولة، والمؤسسة التي تدير الشؤون المدنية والعسكرية"[22].

وفي تركيا الحديثة كان التعليم مصدر العلمانية الاساسي، فحتى عام 1939 انصب التأكيد على تنمية الشعور بالمسؤوليات الوطنية بين جيل الشباب، فكانت النتيجة إن اصبحت الفئة المثقفة والجيل الجديد لايعرفون شيئاً عن الإسلام او إن معلوماتهم قليلة جداً، وكان هؤلاء ينظرون إلى العلمانية كمذهب ينسجم بشكل تام مع الكمالية التي كانت تؤمن بأخضاع المؤسسات الدينية لسيطرة الدولة، حيث اصبحوا يعتبرون كل انحراف عن علمانية أتاتورك هو عمل رجعي متخلف[23].

3. أبعاد المتدينين

أستطاع الكماليون ترويج العلمانية بين الطبقة المثقفة في المجتمع التركي، ولكنهم لم يستطيعوا ذلك بين جماهير القرى والارياف وسكان المدن البعيدة، فعلى الرغم من محاولات النظام المستمرة لأجتثاث جذور المعتقدات الإسلامية من المجتمع، حيث كانت بعض سياسات أتاتورك معادية للدين بشكل واضح، ففي القانون الذي صدر عام 1930 تقرر إن

يكون مسجد واحد في كل (500كم)، فجرى بذلك تخريب المساجد التي لم يكن وجودها ينسجم مع هذا القانون، أو أنها استخدمت كمخازن، ورغم هذا ظل الملايين من سكان القرى وقصبات الأناضول مسلمين ملتزمون بمعتقداتهم الدينية، وبصورة عامة فأن الشعب لم يستطع إن يعبر عن رفضه لسياسة أتاتورك بسبب عدم السماح له إن يتدخل في الشؤون السياسية في اطار نظام ديمقراطي يضمن ذلك[24].

ويجب الاشارة ايضاً إلى أن تلك المدة لم تخل ايضاً من مجموعات حافظت على كيانها الثقافي وعملت على الابقاء على القيم الإسلامية والتقاليد العثمانية داخل المجتمع التركي لتشكل عنصر مواجهة ومقاومة للسياسة العلمانية، بيد أنهم بسبب الضغط والقوة التي كانت مفروضة انذاك، أثروا العمل السري احياناً ولم يسمح لهم طيلة حياة أتاتورك بالظهور إلى إن دخلت تركيا مرحلة جديدة من الحياة السياسية متمثلة بالتعددية الحزبية ولكنهم ظهروا كقوة دافعة وليست قوة مواجهة.

ثانياً: النشاط الإسلامي السري في تركيا

رغم إلغاء مصطفى كمال للخلافة في تركيا عام 1924 فأنه لم يستطع إن يلغي الإسلام من القلوب والواقع، شكل الإسلام في تركيا عاملاً هاماً في بناء الشخصية وصياغة الواقع، فجذور هذا الدين عميقة في التركيبة التركية، وقد استطاع الاتراك من خلال بناء امبراطورية عظيمة امتدت لستة قرون في ذاكرة الانسانية، وأمتدت في العالم القديم آسيا وأفريقيا وأوربا.

وبشكل واضح ، كانت سياسية أتاتورك الخارجية ، شبيهة إلى حد ما بسياسته الداخلية، فهي كانت في أطارها العام تتعارض مع الدين الإسلامي، بل وتهدف إلى سحقه ، ولعل أتاتورك اراد من الميثاق البلقاني الذي عقد بين تركيا واليونان ويوغسلافيا ورومانيا عام 1934 إن يبرهن إن تركيا

دولة اوربية وليست دولة اسلامية، لاسيما وان هذا الميثاق اشار إلى مواجهة أي نشاط اسلامي[25]. ولم يكن حلف سعد آباد عام 1937 حلف اسلامي ، او الاحلاف الاخرى التي اشتركت بها تركيا مع دول اسلامية وانما كانت هذه الاحلاف غربية تقودها بريطانيا.

وكانت مهمة اعادة الوجه الإسلامي لتركيا مهمة شاقة وعسيرة، وقد استطاعت الحركة الإسلامية في تركيا إن تقدم نموذجاً فريداً في الاستجابة لضغوط الواقع السياسي والاجتماعي المفروض عليها والاستفادة منه دون إن تتخلى عن عقيدتها وافكارها، ودون إن تلجأ إلى العمل المسلح والثوري العنيف، فعرفت كيف تستفيد من الواقع الذي تعيشه بأكبر قدر ممكن[26].

ولم تكن الاجراءات الكمالية لتمر من دون إن تفرز ردود فعل قوية، وقد تباينت ردود الفعل هذه وتعددت بتعدد الجهات التي اكتوت بلظى هذه الاصلاحات، ويمكن رصد ثلاثة اشكال من ردود الفعل اتجاه الاجراءات الكمالية[27]:

1. الاتجاه الاول: تميز بالراديكالية، حيث دعا اصحابه إلى وجوب مقاومة الحكومة والانتفاض كلياً ضد سياستها.

2. الاتجاه الثاني: دعا اصحابه إلى الرضا بما حصل لان ماوقع قدر مقدور ليس للمسلم الا إن يصبر عليه.

3. الاتجاه الثالث: جمع اصحابه بين رفض جزء من سياسات الدولة الكمالية الحديثة وقبول التعايش مع اعمالها وسياساتها الاخرى، وشمل رد الفعل الاخير شريحة كبيرة من مكونات المجتمع التركي، ضمت كثيراً من اتباع الطرق الصوفية.

وقد أتخذ الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة العلمانية في تركيا أشكالاً متعددة، فالعلمانيون اتخذوا من سلطة الدولة وقوة الجيش سلاحاً لمحاربة الإسلام، فيما قاوم الاسلاميون هذه الامور بالانحناء تارة والمواجهة تارة

أخرى، ولكن في اطار سلمي بعيد عن العنف، وأتخذ العلماء وسائل لمواجهة العلمانية ، فظهرت فتاوى عن حكم صلاة الرجل بالقبعة، وغالى البعض فحكم بكفر من يرتديها فقاوموها بأعتبارها رمزاً لنموذج مرفوض، وأتجه العلماء إلى بناء العقيدة الإسلامية سراً في النفوس، لاسيما وانهم واصلوا اعمالهم بشكل سري بين جماهير القرى والارياف وسكان المدن البعيدة حيث ظل الملايين من ابناء هذه المناطق ملتزمون بمعتقداتهم الدينية[28].

ففي شرق تركيا كانت سلطة الدولة ضعيفة بسبب ولاء السكان الى قادتهم السياسيين والروحيين، ولهذا نجد الاغوات والشيوخ لهم سلطة كبيرة على عشائرهم في جوانب متعددة، وهذه السلطة نابعة من القيم الاسلامية المتوارثة[29].

وجاءت ثورة الشيخ سعيد في عام 1925 لتمثل حركة دفاع مخلص عن الشريعة الإسلامية ورد فعل غاضب ضد سياسة أتاتورك، وقال عصمت اينونو الذي اصبح رئيساً للوزراء اثناء حالة الطوارئ التي اعلنت اثر انفجار تلك الثورة واصدر (قانون السكون) وقضت على الثورة بالقوة، قال في مذكراته (أننا كنا نقول في الداخل عن الثورة انها (ثورة كردية) حتى لايميل اليها الشعب التركي، ونقول ازاء العالم الخارجي أنها (ثورة اسلامية) حتى يسامحنا الانكليز والغرب[30].

سيطر الثوار على مدن عديدة في جنوب شرق تركيا مثل ديار بكر، ماردين، وأرغني، وشكل هؤلاء خطراً حقيقياً على حكومة انقرة التي اتخذت اجراءات سريعة لقمع الثوار[31].

وأثر هذه الثورة أنشئ ما يسمى بمحاكم الاستقلال والتي اعدمت الكثير من المشايخ مثل الشيخ عاطف افندي الاسكيكلي، بسبب كتاب نشره ينتقد الغرب في الحياة والسلوك وفي الزي ايضاً، ويوضح موقف الشريعة من التشبه بالكفار بأسلوب علمي وموضوعي، حيث تمت دعوته إلى المحكمة

لأجل التحقيق فقط، ولم يطلب المدعي العام اعدامه اصلاً وحكمت المحكمة ببرائته، ومع ذلك اخذوه مرة ثانية وقاموا بأعدامه[32].

لقد تصرف الجيش بدون شفقة عند أنتقاله عبر الريف، حيث أحرقت قرى بكاملها او سويت بالارض، وقتل الرجال والنساء والاطفال، وحدث هذا في قرى ونواحي ديار بكر[33].

أعطت الثورة المبرر للتحول المباشر الى العلمانية من خلال أغلاق المؤسسات الدينية المتبقية، وباتت كافة التكيات محرومة من حماية القانون وحتى العلويين المؤيدين للحكومة وجدوا مؤسساتهم الدينية تتعرض للاضطهاد، وكما تساءل مصطفى كمال "هل تستطيع امة متحضرة ان تسامح حشداً من الناس الذين يسمحون لأنفسهم أن يقادوا من أنوفهم من قبل مجموعة من الشيوخ والاسياد والامراء"[34].

وفي عام 1930 قام جمع غفير من المصلين في مدينة مينمين قرب أزمير ضد الحكومة، فقد زحف حشد بقيادة الدرويش محمد من الجامع بعد أداء صلاة الصبح إلى ساحة المدينة وهم يطالبون بأعادة الشريعة الإسلامية والخلافة، وقد ادعى الدرويش محمد، الذي كان ينتمي إلى الطريقة النقشبندية[35]، بأنه كان المهدي المنتظر وقد ظهر لأنقاذ العالم. وأرسلت قوة من الشرطة التي كان الشعب يكرهها بوصفها ذراع الدولة القمعية، لقمع المظاهرة، لكن الدرويش محمد قبض عليه وقطع رأسه ثم وضع الرأس على سارية علم وطاف به في شوارع المدينة. كان الحادث صدمة كبيرة للنظام اذ انه لم يحدث في بقعة متخلفة في الأناضول بل حدث في واحدة من اكثر مقاطعات تركيا تقدماً[36].

وبموازاة هذا الخط الثوري المتصاعد نمت حركة اخرى جنباً إلى جنب مع باقي الحركات، وكانت معتدلة نسبياً من ناحية طريقة عملها وان لم تختلف عنها من حيث اهدافها، وهي الحركة التي تبناها العلامة الكردي

الذي اشتهر بلقبه بديع الزمان سعيد النورسي[37]، وقد سمى الشيخ تلاميذه (أخوان النور)، وسميت حركته بعده (الحركة النورية) نسبة إلى كتب الشيخ سعيد النورسي التي اطلق عليها (كليات رسائل النور)[38].

واشتهر النورسي برفضه للفتوى المعادية لحرب التحرير التي قادها مصطفى كمال ، وكان في أول الأمر مسانداً له في اطار جمعية الاتحاد والترقي، لكنه حينما اكتشف ان الشعارات التي كانت تحملها الجمعية تهدف الى غير ماهو معلن قام ضدها، فنال جراء ذلك النفي والطرد والتشريد كباقي العلماء[39].

ويعد سعيد النورسي رجل فكر وحركة آمن بالجامعة الإسلامية، ويذكره الشيخ محمد عبده بقوله: "واستاذي ناضل ضد استبداد السلطان عبد الحميد خان الثاني مع اسلاميين اخرين مثل الشاعر محمد عاكف ، وشارك في تأسيس جمعية الاتحاد المحمدية في مواجهة جمعية الاتحاد والترقي" ثم واصل جهاده في عصر الجمهورية بقلمه ضد الكمالية، فعندما دعاه مصطفى كمال إلى انقرة ليخطب في المجلس الوطني الكبير، صعد إلى منبر المجلس ودعا اعضاء المجلس إلى الصلاة، فأجاب دعوته ستون من أعضاء المجلس من الذين لايصلون من قبل، وعندما صعد مصطفى كمال المنبر من بعده، قال: يا أستاذ نحن دعوناك إلى هنا لنستفيد من آرائك العليا لا لتشغلنا بالصلاة، قام الشيخ من مكانه وخطا بضع خطوات وأشار بأصابعه السبابة والوسطى إلى عيني مصطفى كمال كأنه يختطفهما وصرخ بصوت واحد: يا باشا، إن الحقيقة العظمى في الكون هي الايمان وتلي الايمان الصلاة، ومن ترك الصلاة فهو خائن، وحكم الخائن انه مردود[40].

وكان الشيخ النورسي يهدف بكتاباته إلى تربية أجيال تركيا على الأيمان والأسلام، وكانت جميع كتبه تركز على مباحث ايمانية، وعندما رأى بشارات نواة الجيل المؤمن بالله وبأحكام كتابه والتي من أجلها قضى حياته في السجن والمنفى وتحت ضغوط قصوى قال: "اخذت ثأراً في سعيد"،

ويقصد بذلك الشيخ سعيد الذي استشهد بعد ان فشل في ثورته عام 1925[41].

ان رسائل النور التي كتبها وضمنها افكاره حول التوحيد والايمان والدين وحقيقة قدرة الايمان على انقاذ الدين من الافكار الفاسدة، حاول النورسي فيها التمييز بين افكاره والطرق الصوفية الاخرى من خلال تأسيس واقع ايماني يقوم على التعليم والعمل والتعاون، وكذلك من خلال اقامة علاقة مع الدول الغربية بهدف الاستفادة من النتائج الحضارية للغرب من دون الاخذ بمنظومته الفكرية والاخلاقية[42].

كان سعيد النورسي الاكثر شهرة من بين اولئك الشيوخ ولكنه لم يكن الوحيد. فقد كان لأعيان بدليس وأرزنجان، على سبيل المثال، علاقات وثيقة مع شيوخ الطريقة النقشبندية في تلك المقاطعات، أما أعيان ارضرورم فكانت علاقاتهم بشكل خاص مع شيوخ الطريقة القادرية[43].

الطريقة النقشبندية سجلت موقفاً واضحاً ضد السياسة الكمالية، وهي من أعرق الطرق واكبرها واوسعها انتشاراً في تركيا ولها امتدادات واضحة في مجموعة من دول العالم الاسلامي، والنقشبندية شأنها شأن النورسية ركزت على بناء الفرد من الداخل من خلال ربطه بتعاليم الطريقة، وشاركت الحركة في كل الانتفاضات التي واجهت سياسة كمال اتاتورك[44].

ويجب الاشارة هنا الى الحركة السليمانية وهي من الحركات الصوفية التي ظهرت في تركيا وسميت بهذا الاسم نسبة الى مؤسسها سليمان حلمي تونهان 1888-1959 والذي ولد في بلغاريا واضطر الى الرحيل مع افراد اسرته ليستقر في اسطنبول وليدرس في مدارسها الشريعة الاسلامية، وأشتهر الشيخ سليمان بمعارضته الشديدة لأتاتورك عند الغائه الخلافة الاسلامية وانتقاداته العلنية لمفاهيمه العلمانية، واهتم بتحفيظ القرآن الكريم حيث كان يستأجر المزارع البعيدة عن المدن ليقوم بتدريس القرآن الكريم

في الليل في أصرار عجيب للمحافظة على الاسلام والقرآن، وقادته انتقاداته ومعارضته هذه الى السجون مرات عدة، إلا أنه في الوقت نفسه بسبب هذه المعارضة اصبح زعيماً لطريقة دينية بارزة اضحى لها مؤيدون بالالاف، وكذلك لها مؤسسات اجتماعية واقتصادية وتجارية وتعليمية منتشرة في كل مكان في تركيا، وتميزت السليمانية عن باقي الطرق الدينية والصوفية في تركيا بالانغلاق واتباع منهج التكفير[45].

كما تتصف الجماعة السليمانية بالانضباط الصارم لأعضائها وهم يتحركون ككتلة واحدة او جسم واحد في مجالات عدة، ودخلت في صراع مع رئاسة الشؤون الدينية التي لاتعتبرها ممثلة للاسلام[46].

وإلى جانب هذه الطرق هناك عشرات الطرق الصوفية والدينية الصغيرة ومن ابرزها التيجانية والرفاعية والقادرية والبكتاشية والمولوية، ومزجت هذه الطرق في سلوكها بين الرفض للايدلوجية الاتاتوركية والتمسك بالشريعة الاسلامية والانضواء تحت راية زعيم الطريقة وممارسة تعاليمها[47].

بعد جيل من إلغاء الخلافة وقمع الطرق الصوفية، بدأ ان الاسلام "الرسمي" في حالة تقهقر ، ولكن لا يمكن قول الشيء نفسه عن الاسلام "الشعبي" فكان معروفاً، مثلاً، أن الطرق الصوفية تعمل سراً، وفي كردستان أكثر من أي مكان آخر[48].

ومن الواضح ان التيار الاسلامي في تركيا اخذ يزاول نشاطه بسرية تامة في عهد أتاتورك، وعند وفاته بدأ الاسلاميون يظهرون على الساحة السياسية ويطالبون بتحقيق اهدافهم بصورة علنية.

ثالثاً: النشاط الاسلامي في تركيا بعد الحرب العالمية الثانية

كان الكماليون يدركون ان الاسلام عامل هام بالنسبة للسياسة التركية او انه سوف يستخدم ضدهم ان لم يتخذوا الاحتياطات الكفيلة لمنع ذلك ، وكانت الوسيلة لذلك جعل الجيش التركي هو القيم والحارس على اساسيات النظام[49]. وبدأ التعامل مع النشاط الديني بمرونة اكثر، فبدأ السماح للتعليم الديني في المدارس العسكرية بقصد رفع الروح المعنوية للجيش، وسمح بترجمة الكتب الدينية والتأريخية الى اللغة التركية[50].

وحدث تحول في سلوك النظام تجاه الاسلام اعتباراً من منتصف الاربعينات عندما ادركت مجموعة داخل حزب الشعب الجمهوري حجم الفراغ الذي لم يستطع النظام ان يملئه في المجال الديني، فأقترحت على الحكومة السماح بأجراء تعليم ديني في تركيا، شريطة ان يكون تحت حكم وسيطرة الدولة، وقد اندرجت مسألة اعادة تدريس (مادة دينية) في المدارس الرسمية، ضمن جدول اعمال المجلس الوطني الكبير عام 1946 كتدبير وقائي من خطر الشيوعية، وفي تشرين الاول 1948 اعلن برنامج المواد الدينية التي ستدرس للصفين الرابع والخامس الابتدائي. وفي 15 شباط 1949، اصبحت المادة الدينية تدرس في المدارس الابتدائية بموجب قرار حكومي شرط ان تدرس خارج اوقات الدراسة الرسمية[51].

ان التحول نحو التعددية الحزبية في تركيا ادى الى تخلي حزب الشعب الجمهوري عن نظرته للاسلام، فحزب الشعب كان ينظر منذ تأسيسه الى الاسلام على انه عامل اعاقة امام التحديث، ومع التوجه نحو نظام ديمقراطي ظهرت احزاب تنتقد سياسة الحزب هذه وتطالب بتلمس مشاعر الشعب الدينية[52].

وقد سمح الانفراج الذي شهدته الحياة السياسية عقب اقرار نظام التعددية بقيام محاولات اولى لتكوين احزاب تتبنى مباشرة المشاعر والمظاهر الاسلامية فكان حزب النهضة الوطني اول حزب معارض اسس عام

1945، اسسه كل من حسين عوني اولاي وجواد رفعت اتيل خان ونوري دميرداغ، وينادي هذا الحزب في مجال السياسة الخارجية بتحقيق مشروع (الاتحاد الاسلامي)، ودافع عن قيام اتحاد شرقي يستهدف وحدة العالم الاسلامي، واقر انشاء جامعة التكنولوجيا والاخلاق لأعداد الطلاب الوافدين من الدول الاسلامية، واغلق الحزب بسبب عدم حصوله على مقعد في الانتخابات البرلمانية . كما تأسس حزب حماية الارتقاء في 26 حزيران 1946، وكانت المادة الاولى تعترف بوجود الله وامره الناس بحسن العمل، وكان الحزب يرى ان حرية العبادة حق طبيعي للانسان، وحل الحزب نفسه في 12 اذار 1947، كما ان حزب العدالة الاجتماعي الذي تأسس عام 1946 كان مؤيداً لطرح الوحدة الاسلامية ، وحزب الفلاح الذي تمسك بفكرة حماية الاعراف المستندة على المبادئ الاسلامية، وايد فكرة انشاء كلية دينية، واعلن حزب الحفاظ على الطهارة الذي تأسس عام 1946 ضرورة المحافظة على الاسلام(53).

وفي 19 تموز 1946 قام كل من نجمي كوناش ومصطفى اوزبك ميتاسوار بتشكيل حزب حماية الاسلام، فقامت قيادة الاحكام العرفية بأغلاق هذا الحزب في 12 ايلول من السنة نفسها، بحجة ان الحزب قد أتخذ من الدين اداة سياسية، وفي 8 تموز 1947 قام جواد رفعت أتيل خان المعروف بعدائه لليهود والصهيونية وهو جنرال سابق في الجيش التركي مع بعض زملائه بأنشاء حزب المحافظين وذكر في لائحته انه يعتمد على الاسس الاسلامية في برنامجه فأغلقت السلطات التركية هذا الحزب قبل ان يبدأ نشاطه ثم قام المارشال فوزي جاقماق، وكان يعد احد ادوات مصطفى كمال المعتمد عليهم في السيطرة على الجيش، بأنشاء حزب يميني بروح اسلامية في 30 تموز 1947 حمل اسم حزب الامة، ونصت لائحة الحزب على احترام عادات البلاد واعرافها واحترام الدين، الا ان الحكومة الغته

عام 1953 بحجة انه حزب ضد النظام الجمهوري، اما الحزب الديمقراطي الاسلامي الذي أسسه جواد رفعت في اب 1951 كان يسعى لتحقيق تعليم اسلامي ليسد الفراغ الروحي ويقف ضد المد الشيوعي في تركيا واغلق بعد ستة اشهر لمخالفته المادة (71) من القانون المدني، حيث خالفت المادة الاولى والثالثة من لائحة الحزب الدستور[54].

وقد عادت الى الظهور جرائد ومجلات دينية كان الكماليون قد منعوها عند وصولهم للسلطة مثل " سبيل الرشاد " و "سلامت" و "حر ادام" .

واظهرت انتخابات عام 1946 تنامي دور الحركة الاسلامية في الحياة السياسية والاجتماعية لتركيا حيث بدأ تسابق الاحزاب لنيل اصوات الناخبين الاسلاميين . وظهر تيار داخل حزب الشعب الجمهوري نفسه بزعامة حمد الله صبحي وتكيلي اوغلو طالب بتوقف الدولة عن التدخل في معتقدات الناس الدينية[55].

أن هذه التنازلات من قبل حزب الشعب الجمهوري لم تكن كافية للتعويض عن سمعته بأعتباره الحزب الذي حل الدولة الاسلامية، حيث حث الشيوخ أتباعهم، وفقاً لذلك فالشيخ سعيد النورسي، مثلاً، خص اتباعه على دعم الحزب الديمقراطي في انتخابات عام 1950[56].

ويبدو واضحاً ان المؤسسة العسكرية التي تخرج منها دعاة العلمانية في اواخر الدولة العثمانية هي نفسها قد تخرج منها طليعة المنادين بردّ الاعتبار لهوية المجتمع الاسلامية، من خلال محاولاتهم تأسيس احزاب ذات مرجعية اسلامية .

ولئن فشلت المشاعر الاسلامية في البداية في ان تجد مسلكاً لها في ظل حزب سياسي معترف به قانوناً، في المقابل وبسبب ضغطها قد كسبت اعترافاً من لدن زعماء (الاصلاحات الكمالية) الذين حاولوا عندها افهام الرأي العام التركي ان اصلاحاتهم ليست موجهة بصورة مباشرة ضد

الاسلام ، وانما الغاية من سياساتهم هي وضع نهاية لسلطة العلماء وتأثيرهم، ونتيجة لذلك اتخذت حكومة حزب الشعب الجمهوري عدة قرارات لصالح الدين[57].

فقد انفتح حزب الشعب على التيار الاسلامي وغير مفهوم العلمانية التقليدي الذي رفعه منذ عشرين عاماً، واعتبر في مؤتمره لعام 1947 ان الدين غذاء روحي للمجتمع، واقر بموجب ذلك اجراءات منها اقامة دورة لتخريج الائمة والوعاظ حيث شعر قادة الدولة بالحاجة الى رجال دين مثقفين يقومون بأدوار هامة في تحقيق التجانس مع الشعب وحماية القيم المعنوية ومواجهة التيارات اليسارية، كما أمرّ فتح كلية الالهيات في جامعة انقرة، وادخال الدين كمادة اختيارية في المدارس وسمح بالذهاب الى الحج والغاء القيود المالية المفروضة على الحجاج وتحديد العملة الصعبة التي يحق لهم حملها[58].

ويضاف الى الاسباب السابقة التي دفعت حزب الشعب الى هذا الاتجاه والى هذه التنازلات النسبية هو الانعكاسات القاسية للحرب العالمية الثانية على الواقع التركي، فقد عصفت بالبلاد أزمة اقتصادية عنيفة حتى بات المواطن لا يجد الخبز الا بالوثيقة وكانت حرية التعبير شبه معدومة، كما ان الشعب التركي لم يتمكن من أداء الشعائر الدينية بحرية، وهذا ساعد على تشكيل جبهة معارضة ضد حزب الشعب الجمهوري الحاكم، كما ان البلاد كانت بحاجة الى تغيير مع تغير القوى في التوازن الدولي بعد الحرب العالمية الثانية، ولا ننسى مطلب التأثير في الناخبين وعملية الحصول على الاصوات جعلهم يتوجهون الى اتباع التيار الإسلامي[59].

وفي اول انتخابات جرت في 21 تموز 1946 دخلت تركيا الحياة الديمقراطية، وان لم يخل ذلك من معوقات حيث لم تكن عملية الادلاء بالأصوات سرية، في حين كانت عملية الفرز غاية في السرية، ولم يتمكن

الحزب الديمقراطي من المشاركة الا في (16) محافظة فحصل على (62) نائباً، في حين فاز حزب الشعب الجمهوري بـ 396 مقعداً[60].

واثناء تولي شمس الدين جون الطاي رئاسة الوزراء في 14 كانون الثاني 1949 وبرغم منحه بعض الحريات الدينية للشعب الا انه تم اضافة مادة الى قانون العقوبات التركي برقم 163 اكدت على فرض عقوبة السجن من عامين الى سبعة اعوام على من يقوم بتأسيس او تشكيل او تنظيم جمعية بهدف ديني او عقائدي تخالف علمانية الدولة[61].

شكلت انتخابات عام 1950 منعطفاً تاريخياً هاماً في مسيرة تركيا الديمقراطية، حيث انتصر الحزب الديمقراطي على حزب الشعب الجمهوري بأغلبية ساحقة، وليفقد الحزب الحاكم السلطة التي تولاها مدة (27) عاماً، فقد حصل الحزب الديمقراطي على نسبة 52.68% من الاصوات وفاز بـ397 مقعداً من مجموع 487 مقعداً في البرلمان، وتفرد بالسلطة، وتولى عدنان مندريس منصب رئيس الوزراء اما جلال بايار فانتخب رئيساً للجمهورية بعدما استطاع الحزب ان يوصل الى اذهان الناخبين الاتراك، ان الحزب الديمقراطي سيمنح حريات اكثر بشأن القضايا الدينية[62].

واستجاب مندريس لبعض طموحات الشعب واتاح لهم فرصة العيش طبقاً لتعاليم الاسلام، واظهر تسامح مع القضايا الاسلامية بأشكال شتى وصور مختلفة منها ان الاذان الذي كان يقام باللغة التركية اخذ يقام باللغة العربية مرة اخرى والذي عبرت عنه الصحف الاسلامية ووصفته (بأنهيار عهد الاصنام)، وذكر مندريس في 4 حزيران 1954 (ان الاجبار على تلاوة

الاذان باللغة التركية امر غير مقبول الان وتمارس الشعائر باللغة العربية)[63].

وخرج مئات الالاف من الاتراك من مختلف المدن التركية الى مدينة بورصة لارتباطها بالخلافة قبل يومين من الموعد المحدد لأعلان الاذان باللغة العربية يحملون طعامهم وشرابهم ليشهدوا صراخ الناس رجالاً ونساءاً واطفالاً يجهشون بالبكاء عند سماع نداء الله اكبر بعد ان حرموا من سماعه منذ عام 1923[64].

وتحولت دروس تدريب الامام الخطيب الى مدارس منظمة لتخريج الائمة والخطباء، وعادت الى الظهور المؤسسات الدينية التي ساهمت في انتصار الحزب الديمقراطي، حيث جرى تأسيس جمعيات هدفها بناء المساجد وتشكيل دروس القران من قبل افراد متطوعين في معظم قرى الاناضول، وقد اعرب الشعب عن ارتياحه لعودة هذه المؤسسات والجمعيات والطرق الصوفية الى الساحة، وكذلك فتح المزارات امام الزائرين من جديد، وفي عهد مندريس تم بناء (1500 جامع)، وتم بث البرامج الدينية في الاذاعة والتلفزيون وفتح اول معهد عالي الى جانب مراكز لتعليم القران الكريم[65].

ان هذا الامر يعد تحولاً وتطوراً مهماً جداً، خاصة انه يقع في دولة قطعت مدة من الركود الديني، ولكن مع هذه التطورات لم تفصل الدولة عن العلمانية .

ان هذه التغييرات التي ظهرت في بداية الخمسينيات جعلت الكثير من الطرق الصوفية تخرج من سريتها لتمارس نشاطها بشكل علني شيئاً فشيئاً، وساعدها على ذلك تنافس الزعماء السياسيين على كسب اصوات اتباعها عند اقتراب الاستحقاقات الانتخابية، وفي هذه المدة انقسمت النقشبندية الى ثلاثة تيارات تزعم كل واحدة شيخ نقشبندي وهي[66]:

1/ التيار الاول : وضم فئة الحرفيين والتجار الصغار من الطبقة الوسطى .

2/ التيار الثاني: وضم مجموعة من المثقفين واساتذة الجامعات ورجال الاعمال وزعماء بعض الاحزاب السياسية .

3/ التيار الثالث : وضم الطبقة البسيطة من الناس من اهل المدن والقرى والارياف .

ومن ابرز رجال الحركة في هذه المدة اسعد جوشان الاستاذ في كلية الألهيات في جامعة انقرة وخلف محمد زاهر افندي وكذلك الشيخ حلمي ايشيق والشيخ محمد اسطا عثمان والشيخ اسماعيل اغا، وازدهرت النقشبندية في النصف الاول من الخمسينيات، حيث رفدت الطريقة نشاطها بشبكة اعلامية على الساحة اهمها صحيفة (تركيا) والقناة التلفزيونية (شزاس) فضلاً عن مئات المدارس والمعاهد الدينية(67).

وعلى الرغم من توجيه عدنان مندريس وسائر مسؤولي الحزب الديمقراطي انتقادات الى الفكر العلماني الكمالي، الا ان الحكومة لم تلغ الاليات القانونية والادارية في سيطرة الدولة على المؤسسات الدينية، وجرى وصف الاسلام في الكتب الدينية المدرسية على انه دين لا يعارض التقدم، وعندما اخذ اعضاء الطريقة التيجانية يهاجمون بأستمرار تماثيل اتاتورك كانوا يعتقلون ويقدمون الى المحاكمة، كما تمت محاكمة النورسي ومفكرين اخرين . وفي عام 1953 اصدر البرلمان الذي كان يهيمن عليه الحزب الديمقراطي قانوناً منع بموجبه استخدام الدين لأغراض دعائية سياسية، وكان هذا الاجراء الذي يستهدف الاسلاميين الاصوليين يستمد قوته من جذور قيادة الحزب الديمقراطي وبنيته الاجتماعية لان معظم هذه القيادة كانوا من النخبة الكمالية، وكان موقف الحزب الديمقراطي من الاسلام متاثراً الى حد ما بالقوى العلمانية(68).

ويضاف الى ذلك ان الحزب الديمقراطي رفض ظهور أي حزب ذي مرجعية اسلامية خوفاً من ان يسحب منه القطاع الاسلامي العريض الذي كانت تتشكل منه القاعدة العريضة لحزبه، وكان حريصاً على التوازن بين

النزعتين الاسلامية والعلمانية، ففي الوقت الذي حقق بعض الحريات الدينية لم يمس او يغير المبادئ الكمالية[69].

لقد اثارت شعبية مندريس وانجازاته وتوسيعه لدائرة الحريات الدينية حفيظة بعض الاوساط المعادية للأسلام والتي تعتمد القوة في حل مشاكلها، فشهدت تركيا حركة معارضة لسياسات الحكومة داخل شباب الجيش وطلاب الجامعات، وتفجرت احداث شغب ومواجهات في الجامعات، وانهمرت امواج الطلبة في مظاهرات كبيرة في شوارع اسطنبول وانقرة في 18 نيسان 1960، وقام طلبة مدرسة القوات البرية بمسيرة صامته الى مجلس الشعب في انقرة احتجاجاً على سياسات مندريس، وكان المتظاهرون يدّعون ان مندريس يعتزم قلب النظام العلماني واقامة دولة دينية[70].

ومما يعطي لهذه التوجهات دعماً واضحاً ان مجلس الامن القومي ذو القاعدة الثقافية والاقتصادية العلمانية هو المهيمن على الحياة السياسية التركية، حتى الحزب ذو الاغلبية في البرلمان ليس له قوة اكبر من جيش يحكم نفسه بنفسه، ولا يخضع لسلطة رئيس الوزراء، وليس لرئيس الوزراء الا ان يوقع على قرارات المجلس ان قرر[71].

كل هذا دفع الجيش وهو المفوض دستورياً بالتدخل للقيام بانقلاب في 27 ايار 1960 حيث كان نهج الحزب الديمقراطي سبباً في غضب المؤسسة العسكرية التي قيمت الوضع على انه انحراف عن الاسس العامة للجمهورية التركية، ويرى بعض الكتاب ان الدعم الذي كان يلقاه سعيد النورسي وطلابه في فترة حكم الحزب الديمقراطي كانت من اهم الاسباب التي حركت الجيش للقيام بانقلابه[72].

ويبدو واضحاً ان المؤسسة العسكرية كانت غاضبة على عدنان مندريس وحكومته لتقربها للأسلاميين، ولعملها على تقليل ضغط العلمانية على

المجتمع التركي، وكانت نهاية حكومة الحزب الديمقراطي مأساوية فقد اعدم او سجن معظم الجهاز الحكومي وفي مقدمتهم جلال بايار وعدنان مندريس ورفيق كورلتان وجميع الوزراء[73] .

الخاتمة

نتيجة لتدهور الدولة العثمانية ونهايتها، وللضربات القوية التي وجهها مصطفى كمال للأسلاميين في الطرق الصوفية والاندية والجمعيات والصحافة، اضمحل النشاط الاسلامي في تركيا واصبح نشاطه محدوداً وسرياً للغاية، لكنه لم يمت كما أراد أتاتورك.

ان الظروف القاسية التي مرت بها تركيا اثناء الحرب العالمية الثانية رغم عدم مشاركتها فيها، ولاسيما الجانب الاقتصادي، جعلت الحكومة التركية تغير من سياسة البطش والقوة تجاه كل تحرك سياسي او ديني مناهض للعلمانية ولحزب الشعب، وهذا ما حصل بعد نهاية الحرب مباشرة وليكسب الاسلاميون جزء يسير من حقوقهم، بل ان التعددية الحزبية التي اصبحت سياسة تركيا ما بعد الحرب جعلت كل حزب يحاول كسب الاسلاميين مضمناً جزء من اهدافهم في برنامجه الانتخابي، وهذا ما فعله الحزب الديمقراطي ، وكذلك حزب الشعب الجمهوري ، حزب أتاتورك.

ان هذا الانفراج النسبي في السياسة التركية لصالح الاسلاميين ادى الى تغييرات جديدة لصالحهم، فأنشأت دور العبادة وافتتحت المدارس الدينية، ودرست المواد الاسلامية في المدارس التركية، كما نشطت الجمعيات والاندية الاسلامية، وعادت الصحافة الاسلامية للصدور.

ويبدو واضحاً ان سياسة الضغط والاكراه لا يمكن ان تستمر دائماً، فبموت اتاتورك بدأ التغير واضحاً، خاصة ان المجتمع التركي مجتمع اسلامي في تقاليده ومبادئه لا يمكن ان يتنازل عنها بسهولة. وكذلك تركيا دولة شرقية ومجتمعها شرقي ليس بالسهولة ان تصبح دولة غربية بالكامل لمجرد رغبة وعمل الحكومة التركية.

ان هذه التطورات على التيار الاسلامي في تركيا قبل عام 1960 تلتها تطورات لاحقة اكثر تنظيماً ودقة في العمل السياسي. فرغم تمسك الحكومة التركية بالعلمانية كشرط اساسي لكل توجه سياسي، الا ان العلمانية اضحت مرنة في تركيا بحيث تحاول كسب كل التوجهات السياسية، وبالذات الاسلامية.

وبهذا فان الصراع بين الاسلاميين والعلمانيين سيستمر ، والراجح ان الاسلاميين لهم قاعدة أعمق في المجتمع التركي، ولولا تدخل المؤسسة العسكرية التي ترعى النظام العلماني لما كان بأمكان هذا النظام الاستمرار الى وقتنا الحالي.

الهوامش

1. جراهام فولر، الحركة الاسلامية في تركيا، ترجمة محمود عبد الكريم، مؤسسة رافد للدراسات، 2000، ص5.

2. محمود الثاني: تولى السلطنة بين عامي 1808 و1839، وهو من السلاطين المصلحين، فاضافة الى انشاء جيش جديد وانهاء جيش الانكشارية عام 1826، قام بعدة اجراءات منها افتتاح مدارس حديثة ابتدائية وثانوية، ومدرسة للطب واخرى للحقوق يديرها مدرسون فرنسيون، وظهرت الجريدة الرسمية (تقويم وقائع) عام 1831، واسس دائرة للترجمة، واهتم بالقضاء والاراضي. يراجع: وديع أبو زيدون، تاريخ الامبراطورية العثمانية من التأسيس الى السقوط، عمّان، المكتبة الاهلية، 2003، ص ص224-225.

4. Bernard Lewis, The Emeregnce of Modern Turkey, London, 1968, P.419

4. الانكشارية: فرقة كان لها مركز ممتاز بين فرق الجيش العثماني . كانوا يختارون من الشبان المسيحين الذين ترسلهم سنوياً المدن المسيحية الخاضعة للعثمانين لخدمة السلطان، كانوا ينشأون على الولاء للسلطان. ومدربون عسكرياً. حصلت فرق الانكشارية اثناء القرنين السابع عشر والثامن عشر على سلطة كبيرة فكانت تنصب السلطان وتخلعه. قضى السلطان محمود الثاني على فرق الانكشارية عام 1826. يراجع: علاء موسى نورس، مدى مسؤولية الانكشارية في تدهور الدولة العثمانية، المجلة المغربية، 1992.

5. احمد نوري النعيمي، تركيا وحلف شمال الاطلسي، عمان، المطبعة الوطنية، 1981، ص29.

6. حامد محمود عيسى، القضية الكردية في تركيا، القاهرة، مكتبة مدبولي، 2002، ص47.

7. Geoffery Lewis, Modern turkey, London , 1974, P.44

8. جراهام فولر، المصدر السابق، ص6.

9. حادثة 31اذار: الحدث وقع بالضبط في13/ 4/ 1909 ولكن فرق التاريخ بسبب التقويم الغريغوري اصبح التاريخ المعروف 31 آذار، هذا الحادث هو عصيان مجموعة من الموظفين الدينيين الثانويين التي تغلغلت بين اوساط جنود حامية اسطنبول، طالب هؤلاء بالعودة الى الشريعة الاسلامية التي أدعوا ان الدستور حل محلها. وكانت تدفع هذا التحرك مجموعة الاتحاد المحمدي، أدت الى اسقاط حكومة كامل باشا. يراجع:

فيروز احمد، صنع تركيا الحديثة، ترجمة سلمان داود الواسطي وحمدي الدوري، بغداد ، بيت الحكمة ، 2000، ص87.

10. احمد عبد الرحيم مصطفى، أصول التاريخ العثماني، بيروت، 1982، ص247؛ محمد مصطفى الهلالي، السلطان عبد الحميد الثاني بين الانصاف والجحود، دمشق، دار الفكر، 2004، ص43؛ - Geoffery Lewis, Op. Cit, PP.52-53.

11. هيم كامل أوكي، السلطان عبد الحميد الثاني بين الصهيونية العالمية والمشكلة الفلسطينية، القاهرة، الزهراء للاعلام العربي، 1992، ص62.

12. فيروز احمد، المصدر السابق، ص88.

13. المصدر نفسه، ص95.

14. مجلة المنار، باريس، العدد 59 تشرين الاول، 1989، ص170.

15. ابراهيم خليل احمد وخليل علي مراد، ايران وتركيا دراسة في التاريخ الحديث والمعاصر، الموصل، 1992، ص ص243، 247.

16. محمد عزة دروزة، تركيا الحديثة، بيروت، 1976، ص32.

15. James P. Piscatori, Islam in The Political Process, Cambridge University Press, 1983, PP. 139-140

18. سليم الصويص، أتاتورك منقذ تركيا وباني نهضتها الحديثة، عمان ، مطبعة شنلر، د.ت، ص260.

19. فيروز أحمد، المصدر السابق، ص123؛

James P. Piscatori, Op. Cit. , P. 140 -

20. قاسم خلف عاصي الجميلي، تطورات واتجاهات السياسة الداخلية التركية 1923-1928، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الاداب ، جامعة بغداد، 1985، ص115.

21. جراهام فولر، المصدر السابق، ص7.

22. ابراهيم خليل أحمد وأخرون، تركيا المعاصرة، الموصل، 1988، ص158.

23. المصدر نفسه، ص247.

24. طارق عبد الجليل، الحركات الاسلامية في تركيا المعاصرة، القاهرة، 2001، ص47.

25. للمزيد من التفاصيل عن الحلف البلقاني يراجع: صبحي ناظم توفيق، الميثاق البلقاني ومعاهدة مونترو في وثائق الممثليات العراقية في تركيا، بغداد، بيت الحكمة، 2002، ص5 والصفحات التالية.

26. aqlam Online. Com

27. أدريس يووانو، مكونات التيار الاسلامي في تركيا، ص1 نقلاً عن:

www.arabgate.Com

28. طارق عبد الجليل، المصدر السابق، ص50.

29. أندرو فنكل ونوكهت سيرمان، تركيا المجتمع والدولة ، ترجمة حمدي حميد الدوري وعدنان ياسين مصطفى، بغداد، بيت الحكمة، 2002، ص338.

30. محمد الفاتح، مدخل الى فهم الحركة الاسلامية في تركيا، ص3 نقلاً عن:

www.alazrar.net

31. ديفيد مكدول، تاريخ الاكراد الحديث، ترجمة راج ال محمد، بيروت، دار الفارابي، 2004، ص ص304-306.

32. محمد الفاتح، المصدر السابق، ص3.

33. ديفيد مكدول، المصدر السابق، ص307.

34. المصدر نفسه، ص308.

35. الطريقة النقشبندية: تأسست في بخارى على يد محمد بهاء الدين النقشنبدي 1317-1389هـ وحمل الطريقة عنه الى الاناضول احد اتباعه وهو عبد الله السماوي في اواخر القرن الخامس عشر الميلادي لتنتشر في انحاء تركيا، إلا انها ارتبطت في تركيا بأسم الشيخ محمد اسعد الاردبيلي. يراجع: ابراهيم خليل احمد وآخرون، المصدر السابق، ص91.

36. فيروز احمد، المصدر السابق، ص139.

37. بديع الزمان سعيد النورسي: ولد بقرية نورس التابعة لناحية اسبارط قضاء هيزان شرق تركيا عام 1876 وتوفي عام 1960 ، وكان من

مؤيدي حركة الاتحاد والترقي، كما أيد المقاومة التي قادها مصطفى كمال وقد ابعد الى اسبارط عام 1909 وسجن عام 1925 . ويعد النورسي رجل فكر وحركة آمن بالجامعة الاسلامية. لاقى تعاوناً من الحزب الديمقراطي. يراجع: سعيد النورسي ، سيرة ذاتية، ترجمة احسان قاسم الصالحي، القاهرة، دار سوزلر للنشر، 1998، ص60.

38. المصدر نفسه، ص62.

39. حنا عزو بهنان التطورات السياسية في تركيا 1919، 1923، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الاداب، جامعة بغداد، 1989، ص ص65، 66.

40. أورخان محمد علي، سعيد النورسي رجل القدر في حياة امة، استانبول، دار شل للطباعة، 1995، ص44.

41. بديع الزمان سعيد النورسي، الملاحق، ترجمة احسان قاسم الصالحي، القاهرة، دار سوزلر للنشر، 1992، ص ص7، 8.

42. خورشيد دلي، الاحزاب الاسلامية في تركيا، ص1، نقلاً عن:

www.al-eman.com

43. ديفيد مكدول، المصدر السابق، ص330.

44. كريم محمد حمزة ودهام علي الجبوري، القوى الفاعلة في المجتمع التركي، بغداد، 2002، ص65.

45. طارق عبد الجليل، المصدر السابق، ص ص212، 214.

46. خورشيد دلي، المصدر السابق، ص2.

47. طارق عبد الجليل، المصدر السابق، ص24.

48. ديفيد مكدول، المصدر السابق، ص592.

49. الصفصافي احمد المرسي، الدين والسياسة في تركيا الحديثة والمعاصرة، كلية الاداب ، جامعة عين شمس، 1987، ص205.

50. طارق عبد الجليل، المصدر السابق، ص ص51، 52.

51. Binnez Toprak, Islam and Political Development in Turky , Leiden, 1981, P.79

52. خليل علي حيدر، الاسلاميون في تركيا، ص2، نقلاً عن:

Islam Onlin.net -

53. أدريس بووانو، المصدر السابق، ص9.

54. ابراهيم الداقوقي، فلسطين والصهيونية في وسائل الاعلام التركية، بغداد، 1987، ص78.

55. أبراهيم خليل احمد وآخرون، المصدر السابق، ص93.

56. ديفيد مكدويل، المصدر السابق، ص592.

57. ادريس بووانو، المصدر السابق، ص9.

58. محسن حمزة حسن العبيدي، التطورات السياسية الداخلية في تركيا 1946-1960، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الاداب، جامعة الموصل، 1989، ص85.

59. مركز المعلومات، الانتخابات التركية تحول تأريخي، العدد 600، 15 تشرين الثاني، 2002.

60. مصطفى الزين، أتاتورك وخلفاؤه، بيروت، 1982، ص266.

61. نوزات صواش، المعرفة ، 2004/10/3، www.aljazeera.net.

62. محسن حمزة العبيدي، المصدر السابق، ص92.

63. كريم محمد حمزة ودهام محمد الجبوري، المصدر السابق، ص39.

64. طارق عبد الجليل، المصدر السابق، ص70.

65. نوزات صواش، المصدر السابق، ص2.

66. ادريس يووانو، المصدر السابق، ص4.

67. خورشيد دلي، المصدر السابق، ص3.

68. جراهام فولر، المصدر السابق، ص9.

69. فيروز احمد، المصدر السابق، ص247.

70. احمد نوري النعيمي، ظاهرة التعدد الحزبي في تركيا، 1945-1980، بغداد، 1989، ص122.

71. المركز السياسي للدراسات والاستشارات، تركيا الهوية وصراع الخيارات ، لندن، 10 آب ،2002، ص2.

72. سيار كوكب الجميل ، العرب والاتراك الانبعاث والتحديث من العثمنة الى العلمنة، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية ، 1997، ص198.

73. ننوه للقراء الاعزاء ان هذا المبحث كان في الاصل مبحثا منشورا في مجلة جامعة بابل بعنوان اخر وهو مشترك مع زميلي الاستاذ الدكتور ماجد محي الفتلاوي وقد اخذت منه جزء واضفت اليه معلومات وملاحظات اخرى

المبحث السابع

نجم الدين اربكان الصعود الى السلطة

المقدمة

لم تثر شخصية تركية من الجدل والاختلاف في النصف الثاني من القرن العشرين ما أثاره السياسي والمفكر الإسلامي الأستاذ الدكتور نجم الدين أربكان ، الذي أسس خمسة أحزاب سياسية وحكم وسجن وحظر نشاطه السياسي غير مرة ، وفرضت عليه الإقامة الجبرية . فقد مثل ظهور سياسي إسلامي في تركيا العلمانية يرتقي إلى السلطة بالوسائل الديموقراطية دون أن يتخلى عن مبادئه الإسلامية هي ظاهرة فريدة بالنسبة

للدول الإسلامية . فالنظام العلماني طوال ثلاثة عقود كان يضع العراقيل تلو العراقيل أمام أربكان دون أن يثنيه ذلك عن مواصلة السير بأتجاه أسلمة المؤسسات العلمانية عبر طريق شاق ووعر، كانت له أصداؤه اللافتة للنظر لدى القارئ المسلم وأثيرت تساؤلات كثيرة في حينها حول إمكانية قيام تركيا من جديد بدور فاعل في الإسلام .

كانت تركيا طيلة الحكم العثماني راعية للدين الإسلامي وسببا في وصول الإسلام إلى جنوب ووسط أوربا ، وأزالت من الوجود ممالك وإمارات أوربية قوية ، ومن ثمة أصبح هاجس الخوف من الإسلام مرتبطاً بتركيا ، لذلك سعت الكنيسة الكاثوليكية والصهيونية الماسونية إلى سلخ تركيا من تراثها الروحي وجذرها الإسلامي ، وإن أية محاولة لإعادة تركيا إلى صفوف الدول الإسلامية يقظ مضاجع الاوربيين قبل دعاة العلمانية في تركيا ، وأثبتت الأيام أن الكمالية لم تضرب بجذورها داخل المجتمع التركي وكانت طلاء باهتا لحقيقة مضمونها أن هذا المجتمع لم يتخل عن موروثه الإسلامي . فكان الصراع سياسيا واجتماعيا وفكريا بين التغريب والأسلمة ، لكن انحياز الدولة صوب التغريب جعل كفته الأرجح دائما ، مع ذلك لم يثن الإسلاميين عن مواصلة طريق إحياء الهوية الإسلامية لتركيا .

وفي بحثنا هذا سعينا لتتبع منعرجات المواجهة بين الإسلاميين والعلمانيين ودور نجم الدين أربكان فيها ، ويمكن أن نستشف من ذلك الآتي :- ليس من قبيل المبالغة أو الانحياز أن يؤشر على نجم الدين أربكان بوصفه القائد الفعلي للحركة السياسية الإسلامية المعتدلة في تركيا بفعل عوامل عديدة منها مطاولته عبر أكثر من ثلاثة عقود وإصراره على أهدافه التي آمن بها وجاهد وعوقب من أجلها غير مرة ولم يتزحزح عن مواقفه الإسلامية أو يلجأ إلى ألتخلي عنها تحت أي ظرف من الظروف . إن برامج كل الأحزاب التي أسسها أربكان بدءاً من النظام والسلامة والرفاه والفضيلة والسعادة ، تنطلق من أساس إسلامي ثابت على الرغم من كل ما نتج هذا الأساس من ضرر لمؤسسها وأصحابه .

حاول أربكان المزاوجة بين الإتجاه الإسلامي والديمقراطية بمعنى إنه أراد أن يتولى الإسلام قيادة تركيا لكن بالأسلوب والمنهج الديمقراطي ، فلم

يسع إلى إعلان ثورة إسلامية على غرار إيران ، ولم يلجأ إلى التنظيمات السرية أو الحركات المتشددة التي تؤمن بالعنف وسيلة لتحقيق الأهداف السياسية . في سلوكه كان منسجما دائما مع الاعتبارات الدستورية وحتى مغادرته لمنصبه رئيسا للوزراء قد جاء وفقا لهذه الاعتبارات ، فضلا عن ذلك إن انتقاداته لممارسات خصومه كانت دائما من خلال التنبيه على خرقهم للدستور وللممارسات الديمقراطية فقدم انطباعا مغايرا عن المسلم السياسي فظهر رجلا أنيقا في ملبسه واسعا في تفكيره يحوز أعلى الشهادات في التخصصات العلمية ويجيد كل مقتضيات السلوك العصري المهذب .

استخدمت في هذا البحث مجموعة من المصادر التي تناولت التاريخ التركي المعاصر واهمها كتاب (السيف والهلال) لرضا هلال وهو كتاب مهم تناول الطموحات للحركات الاسلامية في مواجهة العلمانية ودعم الجيش للعلمانية وانقلاباته المتكررة كلما شعر قادة الجيش بتوسع نطاق النظام الاسلامي او عودته الى السلطة في تركيا . كما استخدمت كتاب (تركيا وقضايا السياسة الخارجية) لخورشيد حسن دلي وهو كتاب بحث في معطيات ومتغيرات السياسة الخارجية واثر الجيش وتدخل الدول العظمى او ضغطها احيانا على السياسة الخارجية التركية ، واستطيع القول الذي افادني كثيرا هي رسالة الباحثة منال محمد صالح والذي وجدت فصلا منها منشورا في مجلة جامعة كركوك حيث تناولت الرسالة فكر اربكان الاصلاحي الاقتصادي ومدة رئاسته للوزراء ومعالجاته للازمة الاقتصادية ورغبته في انشاء سوق اسلامية مشتركة كبديل للسوق الاوربية التي حاول السياسيين الاتراك الانضمام اليها لتحسين مستوى الاقتصاد التركي .

وفي الختام ارجو ان يكون البحث اضافة علمية يستفيد منها الباحثين وطلبة الدراسات العليا المختصين بالشأن التركي ، والله من وراء القصد .

اولا :اربكان ـ نشأته ، دراسته ، افكاره

نشأته :

ولد نجم الدين أربكان في 29 تشرين الاول عام 1926م في مدينة "سينوب" على ساحل البحر الأسود ، وأنهى دراسته الثانوية عام 1943م ثم تخرج في كلية الهندسة الميكانيكية بإسطنبول عام 1948م ، وكان الأول على دفعته فاشتغل معيدًا في الكلية نفسها ، ثم أرسلته جامعته في بعثة علمية إلى جامعة "آخن" الألمانية وقد ابتكر عدة ابتكارات وهو يدرس في ألمانيا لتطوير محركات الدبابات . أنهى الدكتوراه في ألمانيا في سنٍّ مبكرة ، عام (1956) ، وعمل أثناء دراسته في ألمانيا رئيسا لمهندسي الأبحاث في مصانع محركات "كلوفز - هومبولدت - دويتز" بمدينة كولونيا. وقد توصل أثناء عمله إلى ابتكارات جديدة لتطوير صناعة محركات الدبابات التي تعمل بكل أنواع الوقود ، وأخَذ أربكان صدًى واسعًا في الأوساط العلميَّة الألمانية ، وعَمِل بجانب أكبر المختصين الألمان في ذلك الوقت ، وبعد رجوعه إلى تركيا عُيِّن أستاذًا مساعدًا ، ليُعَد أصغرَ أستاذ مساعد في تركيا وكان عُمره عندئذ 27 عامًا[1] .

وترقَّى أربكان في مناصبه العلمية ، حتى وصَل إلى أن أصبح "بروفسورًا" ، جاءت له فرصةٌ لأن يمكثَ في ألمانيا للعمل ، إلا أنه رفَض ، وقال: أنا أخذتُ العلم لأخدم بلدي ، فقام ووضَع حجرَ الأساس للصناعة القوميَّة ، حتى لا يكون الأتراك محتاجين إلى الغرب ، وكان أول إنجازٍ له تأسيس أوَّل مصنع للمحرِّكات ، والتي أصبحتْ تُنْتَج في كل أنحاء تركيا ، وتُصْنع ببراءة الاختراع إلى الآن، أسس مصنع "المحرك الفضي" مع نحو ثلاثمائة من زملائه. وقد تخصص هذا المصنع في تصنيع محركات الديزل ، وبدأ إنتاجها الفعلي عام 1960، ولا تزال هذه الشركة تعمل حتى الآن ، وتنتج نحو ثلاثين ألف محرك ديزل سنويا واستطاع أن يُخْرِج هو وزملاؤه أوَّل "أوتوموبيل" قومي[2] .

عمِل اربكان أستاذًا بجامعة إسطنبول ، كما كان عضوًا بارزًا في حزب العدالة برئاسة سليمان ديميريل ، وكذلك لمع اسمه كواحد من رجال

الصناعة في تركيا بعدما تولى عددًا من المناصب التجارية والاقتصادية خلال عقد الستينيات من القرن الماضي . قبل ظهور الأستاذ أربكان سعَتْ جميع الأحزاب بشتَّى أفكارها لاستقطاب الشخصيات الإسلامية ؛ للاستفادة من أصواتها في الانتخابات ، وكسْب تأييدها ، ولقد بدأ الأستاذ أربكان بالظهور رسميًّا على الساحة السياسية عام 1969. هو العام الذي وُلِدت فيه حركة نجم الدين أربكان ونشَأ ما يُسمى بـ: الإسلام السياسي، وهو نقطة الكسْر في العلاقة بين الدين والسياسة في تاريخ تركيا الحديث ، ولم يُخْفِ الرجل حينها ميوله الإسلامية - التي أثارت حوله جدلاً واسعًا من قبل العلمانيين الأتراك الذين بدأوا حينها حربًا إعلامية ضده ، مما جعل ديميريل يرفض إدراج اسمه على قوائم الحزب الانتخابية في انتخابات 1969م تأكيدًا على الطابع العلماني لحزب العدالة ، بعدما شعر بتنامي قوة المجموعة ذات التوجه الإسلامي داخل حزبه [3]. وقد لقب (بأبو السبعة ارواح) و(الخوجة)[4].

افكاره :

نشأ أربكان في كنف الطريقة النقشبندية برعاية شيخها "محمد زاهد كوتكو"[5] ، وأنشأ عام 1970 بدعم من تحالف طريقته مع الحركة النورسية حزب النظام الوطني الذي كان أول تنظيم سياسي ذا هوية إسلامية تعرفه الدولة التركية الحديثة منذ زوال الخلافة عام 1924[6] .

صنع أربكان تيارا سياسيا واسعا أطلق عليه حركة «مللي جوروش» (فكر الأمة) عام 1969م ، وهي حركة تعكس أفكاره ورؤاه ، فقد أفرزت هذه الحركة كافة الأحزاب التي ألفها أربكان خلال نضاله السياسي ، بدءا بحزب النظام وانتهاء بحزب السعادة ، وحركة «مللي جوروش» هي أول حركة اسلامية ذات آلية تنظيمية حقيقية قامت في تركيا بعد سقوط الخلافة العثمانية ، وهي اسلامية تتبنّى الاسلام في منهجها وتدافع عن قضايا المسلمين في أنحاء العالم ، بالاضافة الى دخولها العمل السياسي ، والذي

يُعَدُّ من أهم انجازاتها ، حيث استطاع رائدها ان يصل الى سُدة الحكم ، ويقدم نموذجه الاسلامي القائم على الاستقلال الاقتصادي ، واعطاء أهمية كبيرة للتربية .

وتقوم هذه الحركة على ثلاثة أعمدة أساسية لها ، وهى (المعنويات ، واعتلاء الحق ، وتربية النفس) والمعنويات تقوم على أساس ان العمل في الحركة هو الارتباط بالله عز وجل ، وهو شكل من أشكال الجهاد ، والسياسة أداة من أدوات الحركة ، فهي تستخدم السياسة كأداة للعمل لخدمة الاسلام ، أما فكرة الاعتلاء بالحق فتنطلق من ان الحضارة المعاصرة تحتل صدارتها بالقوة لا بالحق ، ولذلك يجب اعادة ميزان الصدارة والعلو ليكون بالحق ، أما فكرة تربية النفس فتنطلق من التسليم بأوامر الله عز وجل والمحاسبة الدائمة للنفس ، والاستعداد ليوم القيامة .

ويعتقد أربكان ان هذه الأعمدة الثلاثة هي كيمياء الحركة ، وهي التي تمنح الأفراد الملتزمين بها الهداية بمعرفة الحق والباطل ، والفراسة بالفصل بينهما ، والدراية بطرق الدفاع عما تؤمن أنه حق ، ويعتقد أربكان ان الشخص الذي يمتلك تلك الهوية يستطيع ان يؤسس حضارة[7] .

تأسيس حزب النظام الوطني :

تولى البروفيسور أربكان رئاسة مجلس إدارة شركة مصانع المحرك الفضي (1956 - 1963م) ، إلى جانب منصب مديرها العام ، ثم تولى منصب الأمين العام لاتحاد غرف التجارة والصناعة والبورصة التركية في عام 1967م ، وفي عام 1968م أصبح رئيساً للاتحاد حيث تخصصت الشركة التي اسسها اربكان وزملاؤه في تصنيع محركات الديزل وبدأت إنتاجها في عام 1960[8].

وكان هناك مجموعة من التجار محتكرين هذه الصناعة ، فاجتمعوا به وقالوا له(إما تغلق المصنع أو نضربك في السوق) فقال لهم (التوفيق من الله) . فبدأوا ينزلون في الأسعار إلى أقل من سعر التكلفة لإخراجه من

السوق ، فذهب لمدير غرفة التجارة اشتكي عليهم لمخالفتهم القوانين ، وفوجئ بأنهم قد رشوه فأصبح يتجاوز لهم ، لهذا قرر خوض انتخابات غرفة التجارة ، وفعلاً دخل الانتخابات وفاز وأصبح هو مدير غرفة التجارة ، وكانت هذه بداية تحول أربكان من التجارة إلى السياسة ، ثم بدأ يواجه مشاكل مع وزير التجارة الذي كان مرتشياً أيضاً[9] .

فذهب للحزب الأقوى في الانتخابات وقال لهم: أنا أضمن لكم أصوات الإسلاميين بشرط أن أكون معكم وآخذ وزارة التجارة ، وفعلا وافقوا وفازوا بالانتخابات وأعطي أربكان حقيبة وزارة التجارة ، فبدأ بإصلاحات واسعة ، وفتح المجال للتجار الإسلاميين ، فبدأ رئيس الوزراء يضايقه ، وهنا جاءت فكرة إنشاء أول حزب إسلامي سياسي تركي ، وأسس حزب «الخلاص الوطني» ، كما كان سليمان ديميريل له دور للتحول في حياة أربكان ؛ عندما رفض ديميرل ادراج اسم اربكان في قوائم مرشحيه للانتخابات ، حيث رشح نفسه كنائب مستقل عن مدينة قونية ، التي كانت على امتداد تاريخ تركيا الإسلامي ، معقلاً إسلاميًّا ، وبالفعل استطاع أربكان تحقيق نصر كبير بفوزه بأغلبية أصوات أبناء المدينة.

ولم يكتف أربكان بهذا بل بمجرد دخوله البرلمان استطاع لم شمل النواب الإسلاميين في البرلمان ليقوموا تحت زعامته في عام 1970م بإنشاء حزب جديد باسم "النظام الوطني" يعبّر ولأول مرة منذ إسقاط الخلافة عن ارتباطه الصريح بالإسلام ؛ حيث ورد صراحة في بيانه التأسيسي: "أما اليوم فإن أمتنا العظيمة التي هي امتداد لأولئك الفاتحين الذين قهروا الجيوش الصليبية قبل ألف سنة ، والذين فتحوا إسطنبول قبل 500 سنة ، أولئك الذين قرعوا أبواب فيينا قبل 400 سنة.. وخاضوا حرب الاستقلال قبل خمسين سنة.. هذه الأمة العريقة تحاول اليوم أن تنهض من كبوتها تجدد عهدها وقوتها مع حزبها الأصيل (النظام الوطني) الذي سيعيد لأمتنا مجدها التليد ، الأمة التي تملك رصيدًا هائلاً من الأخلاق والفضائل يضاف إلى

رصيدها التاريخي ، وإلى رصيدها الذي يمثل الحاضر المتمثل في الشباب الواعي المؤمن بقضيته وقضية وطنه"[10].

وقد لاقى الحزب قبولاً كبيرًا من الشعب التركي ، خاصة من التجار الصغار والحرفيين والرجال المتدينين في الأناضول ، فتوسع الحزب في مدة قصيرة جدًّا وبدأ يشكل تهديدًا خطيرًا للأحزاب العلمانية[11] .

بالطبع لم يحتمل العسكر طويلاً مثل هذه المستجدات على الساحة التركية فجاءت ضربة الجيش التركي عن طريق القيام بثاني انقلاب عسكري بعد أتاتورك ، وفي شهر نيسان من عام 1971م أقامت الحكومة دعوى ضد الحزب ، فأصدرت محكمة أمن الدولة العليا قراراً بحلِّ حزب النظام الوطني ومصادرة أمواله وممتلكاته بعد أن جرَّمته بتهمة انتهاك الدستور العلماني ، والعمل على إلغاء العلمانية ، وإقامة حكومة إسلامية في تركيا ، و العمل ضد مبادئ أتاتورك ، وحكمت المحكمة بمنع أي عضو في الحزب من العمل في حزب آخر، أو تأسيس حزب آخر، أو ترشيح نفسه للانتخابات ولو بشكل مستقل ، وذلك طيلة خمس سنوات ، وبعد صدور حكم محكمة أمن الدولة العليا بحلِّ حزب النظام الوطني وحرمان مؤسسه وأعضائه من العمل السياسي لمدة خمس سنوات غادر البروفيسور أربكان تركيا[12].

حزب السلامة الوطني :

شعاره (سبابة متجهة الى الاعلى) وتعني عندهم (الله واحد) ، شارك في الحكم في ثلاث وزارات ائتلافية واحدة مع حزب الشعب الجمهوري واثنان مع حزب العدالة[13] . لم ييأس أربكان وعاد -بعد 17 شهرًا من إغلاق حزب النظام- ليؤسس حزبًا جديدًا بأسم "السلامة الوطني" في 11 تشرين الاول 1972م، ولكن بزعامة شخص آخر هو رفيقه في حزب النظام الوطني سليمان عارف ، إذ كان من الصعب تولية نجم الدين أربكان ،

خاصة وأن الحزب كان مُقدم على انتخابات عام 1973م ، التي نجح الحزب في خوضها تحت زعامة سليمان عارف ، وحصل على 48 مقعدًا بالبرلمان التركي ، ثم ليعلن عارف إخلاء موقعه لزعيم حزب السلامة الحقيقي نجم الدين أربكان[14] .

حانت الفرصة عندما احتدم الخلاف بين الحزبين الرئيسين في البرلمان (حزب العدالة والشعب الجمهوري) فاضطُرا للائتلاف مع حزب السلامة الوطني بزعامة أربكان ، الذي استثمر هذه الفرصة ببراعة واستطاع الحصول على سبع وزارات مهمة - منها الداخلية والعدل والتجارة والصناعة- في الحكومة الائتلافية في عام 1974م ، بل وتقلد أربكان منصب نائب رئيس الوزراء ليستطيع بذلك أربكان أن يصنع أول اختراق إسلامي حقيقي للسلطة التنفيذية في الجمهورية العلمانية منذ تأسيسها على يد أتاتورك[15] .

وقد حدث في هذه المدة الغزو التركي لقبرص، و كان غزوًا عسكريًا تركيًا بدأ في 20 تموز عام 1974 وحتى شهر اب من العام نفسه . ونزلت القوات التركية على الاراضي القبرصية ردًا على دعم المجلس العسكري اليوناني للانقلاب على نظام الحكم في قبرص وانتهى التدخل التركي في شهر أب من العام نفسه ، وقد انتهت العملية العسكرية بانتصار القوات التركية ، بعد انزال تركيا لجنودها في الجزء الشمالي من جزيرة قبرص في بداية الحرب (20 تموز عام 1974)، وسقوط المجلس العسكري اليوناني في أثينا بعدها بثلاثة أيام ، واعلان استقلال جهمورية شمال قبرص التركية على الجزء المحتل من شمال قبرص[16].

اصل الازمة القبرصية :

بدأت المشكلة مع نيل قبرص الموحدة استقلالها من بريطانيا في أب 1960م ، فقد حصل الاستقلال بعد أن اتفق كل من القبارصة الأتراك واليونانيون على الغاء خطتي الإتحاد مع اليونان ومع تركيا ، وضم الاتفاق أن تحكم قبرص بموجب الدستور الذي يقسم المناصب الوزارية والمقاعد البرلمانية ووظائف الخدمة المدنية على نسب متفق عليها بين الطائفتين ، ولكن هذا التقسيم لم يحل المشكلة ، وخلال ثلاث سنوات من الحكم بدأ التوتر يطفو على السطح بين القبارصة اليونانيين والأتراك[17] .

في 15 تموز 1974 قام القبارصة اليونانيون بانقلاب عسكري يدعمهم المجلس العسكري اليوناني وعزل الرئيس مكاريوس من منصبه وتولى نيكوس سامبسون فادعت تركيا أنه وبموجب معاهدة الضمان لعام 1960 فإن الانقلاب كان سببا وجيها للقيام بعمل عسكري لحماية الشعب القبرصي التركي ، فشرعت تركيا بإرسال حملة عسكرية إلى قبرص يوم 20 تموز 1974 ، فشل الانقلاب بعد تدخل تركيا العسكري وعاد مكاريوس إلى قبرص . وبدأت القوات التركية بالشروع في السيطرة على شمال الجزيرة (حوالي 37 ٪ من اجمالي مساحة قبرص) بعد عدة عمليات عسكرية في 1974م[18] .

وفي القضية الفلسطينية ضغط أربكان على الحكومة الائتلافية ، إذ ما لبث أن صوتت تركيا في الأمم المتحدة لأول مرة منذ إعلان الجمهورية لصالح الحق الفلسطيني في استرداد أرضه المغتصبة من قِبل الصهاينة ، بل وزادت الحكومة بضغوط من جناح أربكان بالتصويت إلى جانب القرار الدولي الذي يعد الصهيونية حركة عنصرية ، فضلاً عن اعتراف تركيا بمنظمة التحرير الفلسطينية كممثل شرعي للشعب الفلسطيني[19] .

استطاع أربكان كذلك أن يحقق العديد من النجاحات ، مثل قيادة حملة للتنمية الصناعية ، مركّزًا على الصناعات الثقيلة ، إذ نجح في إقامة 70 مصنعًا خلال سنتين ، وذلك فضلاً عن افتتاح 30 مدرسة ، كما بلغ في عهد هذا الائتلاف عدد طلاب مدارس الأئمة والخطباء ما يزيد عن خمسين ألف طالب ، وعدل الاسم بموجب قانون 1739لعام 1973 لتكون(معاهد امام-خطيب) وسمح لخريجي هذه المعاهد بالدخول الى الجامعة التركية ، كما اقرت الحكومة الائتلافية في العام 1974-1975 التربية الاسلامية مادة الزامية في المرحلتين الابتدائية والمتوسطة[20].

كما شهدت هذه المدة بداية ظهور الشاب رجب طيب أردوجان الذي تخرّج من مدارس الأئمة والخطباء ، وتولى منصب رئيس فرع الحزب في مدينة إسطنبول ، ولاقى نشاطه إعجاب الزعيم نجم الدين أربكان ، ثم ليتحول بعد ذلك الإعجاب إلى احتضان ورعاية للشاب الموهوب أردوجان ، الذي تنبأ له أربكان بمستقبل باهر[21].

وعندما شعر حزب السلامة بقوته ، وبأنه صار جزءًا من الحياة السياسية في تركيا ، شرع مُنَظِّرو الحزب بشن حملة إعلامية منظمة على أسس العلمانية في تركيا وبينوا للناس إن الإطار السياسي لتركيا الجديدة يناقض المبادئ الأساسية للإسلام ، حيث يقضي الإسلام بتوحيد السلطات السياسية والدينية تحت سيطرة الدين ، وفي هذا المعنى ، فإن العلمانية ، والنظام العلماني ضد الإسلام ، والشريعة والدين وخاصة تطبيقها في تركيا ، وإن الخونة والكذابين هم وحدهم الذين يقولون بأن الدين والسياسة شيئان منفصلان ، لأن المسلمين لا يفصلون شؤون الدنيا عن شؤون الآخرة . وإن خالق القوانين الإسلامية هو نفسه خالق الإنسان ، لقد خلق الله الإنسان وفق هذه القوانين . وإن الإسلام نظام يصلح لكل زمان ، فهو يمثل كلاً من الدين والدولة ، وإن القرآن لم ينزل ليقرأ في القبور أو يغلق عليه في أماكن العبادة ، وإنما أنزل القرآن ليحكم . إلى جانب مطالبة الحزب بقطع

العلاقات مع الكيان الصهيوني ، وضرورة وقف التعامل بالربا ، ووقف محاولات الانضمام إلى السوق الأوربية المشتركة ، وتركيزه على الدعوة لإنشاء سوق إسلامية مشتركة[22] .

وبقدوم عام 1980م كانت السماء السياسية في تركيا ملبدة بالغيوم وتنذر بالكثير من الصواعق الخطرة ، فلقد نفذ صبر جنرالات الجيش التركي – حارس العلمانية - فأخذوا يتحينون الفرصة للانقضاض على حزب السلامة وزعيمه أربكان .

وكانت الشرارة عندما أقام حزب السلامة مهرجانًا جماهيريًّا في مدينة قونية بعنوان "تحرير القدس"، وحضره مائة ألف تركي ، وعلته الشعارات الإسلامية ، والهتافات المنادية بتأسيس دولة إسلامية ، فسارع الجيش التركي بالانقلاب والاستيلاء على السلطة في 12 ايلول 1980[23].

واتخذ الانقلابيون قرارًا بحظر حزب السلامة الوطني ، ووجهت لزعيمه أربكان وزملائه المجاهدين تهم تدور حول حرص حزب السلامة على إعادة دولة الإسلام لتركيا والتخلص من الأفكار العلمانية والمبادئ الكمالية[24] .

ثانيا : اربكان وتأسيسه للأحزاب الاسلامية

اربكان وحزب الرفاه الاسلامي :

بعد مرور ثلاث سنوات على الانقلاب العسكري رفعت معظم القيود عن النشاط السياسي ، وسُمح للأحزاب السياسية بالتشكيل من جديد ، وكان من بين الأحزاب التي شكِّلت في هذه المدة "حزب الرفاه الإسلامي"، الذي تقدم المحامي علي توركان بطلب لوزارة الداخلية التركية في 9 اب 1983م لتأسيسه، بتنسيق مع زعماء حزب السلامة ، ومراعيًا أن يكون برنامجه الإسلامي أكثر غموضًا من برنامجي النظام والسلامة ، وتم قبول الحزب ،

وما أن رُفع الحظر عن السياسيين التابعين لحزب السلامة بزعامة أربكان إلا وسارعوا بالانضمام لحزب الرفاه في ايلول 1987م ، ليتم اختيار نجم الدين أربكان رئيسًا للحزب في 11 تشرين الاول من العام نفسه .

واستطاع حزب الرفاه بزعامة أربكان تحقيق فوز كبير في الانتخابات البرلمانية لعام 1991م ليعود إلى البرلمان التركي بـ 62 نائبًا ، وتتوالى نجاحاته باستحواذه على نسبة 18% من إجمالي الأصوات في الانتخابات المحلية التي أجريت في ايار 1994م ، ويفوز برئاسة البلديات العامة في 6 مدن كبرى على رأسها إسطنبول التي تولّى رئاستها تلميذ أربكان النجيب رجب طيب أردوكان(25).

ثم يكلل أربكان نجاحاته السابقة بانتصاره الأكبر الذي حققه في الانتخابات النيابية عام 1995م بنسبة 21% من إجمالي أصوات الشعب التركي ، ليبلغ حزب الرفاه ذروة صعوده السياسي ؛ فلأول مرة يستطيع حزب إسلامي تحقيق المركز الأول من بين أحزاب البرلمان ، ليفرض حزب الرفاه نفسه حجرًا للزاوية في أي تشكيلة حكومية جديدة يراد لها الاستقرار والاستمرار، ويفتح أخيرًا المجال أمام وصول أول إسلامي إلى رئاسة الحكومة في تركيا ، وذلك عن طريق الائتلاف الذي ترأسه زعيم الرفاه نجم الدين أربكان ، بمشاركة حزب (الطريق القويم او الطريق الصحيح) في حزيران 1996(26).

ان النموذج الذي صنعه اربكان حقق نتائجه عند اول تجربة له في المشاركة بالحكم وانعكس ذلك جليا في اختيار الحقائب الوزارية التي أسهمت في تحقيق نموذجه ، ففي عام 1996 عهد اليه الرئيس التركي سليمان ديميرل برئاسة الحكومة من خلال تحالف مع زعيمة حزب الطريق الصحيح (تانسو شيلر) تقاسم بموجبه اعضاء الحزبين المناصب السياسية ،

وخلال مفاوضات تقسيم المناصب ركز اربكان على الوزارات التي ترتبط بنموذجه ، فمنح شيلر كل المناصب السيادية التي تثير حساسية العسكر (الخارجية ، الدفاع ، الداخلية ، التعليم ، الصناعة والتجارة) ، في حين تولى الرفاه الوزارات الخدماتية (المالية ، الزراعة ، العمل ، الشؤون العامة) ولم تفلت من يديه سوى وزارة التربية التي مثلت اكبر مطالبه واستعاض عنها بوزارة الثقافة لتساعده في نشر ارائه وافكاره(27) .

وقام أربكان بطرح رؤيته الاقتصادية التي لا تعالج الوضع المتدهور في تركيا فقط , بل تعد علاجًا لأزمات العالم أجمع ، وذلك من خلال بلورته للـ"نظام الاقتصادي العادل" الذي يعالج فيه أمراض تركيا الاقتصادية والتي عدّها في خمسة أمراض هي:

1- الربا.

2- الضرائب المجحفة.

3- صك النقود بلا رصيد.

4- النظام المصرفي الجائر.

5- نظام القروض(28).

كما دعا أربكان من خلال رؤيته لاعتماد السوق الإسلامية المشتركة بديلاً عن السوق الأوربية المشتركة(29).

إلى جانب ما أنجزه أربكان على الصعيد الديني حيث أقام جامع ضخم في منطقة "تقسيم" –أحد الأحياء الراقية في إسطنبول- ، وآخر في محيط القصر الجمهوري في أنقرة ، وسماحه للموظفات بارتداء الحجاب في الدوائر الرسمية ، والسماح للحجاج بالتوجه لأداء مناسك الحج كل سنة برًّا عبر الأراضي السورية توفيرًا للنفقات بدلاً من إلزامية التوجه جوًّا(30) .

فكر اربكان الاصلاحي :

تقوم فلسفة اربكان الاصلاحية المسماة (النظام الاقتصادي العادل) على طرح مناهج اصلاحية تتناول الجوانب المختلفة للمجتمع التركي ومن بينها الاقتصاد ، حيث يرى ان دور الدولة يجب ان يتمثل بأعداد الخطط للمناطق المختلفة وخطة عامة للدولة ككل وللفعاليات الاقتصادية ليسيرها الافراد بحيث تكون الدولة مجرد مساعد لهم في فعالياتهم وبحيث يستطيع المواطن في قطاع الزراعة والصناعة والخدمات ان يختار المشروع ذو الربح الجيد ويعمل اما عن طريق الافراد او عن طريق الشركات او الافادة من الاوقاف ، كما يجب على الدولة ان لا تقتصر بخدماتها على كبار المستثمرين وانما تفتح المجال لكل شخص لاختيار المشروع الذي يناسبه مع تحديد الضرائب وسعر الصرف ، وقال اربكان" انه يجب ان لايكون سبيلنا الاقتصادي من اتى الي بمشروع سأدعمه) ، فمن حق المواطن الحصول على القروض التي يطلبها ، ويجب على الدولة تجنب طبع العملات بدون رصيد لان ذلك سيؤدي الى خلل في الاستقرار[31].

دعا اربكان الى تقليل الضرائب الباهضة التي تجنيها الدولة ، وهذا يعني حرمان الدولة من مورد مهم من مواردها الا انه يرى بأن فرض ضرائب عالية لها انعكاس سلبي على الاقتصاد حيث انها ستقلل من نسبة الاستهلاك لدى الطبقات الدنيا وبالتالي سيقل الطلب على الانتاج فيضعف الانتاج[32] .

من وجهة نظر اربكان ان بأمكان الدولة دعم مواردها بطرق اخرى من خلال ملكيتها لعدد كبير من الموارد من امثال الغابات والمعادن والمؤسسات العامة التي تستطيع ان تتيح للمستثمر الافادة منها لقاء حصة معينة ، وعليه يرى اربكان ان على الدولة فرض الضرائب مقابل الخدمات التي تؤديها وليس من حق الدولة فرض الضرائب كيفما تشاء لتخالف بذلك (النظام الاقتصادي العادل)[33] .

اما فيما يتعلق بالفوائد (الربا) فقد عالجها اربكان في النظام الاقتصادي العادل بوضعه لسبعة انواع من القروض كلها بدون فائدة ولا تسبب التضخم وهي (الشراكة ، القروض مقابل حق مكتسب ، القرض مقابل العمل ، القروض مقابل الرهن ، القروض مقابل سندات السهم او الطلب التجاري) وسندات السهم تحل محل التي يصدرها النظام الرأسمالي (الربوي) ، أكد اربكان انه في حالة تطبيق اسس النظام العادل فأن الاسعار سترخص ولن يكون هناك تضخم لان التضخم هو مرض النظام الرأسمالي وسيزيد الانتاج وتزول البطالة وتزداد الصادرات ، لأن الاسعار في الدولة التي تطبق النظام الاقتصادي العادل ستكون ارخص من مثيلاتها في اي مكان اخر وهذا يمنع الخلل من توزيع الثروة القومية ، طرح اربكان سوق اسلامية مشتركة بديلا (للسوق الاوربية المشتركة) ، لامتلاك العالم الاسلامي ثروات هائلة ونسبة سكان عالية تتجاوز 5،1 مليار نسمة ، وهذا يمكن ان يخلق سوقا اقتصاديا ضخما تلبي احتياجات اقطاره وتحقق نهضة كبيرة وشاملة(34) .

اربكان رئيسا للوزراء :

عندما تولى اربكان رئاسة الحكومة التركية حزيران 1996 طرح برنامجه الحكومي على البرلمان التركي وتضمن ثلاث محاور تهم الجمهور وتؤكد على الناحية الاقتصادية والتحول من النظرية الى التطبيق ، والاستمرار في محاربة الفساد والرشاوي التي كانت متفشية سابقا ، ووضع خطط صناعية ومشاريع كبرى مثل خطوط الغاز والبترول ومحطات الهيدروليك والمحطات النووية والحرارية ، وكان من بين المشاريع التي سجلت لصالح حكومة اربكان اقرار انشاء مفاعل نووي لانتاج الطاقة الكهربائية في موقع (ال كويونلو) التابع لقضاء سليفه على البحر المتوسط قبالة جزيرة قبرص ، كما عمل اربكان مع قضية الديون الداخلية والخارجية والضرائب واوجد الحلول لها .

اما في علاقاته الخارجية فقد نادى اربكان منذ ظهوره على المسرح السياسي على ضرورة اقامة العلاقات التركية مع الدول العربية والاسلامية في كافة المجالات ولاسيما الاقتصادية ، وكان قد زار السعودية في السبعينات للمشاركة في مؤتمر القمة الاسلامي الذي انعقد بالرياض في اذار 1974 ، وكانت اول مشاركة لتركيا في مؤتمر اسلامي ، وعندما تسلم السلطة في حزيران 1996 قام بجولة اسيوية زار فيها (ايران ، باكستان ، سنغافورة ، اندونيسيا ، ماليزيا) لغرض فتح منافذ جديدة للتعاون الاقتصادي وذلك من خلال عقد الاتفاقيات الاقتصادية وقد رافقه 150 شخصا من رجال الاعمال والتجار والخبراء والاقتصاديين الاتراك[35].

عقد مع ايران صفقة لتجهيز تركيا من الغاز الطبيعي الايراني وزيادة حجم التبادل التجاري بين البلدين ، اما مع سنغافورة واندونيسيا وباكستان وماليزيا فقد وقع معها عدد من البروتوكولات في مجالات الصناعة والتجارة والتعليم وزيادة حجم التبادل وتوظيف رؤوس الاموال في انشاء المشاريع في ماليزيا ، كما انه زار مصر في 2 تشرين الاول 1996 ووقع عدد من الاتفاقيات شملت الاستثمارات التركية المصرية واقامة معارض للمنتجات المصرية والتركية في ميناء الاسكندرية ، وقد اصر اربكان على زيارة ليبيا بالرغم من المعارضة له وكان هدف الزيارة اعادة العلاقات معها وللمطالبة بمستحقات شركات تركية بذمة ليبيا ولفتح مجالات اقتصادية مع الجمهورية الليبية[36].

مشروع الدول الثمانية :

حقق اربكان واحدا من اهم طموحاته التي عبر عنها في حملاته الانتخابية في اتجاه تطوير علاقات تركيا مع العالم الاسلامي فقد تمكن من تأسيس مجموعة الدول الثمانية الاقتصادية التي ضمت (تركيا، ايران، باكستان، بنغلادش، اندونيسيا، ماليزيا، نيجيريا، مصر) ، وقد ولدت هذا المشروع

لقناعة اربكان بعدم الجدوى من انتظار موافقة الاتحاد الاوربي على انضمام تركيا اليه[37] .

فقد كان اربكان ومنذ اواخر الستينات من اشد المعارضين لانضمام تركيا للاتحاد الاوربي ، وقد وصفه في حملته الانتخابية عام 1995 بأنه (نادي مسيحي) تشكل بناءا على توصية البابا[38] ، وطرح اربكان فكرة المبادرة لأنشاء سوقا اسلامية مشتركة وتوسيع علاقات تركيا التجارية مع الدول الاسلامية بدلا من السعي الى عضوية المؤسسات الامبريالية[39] .

شعر الجيش التركي بالخطر على النظام الأتاتوركي ، فقام بتصعيد ضغوطه على حكومة أربكان من خلال مطالبتها بتنفيذ العديد من الإجراءات – بلغت 18 مطلبًا - بذريعة حماية علمانية الدولة التركية ، مما وضع أربكان في وضع بالغ الحرج ؛ فهو لا يستطيع قبول هذه المطالب التي تهدم ما بناه في سنوات وسنوات ، مثل مطالبتهم بمنع أي دعوات مؤيدة لتطبيق الشريعة الإسلامية ، وحظر ارتداء الحجاب للنساء ، إضافة إلى تجريم أي نشاط سياسي له دوافع دينية ، وإغلاق مدارس تعليم القرآن الكريم التابعة للإسلاميين ، ووقف بناء المسجد الجديد في حي "تقسيم" بإسطنبول ، فضلاً عن فصل 160 من ضباط الجيش لارتباطهم بالتيار الإسلامي ، وفصل بعض حكام الولايات لانتماءاتهم الإسلامية . ولم يكن في استطاعة أربكان تجاهل "إملاءات" الجيش التركي مما دفعه للاستقالة ليتم ما أراده الجيش في عام 1997م فيما سمّي "بالانقلاب الأبيض" ، الذي اكتملت معالمه بحظر حزب الرفاه ، وتقديم أربكان إلى المحاكمة العسكرية بتهمٍ كثيرة أهمها انتهاك علمانية الدولة ، ليصدر قرارها بمنع أربكان من مزاولة النشاط السياسي لمدة خمس سنوات كاملة[40] .

تأسيس حزب الفضيلة وحزب السعادة :

لم يكن قرار المحكمة الدستورية بحل حزب الرفاه مفاجئًا للإسلاميين ، بل كانوا يتوقعونه في أية لحظة ، وكان أربكان يخطط لمواجهة هذا الموقف عند حدوثه ، فوضع مشروعًا لتأسيس حزب يخلف الرفاه في حالة حله ، وبعدما مُنع أربكان من العمل السياسي أعلن إخوانه وتلامذته الذين لم يصدر بحقهم أحكام تأسيس حزب "الفضيلة" ، الذي انتخب لرئاسته رجائي قوطان في كانون الاول 1998م .

خاض حزب الفضيلة الانتخابات البرلمانية التي أجريت في نيسان 1999م ليفوز بـ 115 مقعد ، وتم التجديد لقوطان في انتخابات الحزب عام 2000م ، بعدما نال أغلبية الأصوات بمجموع 632 صوتًا في مقابل 521 صوتًا نالها منافسه "الشاب" عبد الله جول ، وكانت هذه المنافسة غير المألوفة أولى بوادر الظهور الإعلامي لجيل جديد من أبناء الحركة الإسلامية يحمل نفس القناعات ولكنه بدأ يفكر في تطوير أساليب العمل السياسي بما يتوافق مع الوضع التركي المعقد ، ومحاولاً الاستفادة من الخبرات التي تكونت لدى أبناء الحركة الإسلامية التركية على مر السنين ، وكان عبد الله جول ورجب طيب أردوجان من أبرز رموز هذا الجيل الشاب[41] .

على أية حال فقد واجه حزب الفضيلة ما واجهته الأحزاب الإسلامية التي سبقته ، عبر حملات شنتها الصحف ووسائل الإعلام العلمانية ، في الوقت نفسه حرص أركان النظام التركي على تشديد الحصار حول نجم الدين أربكان ، ولم يكتفوا بالحكم الصادر بمنعه من العمل السياسي ، فتم استصدار حكم في 5 تموز 2000م من محكمة التمييز يقضي بسجن أربكان لمدة عام ، بتهمة التحريض على " الكراهية الدينية والعرقية "، وحرمانه من العمل السياسي مدى الحياة[42].

ثم قررت المحكمة الدستورية التركية في حزيران 2001م حل حزب الفضيلة الإسلامي ، والذي كان يعد القوة السياسية الثالثة في البلاد ، حيث

وجه له الادعاء التركي تهمة تهديد النظام العلماني في البلاد ، وبأنه استمرار لحزب الرفاه الإسلامي(43) .

جاء حل حزب الفضيلة ليؤكد اقتناع جيل الشباب الذين أطلق عليهم في تركيا "المجددون المعاصرون" بحاجة الحركة الإسلامية أن تعيد ترتيب أوراقها بما يناسب الحالة التركية ، ومن هنا كان تأسيس هذا الجيل الجديد لحزب جديد واختاروا له اسمًا موحيًّا وهو "العدالة والتنمية" ، بينما سار "شيوخ" الحركة في اتجاه تأسيس حزب جديد باسم "السعادة" على نفس النهج الأربكاني في الأحزاب الأربعة التي سبقته(44) .

بعد إصدار قرار من المحكمة الدستورية بإغلاق حزب الفضيلة في ٢٢ حزيران ٢٠٠١ م ، اتجه التيار المحافظ في حزب الفضيلة لتأسيس حزب أطلق عليه اسم السعادة في أب ٢٠٠١ م ، ويحمل شعار الهلال وبه خمس نجوم ، فالهلال رمز للمحبة والشفقة والتسامح ، والنجوم يقصد بها الأحزاب الإسلامية السابقة والتي تعرضت لمضايقة وحل ، من قبل السلطات العلمانية على مر السنين ، والخمس هم حزب النظام والسلامة و الرفاه والفضيلة وأخرها السعادة ، إضافة لذلك فإن النجوم الخمس تعبر عن الحب والسلام ، والأخوة والعدالة ، والحرية و العزة والشرف ، وتعبر عن حماية حقوق الآخرين وصولاً للرفاهية(45) .

وفي الانتخابات البرلمانية التركية التي جرت في تشرين الثاني 2002م استطاع حزب العدالة والتنمية بزعامة رجب طيب أردوجان رئيس بلدية إسطنبول السابق تحقيق نصر ساحق باحتلاله لـ363 مقعدًا من البرلمان التركي ، فيما أخفق حزب "السعادة" بزعامة رجائي قوطان في الدخول إلى البرلمان حيث لم يتمكن من الحصول على نسبة 10% من أصوات الناخبين(46) .

ترأس أربكان حزب السعادة في عام 2003م ، وفي ايار 2007م بدأ الزعيم الإسلامي تطبيق عقوبة الحبس المنزلي - عقوبة تطبق في تركيا على كبار السن والشيوخ المحكوم عليهم بالحبس لمدة تقل عن 3 سنوات - لمدة سنتين وأربعة أشهر الصادرة ضده من المحكمة العليا بأنقرة في ادعاء وتهمة تبديد مبلغ يساوي مليون دولار من المخصصات الرسمية التي تمنحها الدولة للأحزاب البرلمانية ، وذلك وقت أن كان رئيسًا لحزب الرفاه ، وكان الحكم الصادر ضد الزعيم الإسلامي أجل تنفيذه 4 مرات ؛ بسبب حالة أربكان الصحية .

وفي أب 2008م صدَّق تلميذ أربكان الرئيس التركي عبد الله جول على عفو رئاسي يرفع عقوبة الحبس الصادرة ضد أربكان ، ليعود الزعيم مجددًا إلى ساحة العمل السياسي ويتم انتخابه في تشرين الاول 2010م رئيسًا لحزب السعادة ، المنصب الذي ظل يشغله حتى وافته المنية[47] .

توفي في يوم الأحد 27شباط 2011م الموافق 23 ربيع الأول 1432 هـ في أحد مستشفيات أنقرة عن عمر ناهز 84 عاماً. شيعه ملايين الأتراك ، ومن ورائهم المسلمون في أصقاع العالم ، وذلك بمشاركة الرئيس عبد الله جول ، ورئيس الوزراء رجب طيب أردوجان ، الذي قطع زيارة رسمية لأوربا لحضور جنازة "المعلم" والمؤسس للحركة الإسلامية الحديثة في تركيا ، ورفيق دربه رجائي طوقان . إلى جانب زعماء إسلاميين منهم المرشد العام السابع لجماعة الإخوان المسلمين محمد مهدي عاكف ، ورئيس حزب النهضة في تونس الشيخ راشد الغنوشي ، وممثلون عن حركة حماس ، وزعماء إسلاميون، والكثير من العلماء والقيادات الإسلامية في العالم[48] .

الخاتمة

من صفات نجم الدين اربكان الصبر والاصرار على مشروعه السياسي الذي مثل التيار الاسلامي في تركيا لمدة طويلة ، وحاول ان يكون اتاتورك بصفة الاسلام لا بصفة العلمانية ، فأذا كان مصطفى كمال اتاتورك ابا النظام العلماني في تركيا الحديثة ، فأن اربكان كان ابا الاسلام السياسي هناك ، وحاول جاهدا في ارجاع تركيا سواء اقتصاديا او اجتماعيا او سياسيا الى المسار الذي عرفه الاتراك عبر التاريخ ، مسار السلام والتقيد بقوانينه ، ولكن كان الجيش التركي في طليعة المتصدين لتيار اربكان ، وعلى الرغم من ذلك لم يتوانَ الإسلام السياسي في العمل، على الرغم من المحاولات العديدة من قبل العلمانيين والتي سعت إلى إضعافهم وايقافهم عن العمل، لجوءاً منهم لتوظيف كل إمكانيات الدولة للإطاحة بهم ، مما دفع بالأسلاميين الجدد أخذ العبر والدروس من الماضي اقتناعاً بضرورة التناغم مع العلمانيين والتعايش معهم ، ضمن رؤية جديدة تكفل للجميع العمل بحرية . وأثبت الإسلام السياسي بثورته الصامتة بدءاً بأربكان ووصولاً لأردوغان ، مدى الإصرار والعزيمة لديهم ، في الوصول للهدف دون الاكتراث بالعراقيل التي كانت توضع أمامهم ، مع وجود فارق بين المحافظين والجدد في الإسلام السياسي ، والذي أظهر حزب العدالة والتنمية في تأكيده على ضرورة مواكبة التطور، وهذا يتحقق من خلال توجه تركيا للغرب ، والذي يتطلب إثبات أن نظام الحكم أصبح نظاماً مدنياً وديمقراطياً ، وهذا يستدعي من تركيا عدم الدخول في صراع قد يؤثر على وضعها الإقليمي والدولي ، والذي كانت أسبابه عبر السنوات الماضية هو الصراع بين العلمانيين والإسلاميين .

إن الخلاف بين الإسلاميين والعلمانيين لم ينتهي ، لكن نستطيع القول أن طرق الصراع فيما بينهم اختلفت عن السابق ، فأدواته الجديدة من الممكن وصفها بالأدوات الناعمة إذا ما قورنت بأدوات الماضي .

ويبقى نجم الدين اربكان علامة فارقة في تاريخ تركيا السياسي لصموده الكبير بوجه العلمانية ، ورفع الاسلام من جديد في الواجهة السياسية التركية رغم ماتعرض له من عراقيل وملاحقات من الجيش .

الهوامش

1- منال محمد صالح ، نجم الدين اربكان مفكرا اقتصاديا ، مجلة جامعة كركوك للدراسات الانسانية ، العدد 2، السنة الرابعة (2009) ص97.

2- طلال يونس عبد الجليل ، قراءة في افكار النخبة السياسية في تركيا ، دار الكتب للطباعة والنشر، الموصل ، 2007 ، ص70.

3- راغب السرجاني ، قصة اردوغان ، ط4، دار الكتب المصرية ، القاهرة ، 2012 ، ص50.

4- منال محمد صالح ، المصدر السابق ، ص97.

5- محمد زاهد كتكو:هو احد مؤسسي تكية اسكندرباشا للطريقة النقشبندية ، اتخذ من جامع اسكندر باشا مقرا له منذ عام 1958 ، كان معروفا بعدائه للغرب ومؤمنا بأهمية التصنيع للتحرر من الهيمنة الاجنبية وكان له اثر كبير في صياغة افكار اربكان الاسلامية . للمزيد ينظر : طارق عبد الجليل السيد ، الحركات الاسلامية في تركيا المعاصرة ، دراسة في الفكر والممارسة ، تقديم الصفصافي احمد المرسي ، ط1، جواد الشرق للنشر والتوزيع ، القاهرة ، 2001 ، ص244.

6- المصدر نفسه ، ص262.

7- المصدر نفسه ، ص262.

8- المصدر نفسه ، ص89.

9- طلال يونس ،المصدر السابق،ص90.

10- محمود شاكر ، التاريخ الاسلامي ، التاريخ المعاصر تركيا 1924-1989، ج17، ط2، المكتب الاسلامي ، بيروت (د ت) ، ص175.

11- راغب السرجاني ، المصدر السابق ، ص49.

12- اريك زوركر ، تاريخ تركيا الحديث ، ترجمة عبد اللطيف الحارس ، مراجعة سعد ضاروب ، ط1، دار المدار الاسلامي ، بيروت ، 2013 ، ص371.

13- محمود شاكر ، المصدر السابق ، ص183.

14- محمد نور الدين ، تركيا الجمهورية الحائرة ، ط1، مركز الدراسات الاستراتيجية والبحوث والتأليف ، بيروت ، 1998 ، ص89.

15- راغب السرجاني ، المصدر السابق ، ص50.

16- خورشيد حسن دلي ، تركيا وقضايا السياسة الخارجية(دراسة)،د ط، منشورات اتحاد الكتاب العرب ، مكتبة الاسد الوطنية ، دمشق ،1999 ، ص31.

17-   المصدر نفسه ، ص 31 .

18- محمود شاكر ، المصدر السابق ، ص176.

19- خورشيد حسن دلي ، المصدر السابق ، ص41.

20- محمد نور الدين ، تركيا الجمهورية الحائرة ، ص129.

21- معين القحيف ، قناديل التغيير، ج1 ، مجموعة مقالات منشورة على الانترنت ، ص14.

22- خورشيد حسن دلي ، المصدر السابق ، ص43.

23- اريك زوركر ، المصدر السابق ، ص379.

24- صباح الدين اوجار، المصدر السابق ، ص2.

25-- معين القحيف ، المصدر السابق ، ص14.

26- هدى درويش ، الاسلاميون وتركيا الحديثة نموذج الامام سليمان حلمي ، ط1، دار الافاق العربية ، القاهرة ، 1998 ، ص188.

27- المصدر نفسه ، ص188.

28- طارق عبد الجليل السيد ، المصدر السابق ، ص262.

29- منال صالح يونس ، المصدر السابق ، ص104.

30- محمد نور الدين ، تركيا في الزمن المتحول قلق الهوية وصراع الخيارات، د ط ، رياض الريس للكتب والنشر، لندن ، 1997 ، ص67.

31- منال محمد صالح ، المصدر السابق ، ص105.

32- المصدر نفسه ، ص107.

33- المصدر نفسه ،ص107.

34- محمد نور الدين ، تركيا الجمهورية الحائرة ، ص94.

35- ياسر احمد حسن ، سلسلة العلوم الاجتماعية ، تركياالبحث عن المستقبل ، د ط ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، 2006 ، ص136.

36- طلال يونس ، المصدر السابق ، ص77.

37- مجموعة من المؤلفين ، تركيا بين تحديات الداخل ورهانات الخارج ، اشراف مركز الجزيرة للدراسات ، تحريرمحمد عبد العاطي ، ط1، الدار العربية للعلوم ، 2009 ، ص277.

38- منال محمود صالح ، المصدر السابق ، ص180.

39- هدى درويش ، المصدر السابق ، ص189.

40- رضا هلال ، السيف والهلال تركيا من اتاتورك الى اربكان ، ط1 ، دار الشروق ، القاهرة ، 1999 ، ص217.

41- راغب السرجاني ، المصدر السابق ، ص68.

42- المصدر نفسه ، ص 68 .

43- ارنست خوري ، تركيا بلا اربكان ، الاسلاميون ليسوا يتامى، صحيفة الاخبار ، العدد350، 28شباط 2011، الانترنت.

44- عبد الكريم المشهداني ، العلمانية واثارها على الاوضاع الاسلامية في تركيا ، ط1، منشورات المكتبة الدولية ، الرياض ، مكتبة الخافقين ، دمشق ، 1983 ، ص123

45- فادي محمود صبري صدم ، المعارضة السياسية في تركيا (الاسلاميون نموذجا) في فترة 1996-2007، رسالة ماجستير مقدمة الى كلية الاداب والعلوم الانسانية ، جامعة الازهر، غزة ،2012 ، ص 114

46- راغب السرجاني ، المصدر السابق ، ص69

47- ارنست خوري ، المصدر السابق.

48- الانترنت ، موقع ويكيبيديا الموسوعة الحرة ،

http://ar.wikipedia.org/wiki

الخاتمة

الكتاب مجموعة من المباحث في التاريخ التركي ، وهي دراسات قسم منها نشر في مجلات اكاديمية عراقية ، وقسم اخر لم ينشر . سلطت الاضواء على جوانب معينة من الشؤون التركية ، لاسيما السياسية والدينية ، ومن خلالها يمكن للقارئ ان يدرك السياسة الداخلية التركية ، وعلاقاتها الخارجية ، وان يفهم الستراتيجية التركية القائمة على الخط العلماني وبحماية المؤسسة العسكرية .

ورغم ان اتاتورك اعلن علمانية الدولة ، وحارب الاسلاميين ، لكنه وخلفاؤه لم يستطيعوا ان ينهوا الاسلام من الشعب التركي ، فعاد بقوة سياسيا واجتماعيا بعد الحرب العالمية الثانية ، وتشكلت الاحزاب الاسلامية السياسية والنوادي الاجتماعية الاسلامية ، كما ازدادت الاصدارات الثقافية الاسلامية من كتب وصحف ,

نستشف من هذه الدراسات ان توجه تركيا الى الغرب ، وتزايد العلاقات التجارية والعسكرية والثقافية مع الدول الغربية ، لاسيما بريطانيا وفرنسا والمانيا والولايات المتحدة الامريكية ، لم يؤثر على التيار الاسلامي في تركيا ، بل زاد نشاطه في المجتمع التركي مستغلا الاخطاء والطروحات الضيقة التي وقعت بها الاحزاب العلمانية التركية .

هدفنا من جمع هذه المباحث في كتاب واحد هو لتسهيل المهمة للباحثين المهتمين بالتاريخ التركي بدلا من متابعة المباحث من خلال المجلات التي

نشرت بها او متابعة المؤلف ، فضلا عن اهمية الدراسات التركية للقارئ العربي لمجموعة من الاعتبارات منها التاريخ المشترك بين الاتراك والعرب والموقع الجغرافي المهم لتركيا واهميته للدول العربية والمصالح المشتركة بين الشعبين التركي والعربي .

نرجو ان نكون قد وفقنا في هذا الكتاب لخدمة الباحثين وطلاب الدراسات العليا ، وكشف حقائق التاريخ التركي المعاصر بمختلف جوانبه .

المصادر:

اولا :الوثائق المنشورة

1 - the United States, 1893 Foreign Relations of
2 - Foreign Relations of The United States, Supl 1, Vol.1, 1917

ثانياً : الرسائل والاطاريح الجامعية

1. ابراهيم خليل العلاف ،ولاية الموصل : دراسة في تطوراتها السياسية ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الاداب ، جامعة بغداد ،1975 .
2. حنا عزو بهنان ، التطورات السياسية في تركيا 1919 – 1923 ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الاداب ، جامعة بغداد ، 1989 .
3. سحر خضير عباس ، سياسة الولايات المتحدة تجاه تركيا 1917 – 1923 ، اطروحة دكتوراه غير منشورة ، كلية الاداب ، جامعة بغداد ، 2002 .
4. سيد عزيز عبد الله الشمزيني ، الحركة القومية التحررية للشعب الكردي ، اطروحة دكتوراه.
5. فادي محمود صبري صدم، المعارضة السياسية في تركيا (الاسلاميون نموذجا) في فترة 1996-2007، رسالة ماجستير مقدمة الى كلية الاداب والعلوم الانسانية ، جامعة الازهر ، غزة ، 2012 .
6. قاسم خلف عاصي الجميلي، تطورات واتجاهات السياسة الداخلية التركية 1923-1928، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الاداب ، جامعة بغداد، 1985 .
7. كريم مطر حمزة الزبيدي ، سياسة الولايات المتحدة تجاه تركيا 1945 – 1960 ، اطروحة دكتوراه غير منشورة ، كلية الاداب ، جامعة بغداد ، 1999 .
8. لقاء جمعة عبد الحسن جبار الطائي ، العلاقات التركية – الامريكية في عهد كمال اتاتورك 1923 – 1938 دراسة تاريخية ، اطروحة دكتوراه غير منشورة ، كلية التربية (ابن رشد) ، جامعة بغداد ، 2006 .
9. محسن حمزة حسن العبيدي، التطورات السياسية الداخلية في تركيا 1946-1960، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الاداب، جامعة الموصل، 1989.
10. نبيل محمد سليم ، تطور العلاقات التركية-الامريكية في ظل التغييرات الدولية المعاصرة ، اطروحة دكتوراه غير منشورة ، كلية العلوم السياسية-جامعة بغداد، 1997 .
11. هشام سوادي هاشم السوداني ، العلاقات العثمانية الامريكية 1908 – 1920 ، اطروحة دكتوراه غير منشورة ، كلية التربية ، جامعة الموصل ، 2002 .

ثالثاً : الكتب العربية و المعربة

1- ابراهيم الداقوقي، فلسطين والصهيونية في وسائل الاعلام التركية، بغداد

2- ابراهيم الداقوقي، فلسطين والصهيونية في وسائل الاعلام التركية، بغداد، 1987

3- ابراهيم خليل احمد وخليل علي مراد ، ايران وتركيا دراسة في التاريخ الحديث والمعاصر ، الموصل ، 1992

4- ابراهيم خليل أحمد وأخرون، تركيا المعاصرة، الموصل، 1988

5- ابراهيم شريف ، الشرق الاوسط ، بغداد ، وزارة الثقافة والارشاد ، 1965.

6- ابراهيم مصطفى واخرون ، المعجم الوسيط ، ج2 ، المكتبة العلمية ، طهران ، د.ت ،.

7- احمد السيد سليمان ، التيارات القومية والدينية في تركيا المعاصرة ، القاهرة ، د . ت

8- احمد العلي ، الارمن ، دار الاعلمي ، بيروت ، 1998

9- احمد المائي ، الاكراد في بهدينان ، مطبعة الحصان ، الموصل ، 1960.

10- احمد عبد الرحيم مصطفى ، اصول التاريخ العثماني ، بيروت ، 1982

11- احمد نوري النعيمي، الحياة السياسية في الدولة العثمانية، بغداد، 1990.

12- احمد نوري النعيمي، تركيا وحلف شمال الاطلسي، عمان، المطبعة الوطنية، 1981

13- احمد نوري النعيمي، ظاهرة التعدد الحزبي في تركيا، 1945-1980، بغداد، 1989

14- ادم متنز ، الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري ، ترجمة محمد عبد الهادي ابو ريدة ، ط4 ، بيروت ، 1967.

15- الصفصافي احمد المرسي ، الدين والسياسة في تركيا الحديثة والمعاصرة ، كلية الاداب ، جامعة عين شمس ، 1987

16- الكسندر اداموف ، ولاية البصرة في ماضيها وحاضرها، الجزء الثاني، ترجمة د.هاشم صالح ، البصرة ، مركز دراسات الخليج العربي ، 1989 .

17- المنجد ي اللغة.

18- اندرو فنكل ونوكهت سيرمان، تركيا المجتمع والدولة ، ترجمة حمدي حميد الدوري وعدنان ياسين مصطفى، بغداد، بيت الحكمة، 2002
19- اورخان محمد علي، سعيد النورسي رجل القدر في حياة امة، استانبول، دار شل للطباعة، 1995
20- باسيل نيكيتين ، الاكراد ، ترجمة لويس ماسينيون ، دار الروائع ، بيروت ، 1958.
21- بديع الزمان سعيد النورسي ، الخطبة الشامية ، تعريب محمد سعيد رمضان البوطي ، دمشق
22- بديع الزمان سعيد النورسي، الملاحق، ترجمة احسان قاسم الصالحي، القاهرة، دار سوزلر للنشر، 1992
23- بله.ج شيركو ، القضية الكردية ، القاهرة، 1930.
24- بيير رنوفن، تاريخ القرن العشرين، ترجمة : نور الدين حاطوم، دمشق، 1965.
25- تاريخ الامبراطورية العثمانية من التأسيس الى السقوط، عمّان، المكتبة الاهلية، 2003
26- جبران سعود ، الرائد ، دار العلم ، بيروت ، 1964.
27- جراهام فولر، الحركة الاسلامية في تركيا، ترجمة محمود عبد الكريم، مؤسسة رافد للدراسات، 2000
28- جليلي جليل واخرون ، الحركة الكردية ، بيروت ، دار الرازي ، 1992.
29- جورج لنشو فسكي ، الشرق الأوسط في الشؤون العالمية ، ترجمة جعفر خياط ، بغداد ، 1964
30- حامد محمود عيسى، القضية الكردية في تركيا، القاهرة، مكتبة مدبولي، 2002
31- خالد عطية توفيق ، جذورالمد العلماني في تركيا ، ط1، دار صادر ، بيروت ،2006.
32- ديفيد مكدول، تاريخ الاكراد الحديث، ترجمة راج ال محمد، بيروت، دار الفارابي، 2004
33- ريجينا كيلي ، لنكولن ومعركة الرئاسة ، ترجمة سلامة عبيد ، القاهرة ، 1966.
34- سعيد النورسي ، سيرة ذاتية، ترجمة احسان قاسم الصالحي، القاهرة، دار سوزلر للنشر، 1998
35- سلوى سعد الغالبي ، العلاقات العثمانية الامريكية 1830 – 1918 ،القاهرة ، مكتبة مدبولي ، 2002 .
36- سليم الصويص، أتاتورك منقذ تركيا وباني نهضتها الحديثة، عمان ، مطبعة شنلر

37- سيار كوكب الجميل ، العرب والاتراك الانبعاث والتحديث من العثمنة الى العلمنة، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية ، 1997
38- سيد عزيز عبد الله الشمزيني ، الحركة القومية التحررية للشعب الكردي ، رسالة دكتوراه.
39- شاكر خصباك ، الكرد المسألة الكردية ، در الثقافة الجديدة ، بغداد ، 1969.
40- صبحي ناظم توفيق ، الميثاق البلقاني ومعاهدة مونترو في وثائق الممثليات العراقية في تركيا ، بغداد بيت الحكمة ، 2002
41- صلاح العقاد، الدولة العثمانية الحديثة ، معهد البحوث والدراسات العربية ، (القاهرة 1970).
42- طارق عبد الجليل، الحركات الاسلامية في تركيا المعاصرة ، القاهرة , 2001
43- طه باقر، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة-الوجيز في تاريخ حضارة وادي الرافدين-، الجزء الأول، الطبعة الثانية، بغداد، 1986.
44- عبد الجبار قادر غفور ، الديانة والطرائق الصوفية في تركيا في ابراهيم خليل احمد العلاف واخرون ، تركيا المعاصرة ، الموصل ، 1987
45- عبد الرزاق الحسني ، تاريخ العراق السياسي ، ج3 ، ط6 ، دار الكتب ، بيروت ، 1983.
46- عبد الوهاب الكيالي وكامل زهيري، الموسوعة السياسية، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ،1974 .
47- عثمان علي ، الحركة الكردية المعاصرة ، دراسة تاريخية وثائقية (1833 - 1946) ، ط2 ، المعهد العالي للفكر الاسلامي ، فرجينيا ، الولايات المتحدة الامريكية ، 2008.
48- عزيز الحاج ، القضية الكردية في العشرينات ، المؤسسة العربية ، بيروت ،1984.
49- علي الوردي، لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث، الجزء الثالث، بغداد، 1972.
50- عمر الديراوي، الحرب العالمية الأولى، بيروت، 1981.
51- فريد رحمه ، العثمانيون من الانقلابات الى الديمقراطية ، ط1، دار صعب ، بيروت ، 2005.
52- فؤاد طلعت ، 31 مارت ارتجاع ، اسطنبول 1337
53- فيروز احمد ، صنع تركيا الحديثة ، ترجمة سلمان داود الواسطي وحمدي الدوري ، بغداد ، بيت الحكمة ، 2000
54- كارل بروكلمان ، تاريخ الشعوب الاسلامية ، ج4 ، دار العلم للملايين ، بيروت ، د.ت.

55- كريم محمد حمزة ودهام علي الجبوري، القوى الفاعلة في المجتمع التركي، بغداد، 2002
56- كمال كظهر ، الدولة العثمانية في الحرب العالمية الاولى، ط1، دار الاعلمي، بيروت ، 1989.
57- كمال مظهر احمد ، كرد ستان في سنوات الحرب العالمية الأولى، ترجمة محمد الملاعبد الكريم، الطبعة الثانية ، بغداد ، دار افاق عربية ، 1984 .
58- م. ف. آرزومانيان، صراع الوجود عبر القرون (باللغة الأرمنية)، دار نشر (هاياستان)، يريفان، 1989.
59- مارتن خان برونسن ، الاكراد وبناء الامة ، ترجمة فالح عبد الجبار ، ط1 ، الفرات ، بغداد ، بيروت ، 2006.
60- محسن عبد الحميد ، النورسي الرائد الاسلامي الكبير ، بغداد ، 1987
61- محمد أمين زكي , خلاصة تاريخ الكرد والكردستان , ترجمة محمد علي عوني , مطبعة السعادة , مصر , 1948
62- محمد أمين زكي، تاريخ الدول والإمارات العثمانية ، ج2،ط1، دار التجديد ، دمشق ، 1980.
63- محمد سعيد رمضان البوطي ، في الفكر والقلب ، دمشق ، 1969
64- محمد شفيق غربال ، الموسعة العربية الميسرة ، دار الشعب ، القاهرة ،1965
65- محمد عزة دروزة، تركيا الحديثة، بيروت، 1976
66- محمد مصطفى الهلالي ، السلطان عبد الحميد الثاني بين الانصاف والجحود ن دمشق ، دار الفكر ، 2004
67- محمود الدره , القضية الكردية , دار الطليعه , بيروت , 1966
68- محمود شوكت باشا ، اسباب استعفاي ، اسطنبول ، 1330هج
69- مس غير تروبيل , تاريخ العراق القريب , ترجمة جعفر الخياط , دار الكتب , بيروت , د.ت
70- مصطفى الزين ، اتاتورك وخلفاؤه ، بيروت ، 1982
71- مصطفى قادر ، اثر الحرب العالمية الاولى على الاقتصاد العالمي، ط1، مطبعة الرحبي ، بيروت ،2005
72- منذر الموصلي , الحياة السياسية والحربيه في كردستان , لندن , 1991
73- مون ، الاستعمار والسياسة الدولية، موسكو، 1928.
74- نعيم اليافي و د. خليل الموسى، نضال العرب والأرمن ضد الاستعمار العثماني، الطبعة الأولى، 1995، سوريا.

75- هيم كامل أوكي، السلطان عبد الحميد الثاني بين الصهيونية العالمية والمشكلة الفلسطينية، القاهرة، الزهراء للاعلام العربي، 1992
76- وديع أبو زيدون، تاريخ الامبراطورية العثمانية من التأسيس الى السقوط، عمّان، المكتبة الاهلية، 2003

رابعاً : الكتب الاجنبية

1 − abdulbaki golpinarli ,op− cit
2 − Agar, Herbert, The United States, The Presidents, The Parties And the Constitutio .London, Eyre&Spottis wood, 1950
3 − B. Shwedren , The Middle East Oil and The Great Powers, New York, 1959 ,
4 − Bernard Lewis, The Emeregnce of Modern Turkey, London, 1968
5 − Binnez Toprak, Islam and Political Development in Turky , Leiden, 1981
6 − Boratov, Korkut, Turkiye Iktisat Tarihi 1908− 1985,IkinciBaski, Istanbul, Turk Tarih Kurumu, 1988
7 − C. H. Hamiltion, American and Oil in the Middle East, Bouston , 1962
8 − Cambridge, Cambridge University Press, 1972
9 − Craf, John R., Economic development of The United States, New York,Mograw.Hill book Company, Inc., 1952
10 − Dennett, American Relations with Turkey, New York, 1941
11 − E. G. Mears, Modern Turkey, New York, 1924
12 − Earle E M *Turkey The Great power and Baghdad Raliway Astudy in imperialism *New York *Russell and Russell *1966
13 − Geoffery Lewis, Modern turkey, London , 1974
14 − Geoffery Lewis, Op. Cit
15 − George Lenczowski, The Middle East in World Affairs, London,

1980 .

16 - Golpinarli .op.cit

17 - Gordon, Leland Jams, American Relation With Turkey 1800-1930 An Economic Interpretation, Philadelphia, University Of Pennsylvania Press, 1932

18 - Haward , The Portition of The Turkey, Oklohoma, 1931

19 - Issawi, Charles, The Economic History of Turkey 1800-1914,Chicago- London, The University of Chicago Press, 1966.

20 - J. Gordon , American Relations with Turkey 1830

21 - James P. Piscatori, Islam in The Political Process, Cambridge University Press, 1983 .

22 - James P. Piscatori, Op. Cit.

23 - John A. Denovo, American Interests and Policies in The Middle East 1900-1939, Minneapolis , 1924 ,

24 - Morison, S.E., The Maritime History of Massachusetts 1737-1860, Cambridge- Mass., Oxford University Press, 1961 .

25 - necip Fazil , Kisakurekkk , son devrin din mazlumlar , istanbul ,1969

26 - Potter, Jim, American Economic between the World Wars, London, Macmillan, 1974 .

27 - Shaw, Stanford and Ezel, the History of Ottoman Empire and the Turkish Republic

28 - soruda tarikatler , istanbul – 1969 , 21- abdulbaki golpinarli

29 - Trask, Roger R., The United States Response to Turkish Nationalism and Reform 1914-1939, Minneapolis, The University of Minnesota Press, 1970 .

30 - willtam miller-the ottoman Empire and it is successore – cambirdge-1939

خامسا : البحوث الاكاديمية

1- ابراهيم خليل العلاف ، الحركة النورسية ، مركز الدراسات الاقليمية ، جامعة الموصل
2- احسان طبري. السياسة الخارجية لتركيا ، ,مجلة الاهرام ، ع43، 1998.
3- المركز السياسي للدراسات والاستشارات، تركيا الهوية وصراع الخيارات ، لندن، 10 آب ،2002.
4- رواء زكي يونس ، التركيب القومي والديني في تركيا ، دراسات اجتماعية ، مجلة علمية فصلية ، العدد 5 ، 2000.
5- طالب البا ، بديع الزمان والحركة النورسية ، بحث القي بالانكليزية في ندوة اتجاهات الفكر الاسلامي المعاصر المنعقدة في البحرين للفترة من 22 – 25 شباط 1985 ، ترجمة كمال توفيق الهلباوي .
6- عبد الجبار قادر غفور ، اضواء جديدة على جريدة كورد ترجمة ياسين خضر رشيد ، مجلة كاروان ، العدد 72 ، 1989 .
7- علاء موسى نورس، مدى مسؤولية الانكشارية في تدهور الدولة العثمانية، المجلة المغربية، 1992.
8- مجلة المنار، باريس، العدد 59 تشرين الاول، 1989
9- مركز المعلومات، الانتخابات التركية تحول تأريخي، العدد 600، 15 تشرين الثاني، 2002.
10 منير الحمش –نشأة الدولة العثمانية – دراسة منشورة بمجلة أخبار الاقتصاد – دمشق – 2002/6/9م .
11 منير الحمش –نشأة الدولة العثمانية – دراسة منشورة بمجلة أخبار الاقتصاد – دمشق – 2002/6/9م .
12 نوري عبد البخيت السامرائي، العلاقات الامريكية – التركية، بحث غير منشور .
13 نوري عبد البخيت السامرائي، محاولات تغلغل الرأسمال الامريكي في الامبراطورية العثمانية قبيل الحرب العالمية الاولى، المؤرخ العربي العدد 30، 1986

سادسا : البحوث الاجنبية

1 - Yilmaz Altug, The United States of America's Policyes Towards Turkish Straits, Belleten, Dort Aydabir Cikar, April, 1992

سابعا : الموسوعات

1 - Encyclopedia Britannica Volume The New

2 - Americana Encyclopaedia

ثامناً : المواقع الالكترونية

1 - aqlam online.com

2 - Islam Onlin.net

3 - www.alazrar.net

4 - www.al-eman.com

5 - www.aljazeera.net

6 - www.arabgate.Com

الانترنت،موقع ويكيبيديا الموسوعة الحرة، http://ar.wikipedia.org/wiki

ملاحق الصور :



مصطفى كمال اتاتورك (أول رؤساء تركيا)

مصطفى كمال أتاتورك وزوجته، خلال زيارة قام بها(1923م)

مصطفى كمال اتاتورك، في أنقرة مع ملك أفغانستان، أمان الله خان,(1928).

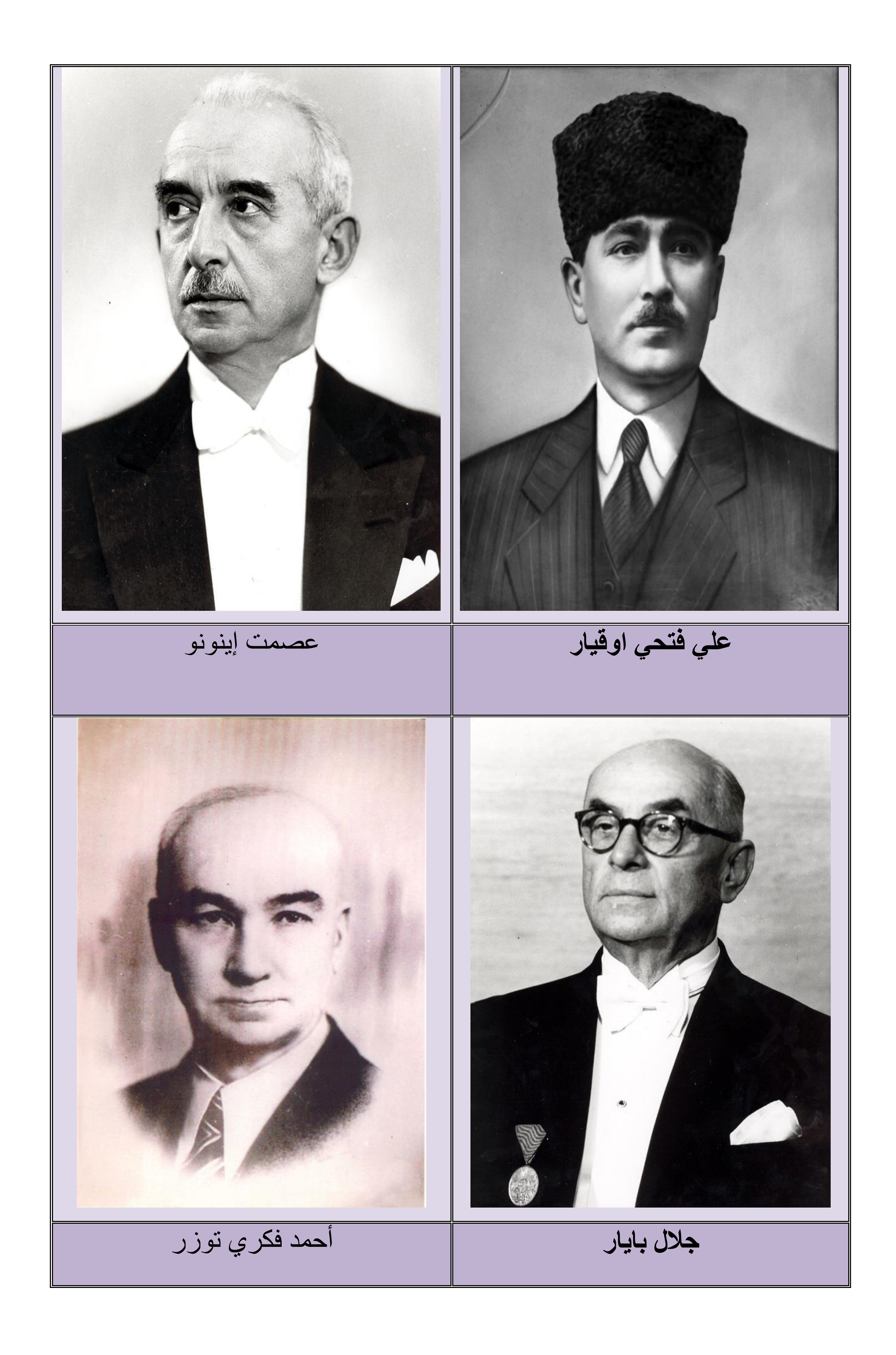


أتاتورك في لقاء مع الملك عبد الله الأول بن الحسين

فوزي حقمق ولد عام 1876م و توفي عام 1950م



رؤوف اروباي ولد عام 1881م و توفي عام 1964م



عصمت إينونو	**علي فتحي اوقيار**
أحمد فكري توزر	**جلال بايار**



شكري سراجاوغلي

محمد رجب بكر

جمال كورسل

عدنان مندريس



سعاد خيري اورگوپلو

فريد ملن

سليمان ديمرل

نهاد اريم

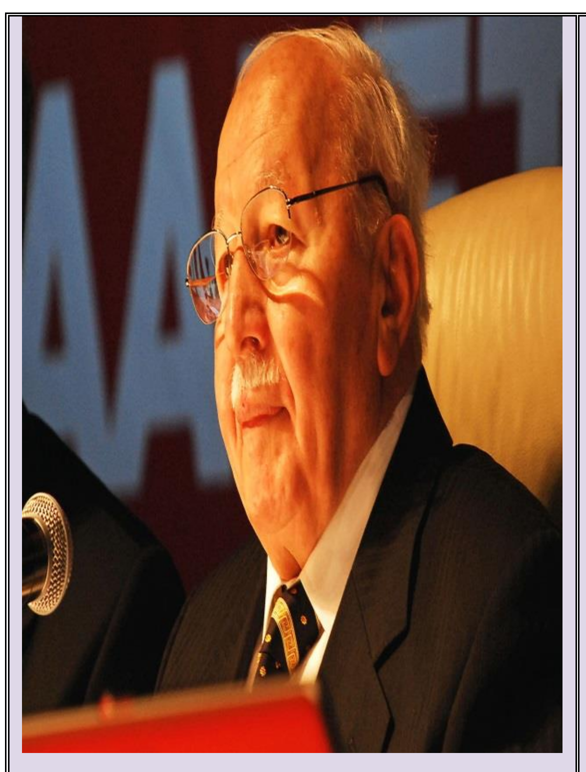


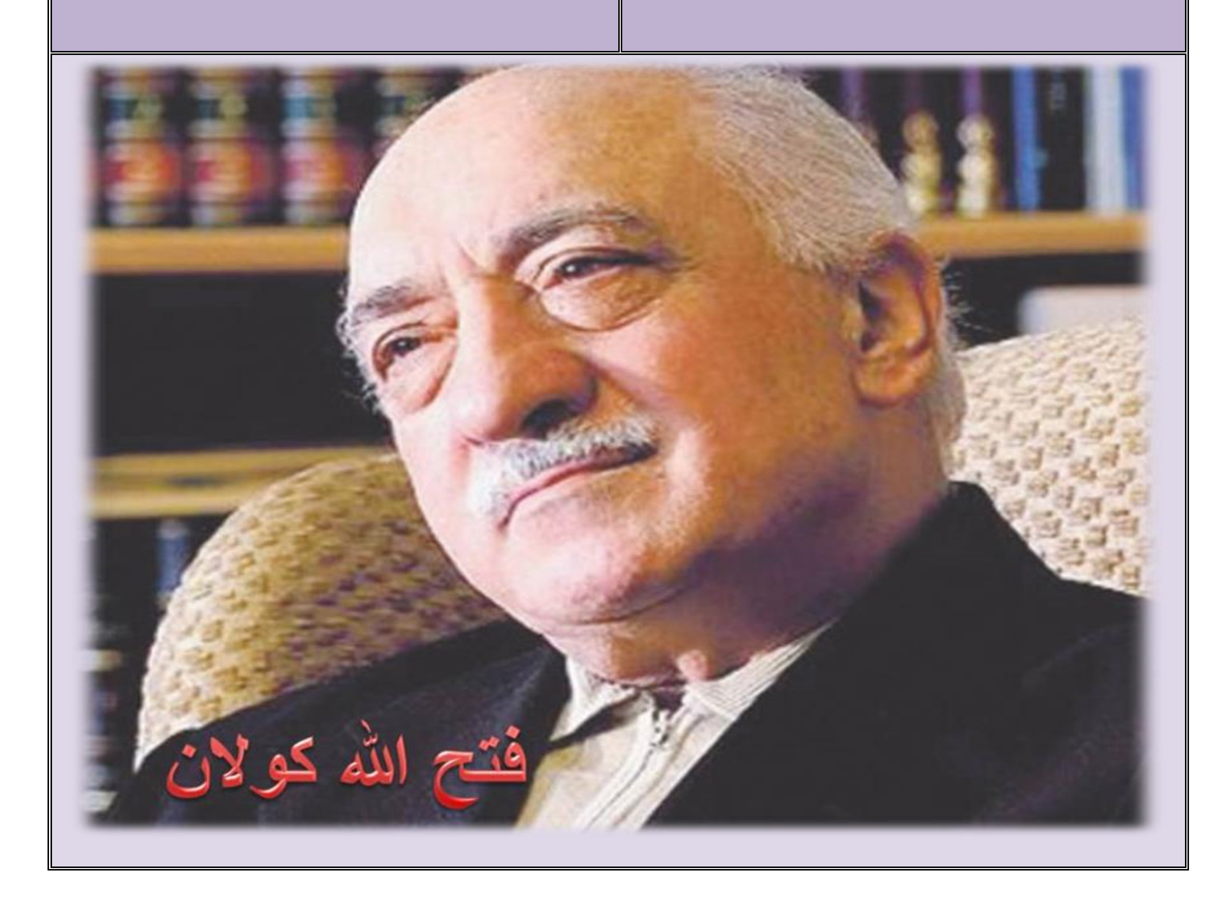
بلند اولوس

يلديريم اقبلوط

بلند اجاويد

تانسو تشلر

	
محمد رجب بكر	**عبدالله كول**



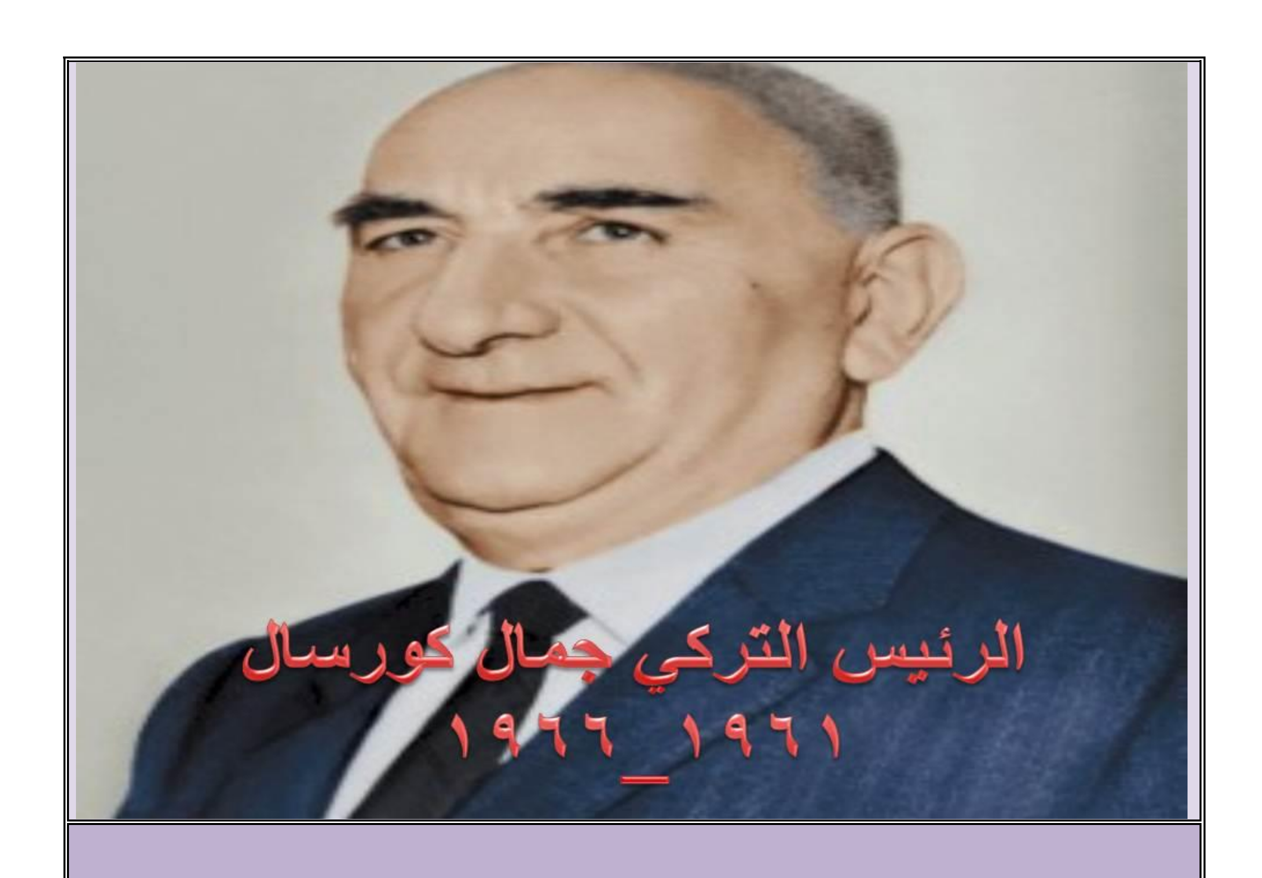

لحظات اعدام عدنان مندريس


الرئيس التركي مصطفى كمال اتاتورك
١٩٢٣_١٩٣٨


سعيد النورسي

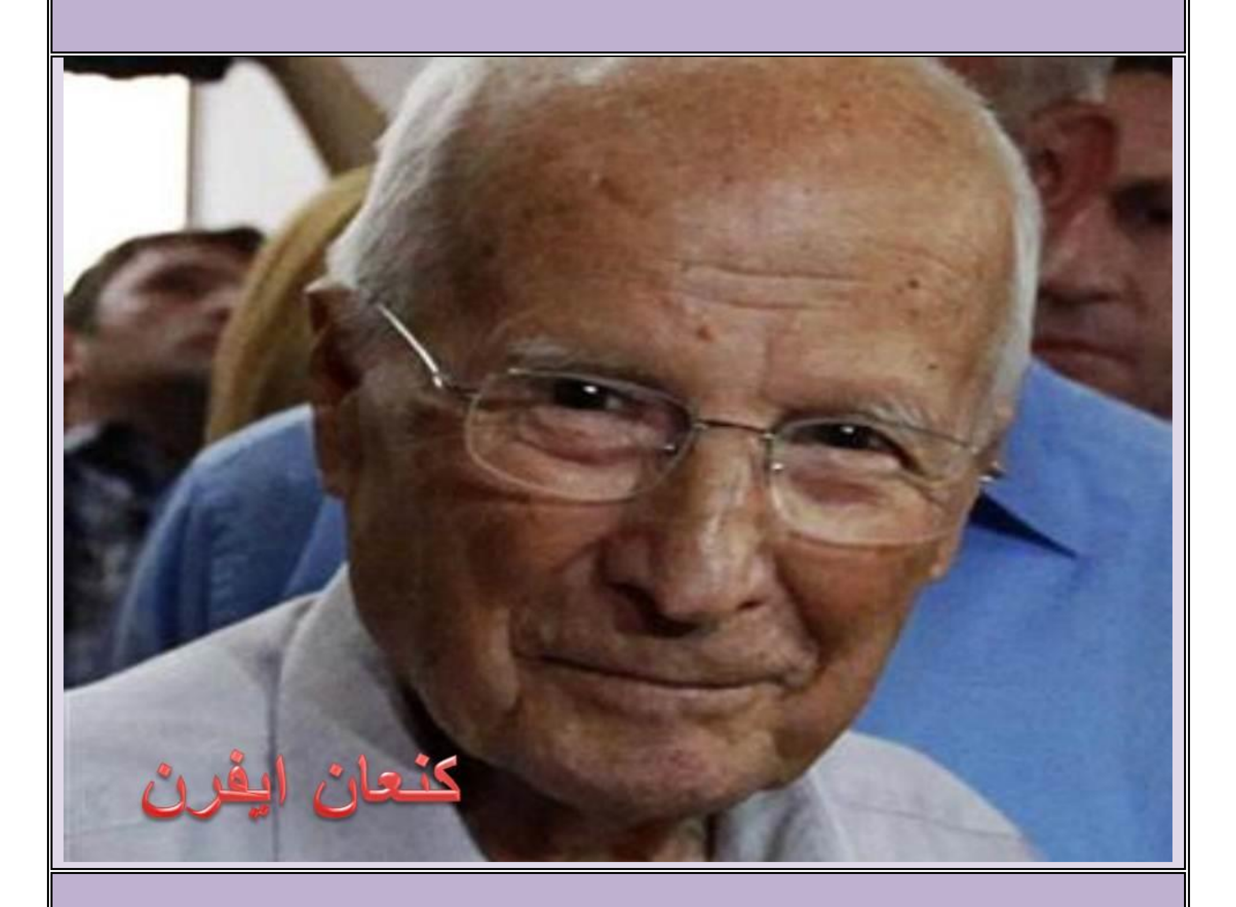

الرئيس التركي جودت صوناي
١٩٦٦_١٩٧٣

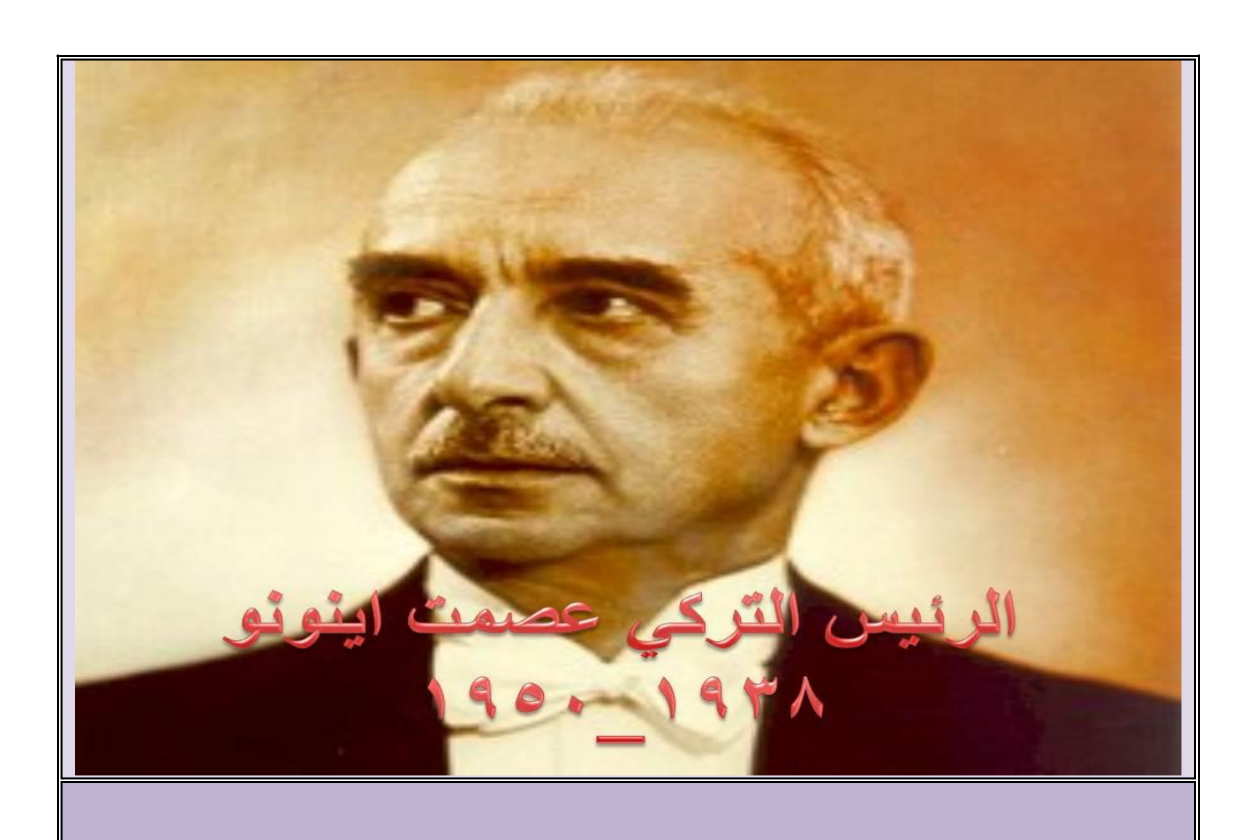

الرئيس التركي سليمان ديمرل
١٩٩٣_٢٠٠٠


الرئيس التركي جمال كورسال
١٩٦٦_١٩٦١


رئيس وزراء تركيا نجم الدين اربكان
١٩٩٧_١٩٩٦


الرئيس التركي توكورت اوزال
١٩٨٩_١٩٩٣


كنعان ايفرن


الرئيس التركي عصمت اينونو
١٩٣٨_١٩٥٠


الاديبة خالده اديب



رجب طيب اردوكان : رئيس الوزراء التركي حتى عام 2014م , و الرئيس التركي منذ شهر اب 2014م